

اليمن والمستقبل

- عنوان الكتاب: - اليمن والمستقبل
- المؤلف ومن هو في حكمه: - عبدالرحمن مراد
- رقم الإيداع:- (٤٢٤) لسنة ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ
- الطبعة :- الأولى يناير ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ
- الناشر :-

حقوق الطبع محفوظة للناشر

عبد الرحمن مراد

اليمن والمستقبل

(مقاربات في بناء الدولة الحديثة)

مقدمة

تمر اليمن بحركة تبدل وتغير منذ عام ٢٠١١م وحتى اليوم الذي تشهد فيه عدواناً سعودياً غاشماً أحدث فيها تمايزاً وتفكيكاً للبنى التقليدية، سواءً الاجتماعية منها أو السياسية، ومثل ذلك طرح سؤالاً جوهرياً ظل عائماً في المسارات والمآلات بعد أن قال قادة حركة ٢٠١١م بسقوط الإيديولوجيا، والقول بسقوط الإيديولوجيا كان سبباً مباشراً في حركة المجتمع الأخيرة التي جاءت على أنقاض القائلين بسقوط الإيديولوجيا، في ٢٠١١م.

لم تكن ثورة (٢١ سبتمبر ٢٠١٤م) إلا تعبيراً حقيقياً عن واقع يتطلع إلى الانتقال وبعد أن دلت التجربة لأحزاب اللقاء المشترك على الفشل وامتداد الماضي في صميم تجربتهم التي تنازعتها مفاهيم الغنيمة والاقتصاد الريعي وغياب المشروع الوطني الحضاري والثقافي والاقتصادي وعلى الثبات.

والم تأمل في اللحظة السياسية التي تمر بها اليمن يدرك أن جدلية الحالة الانتقالية التشريعية أصبحت تفرض ضرورتها الموضوعية على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي فالتلازم بين الأبعاد المختلفة تلازم ضرورة واحتياج وتكامل ولكل بعد تأثيراته المباشرة والغير مباشرة ،

وإدراك العلائق وتأثيراتها وتلازماتها يعمل على إحداث التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد ويساهم بقدر في الحالة الانتقالية التشريعية ويكفل لها قدراً من التناغم مع تطلعات الأفراد والجماعات , ويحقق القدر المناسب من الشعور بالقيمة والفاعلية ولذلك فالشارع اليمني حين أنتفض في ثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤ م لم يرق بسلوكه اعتباطي ولكنه سلوك فرضته حالة الانتقال السريعة المتوافقة مع إيقاع المرحلة بعد ان مرّ بالمرحلة العسكرية (١٩٦٢م - ٢٠١١ م) والمرحلة اللاهوتية العائمة (٢٠١١م - ٢٠١٤ م) وهو الآن يحث الخطى إلى الحالة الوضعية والصناعية, حالة الانعتاق من رقّ الحاجة والتفاعل مع اقتصاد السوق وبحيث تتوافر في تفاعلاته طاقة تعمل على إنتاج نظام اقتصادي/ اجتماعي متوازن يكفل وجود الجميع , ويعترف بالكل ولا يحاول إقصاء أحد في ظل دولة وطنية مركبة .. دولة الشراكة.

وقد سمعنا كثيراً عن الشراكة ولكننا لم نفهم مقاصدها واهدافها الفلسفية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقد حاولنا في هذه الرؤية ان نقول شيئاً ربما كان مفيداً لتحقيق الانسجام والتناغم في الحالة اليمنية التي طال أمد صراعها.

والله الموفق

صنعاء - يناير ٢٠٢٠م

الدولة الوطنية المركبة.. دولة الشراكة

" رؤية في بناء الدولة العادلة المستقرة "

الفصل الاول

الشراكة الوطنية

الشراكة الوطنية

(رؤية)

يجمع الكثير في المشهد السياسي الوطني أن غياب الدولة الوطنية هو المظهر الأول للأزمات المتتالية التي يمر بها اليمن ويتحدثون بالقول أن شكل النظام كان عاملاً مهماً في تعميق الأزمات، وأنه قد ألغى الشراكة السياسية والوطنية بسبب غياب حاملها الحقيقي وهي الدولة، وبسبب ضرب مشروع الوحدة الوطنية في حرب صيف ٩٤م وقد كان مشروع الوحدة القادر على تحقيق الشراكة لأنه كان قادراً على فرض شروطه الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وقال المفكرون والسياسيون أن الشراكة الوطنية تم استبدالها بنظام من الولاءات يقوم فيه مركز السلطة بتأسيس قاعدة لمعايير سياسية واجتماعية ومناطقية يتم وفقاً لها بناء الحزام الآمن للنظام ويحصل منتسبو هذا الحزام على نصيب الأسد من ثروة البلاد ومن المناصب والوظائف الأساسية، ويرون في تلك العلاقة نوعاً من الشراكة في السلطة والمصالح وهي قاعدة متضادة لنظام الشراكة الوطني.

وترى أحزاب اللقاء المشترك أن إعادة الاعتبار إلى الخيارات الوطنية النبيلة التي توافق عليها اليمنيون

وارتضوها خيارات وطنية لا رجعة عنها، وفي المقدمة منها مبدأ الشراكة الوطنية، والتعددية الحزبية والسياسية والقبول بالآخر وسيادة القانون والمواطنة المتساوية والشراكة الشعبية الواسعة في السلطة والثروة وصناعة القرار.

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها أن تفكير التيارات السياسية اليمينية ظل غائباً عن بناء مجتمع حديث يعمل بكفاءة في عالم اليوم ، وبناء مجتمع حديث يتطلب مؤسسات حديثة وسلطات حديثة ، ومفاهيم حديثة تتجاوز سياقها التاريخي والثقافي كما أنّ جلّ المفاهيم السياسية التي يتشدقون بها ضبابية وغير واضحة الأبعاد والمعالم فهم يتكلمون عن الدولة و لا نكاد نلمح لهم تعريفاً للدولة ، ويتكلمون عن الشراكة الوطنية و لا نكاد ندرك العمق الاجتماعي والسياسي لمفهوم الشراكة الوطنية ، ويمكن أن يقال أن الشراكة الوطنية ، والتعددية الحزبية السياسية ، والقبول بالآخر ، وسيادة القانون ، والمواطنة المتساوية مصطلحات جوفاء غير ذات مضمون عند القوى والتيارات السياسية الوطنية اليمينية ، وهي تستخدم للاستهلاك السياسي والكيد السياسي ولكنها خالية من المضامين الاجتماعية والثقافية والسياسة بالرغم من أن الشروط الموضوعية الواقعية للتطورات الاجتماعية والثقافية التي توالى تراكماتها الضاغطة منذ ٢٠١١م قد فرضت سؤالاً هاماً ومحورياً حول جدلية الاندماج الاجتماعي والاندماج السياسي للجماعات والاحزاب والطوائف ، ويبدو أن العقل الاجتماعي ، والعقل الفلسفي لم يستوعب تفاصيل الحركة الاجتماعية التي تعيد إنتاج نفسها من خلال الاشتغال على التفكير في البنى التقليدية ، وكان من المفترض

بالأحزاب – باعتبار الحزب مثقفاً عضوياً يحمل مشروعاً للنهوض – أن تكثف البحث عن الوسائل المثلى الداعمة لثقافة التسامح وقبول الآخر والاعتراف بوجوده , والتعايش معه , واحترام معتقداته وثقافته , لكون البحث عن العلاقات الشكلية بين مكونات المجتمع المختلفة والدولة وفق المفهوم الحدائي لا التقليدي - وهو المفهوم الذي أفرزته وتفرزه حركة المجتمع – يقود إلى الحديث عن دمج كل الفرق والجماعات والأحزاب في إطار المفهوم الجامع الشامل" للمواطنة المتساوية .

ولعل إشباع مفهوم (المواطنة) تنظيراً وجدلاً وتكثيفاً وتشريعاً وممارسة هو الباب الذي نلج منه إلى البناء الصحيح في توطيد الروابط الاجتماعية، والمشاركة في النشاط الاجتماعي المتنوع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وبحيث نصل إلى حقيقة الاستقرار، والشعور بالوجود لكل أطراف المجتمع وكونه العام فالتعدّد ظاهرة محمودة تمنع الاستبداد، وتحدّ من الطغيان من خلال التدافع الصامت الذي يحدث بين مؤسسات الدولة المختلفة وبين المؤسسات المدنية والذي يحدث بشكل غير مباشر وبصورة بينية.

ويمكن القول أن الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية – التنفيذية - القضائية – يعمل على تفعيل خاصية التدافع الصامت من خلال المواجهة والاحتكاك بين السلطات، فالسلطات الثلاث تحتك وتتضاد وبما يفضي إلى القول أن الدولة من خلال تعدّد سلطاتها ستحدّ الدولة.

ذلك أن السلطة في ظلّ التعدد والتنوع وفي ظل الأنظمة الديمقراطية الحديثة لها شكلان:

- شكل داخل الدولة.

- وشكل خارجها.

- فالسلطة داخل الدولة - كما يرى ذلك فقهاء القانون - هي للقانون، فالدولة تكون طرفاً دستورياً محايداً، ومسؤولو الصف الأول لن يكونوا إلا موظفين ترتبط سلطتهم بالقانون، وبالفترة الزمنية التي ينصّ عليها الدستور، وبحيث لن يكون بوسع أيّ جماعة أو حزب أو طائفة تجاوز ذلك السقف الزمني.

- أما الشكل الذي خارج الدولة فيتمثل في إعادة توزيع السلطة / النفوذ، بالطريقة التي تحفظ التوازن بين المجتمع الرسمي أي مجتمع الدولة، وبين المجتمع المدني من أحزاب ونقابات ومراكز ومجامع دينية وهذا الشكل يخلق لحظته المتفاعلة مع الزمن ويحدّ من الصراع، ويقلل من ظواهر الطغيان والاستبداد والفساد وبما يتوافق مع المصالح المشتركة والمرسلة للجماعات والكتل التاريخية التي تعمل حركة المجتمع على خلقها في لحظات التحول والتبدل.

- سؤال النهضة:

وفقاً لطبيعة الانسان في اليمن فإن حضور سؤال النهضة في عملياته النفسية والذهنية يرتبط بأجهزة السلطة السياسية ونوعية علاقاتها بحركة المجتمع وتفكيره وردود الفعل العام , فالسؤال في جلّ ضروراته يبحث في طبيعة السلطة السياسية والعلاقات الاجتماعية , فالسؤال النهضوي في جوهره موضوع سياسي في المقام الأول , فهو يضع السلطان والسلطة والسياسة والسياسي والحكم وأدواته وتفاعلاته موضع التساؤل والسؤال نظراً إلى تعدد المرتكزات والمرجعيات النظرية الحضارية التاريخية, وتنوع القوى الاجتماعية/ السياسية في المشهد السياسي الوطني , فسؤال النهضة الوطنية موضوع أو قضية كلية متكاملة المعطيات والابعاد , فالصراع الذي استمد السؤال النهضوي شرعيته منه , يفترض به أن يتخلّى عن أدواته وآلياته القديمة , وعلية أن يتجه إلى البعد المعرفي فيطرح سؤال النهضة في التاريخ والفكر والسياسة والحضارة والاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية والاقتصاد السياسي والفلسفة والعلاقات السياسية بعد أن تفاعل مع هذا السؤال من خلال حالة التفكير للبناءات وخاض الصراع الدامي ووصل إلى خلق حالات جديدة , وتلك الحالات الجديدة حملت روح التوازن الاجتماعي والسياسي وهي تنهياً الآن لتقبل الواقع الجديد الذي تنتظر منه إعادة ترتيب شكل العلاقة الجديدة بين الدولة والمجتمع , وبرؤية ذات توافق وتناغم مع سؤال النهضة الوطنية , ومثل ذلك أمر لا يمكنه الحدوث

دون تفاعل السلطة السياسية مع هذا السؤال الذي يقع بين
فكي قلة المقول والمكتوب حوله , وبين إهمال السلطة
وغياها عن التفاعل معه , فهو غائب في الخطاب السياسي
الرسمي وفي الحركة الفكرية والفنية والأدبية والثقافية , وهو
أكثر غياباً في الخطاب الثقافي والسياسي والاكاديمي ,
وغياب سؤال النهضة المرتبط بعلاقة جدلية بسؤال الازمة
يراكم الأزمات ويواجه باستمرار بمسائل ومشاكل جديدة
تزيد الركام السابق لها تعقيداً .

*** تجديد الاهداف الوطنية: -**

يمكن القول أن اليمن في اشد الحاجة إلى ثورة ثقافية حقيقية
تعيد ترتيب النسق الحضاري والثقافي وتعمل على تحديد
المفاهيم وصياغة أهداف وطنية جديدة، فالذي يحدث هو أننا
واقعون تحت تأثير سياق من التلقي والاتصال باعتبارها
وسيلة تفاعل أساسية بين الجماعات والافراد للتحكم بالأنظمة
المادية والرمزية في السياق التاريخي والثقافي إلى درجة أننا
نتقبل الحدث ونعيد إنتاج دلالاته في وسط زمني مغاير وهو
الامر الذي يجعلنا في تيه دائم وفي حالة إغترابية مستمرة
عن واقعها.

علينا التفكير بمسؤولية معرفية واخلاقية بالغة الاحساس،
فالمجتمعات من حولنا في عالمنا الحضاري الجديد حصلت
على ميزات اجتماعية من القوة، والثروة، والمهارة،

والعقلانية..، ونحن ما نزال ندور حول أنفسنا ونستغرق أنفسنا في الذاتية المفرطة لنخلق منها قداسة وسلطة ومرجعية في حين أننا عاجزون عن ملء الفراغ الحقيقي الذي يشتهي الامتلاء، ونقف في تمترس عجيب وراء الصورة النمطية في أذهاننا عن أنفسنا وعن الآخر وعن الدولة.

- مفهوم الدولة: -

يتغير مفهوم الدولة تبعاً لما هو كائن من حركة وتغير وتبدل وتعدّد، فالوعي الاجتماعي قبل ٢٠١١م وقع ضحية تعسف رسمي متعدد الجوانب والآليات، عمل على إخضاع مشاعر الناس وعقولهم على التصور بأن مفهوم الدولة لا يتجاوز الهيمنة السياسية ومجموعة الرموز التي يخضعون لها كالرئيس والوزير والمحافظ والشيخ الاجتماعي والشيخ الديني، ولكنه من خلال ما نشهده من حركة بدأ يعي وبدأ يقرأ الفروق اللازمة بين مفهوم سلطة الدولة دولة السلطة.

- مفهوم سلطة الدولة: -

مفهوم سلطة الدولة من الناحية النظرية تعني أن جميع أجهزة الحكم فيها من مؤسسات ودستور وقوانين وقيادة سياسية كلها تعمل في منظومة متكاملة بهدف تحقيق غايات الوطن وأهدافه وطموحاته وتطلعات أبنائه، وسلطة الدولة تُعلي من

قيمة المواطن وتعمل على تنمية مشاعر الانتماء، وتقوم على مبادئ فلسفية واجتماعية واقتصادية وسياسية واضحة، يشارك المواطن في صنعها والدفاع عنها من خلال نظام ديمقراطي تعددي يؤكد مبدأ التداول السلمي للسلطة، واحترام الدستور.

والسلطة فيها هي للقانون، وتكون الدولة طرفاً دستورياً محايداً، ومسؤولو الصف الأول ترتبط سلطتهم بالقانون، وهم موظفون وليسوا رموزاً كما نجده في التصور الذهني القديم.

- مفهوم دولة السلطة: -

وتعني من الناحية النظرية أن أجهزة الحكم فيها من مؤسسات ودستور وقوانين وتشريعات تعمل في منظومة واحدة لتحقيق مصالح السلطة الحاكمة وترى الوطن وثرواته ومواطنيه ملكاً لها , وفي نظام دولة السلطة تنعدم مظاهر الديمقراطية ومشاركة المواطنين في صنع وإدارة مستقبلهم, وتتدنّى مشاعر الانتماء ومبادئ وقيم العمل من أجل المصلحة العامة, ويعم الفساد أجهزة الدولة مُشكِلاً تحدياً خطيراً في وجه التنمية , وتقويضاً للعملية الديمقراطية, والحكومة الجديدة وذلك بتعويم المسار, والتقليل من المساءلة , وفيها يتشوه التمثيل النيابي في عملية صنع القرار السياسي , ويصل خطرهما إلى السلطة القضائية حيث تتعرض سيادة القانون للخطر .

- جدلية القديم والجديد: -

مع كل حاله تدافع أو تجدد تنشأ بالضرورة قوة ممانعة تعمل على عرقلة مسار الجديد، وهي حركة وقتية ما تفتأ أن تزول بحكم قانون التأريخ، وتآكل القديم وقوة الجديد وطاقته المتفاعلة مع لحظتها الحضارية التي هي تعبير عنها.

ما هو ثابت أن جدلية القديم / الجديد كثنائية تاريخية مستمرة منذ ظهور الجماعات الاجتماعية البدائية وحتى ظهور الدولة وفق المفهوم الفلسفي والثقافي والمعاصر، قد ظلت كحالة تدافعية تسير وفق سنن كونية ثابتة، فالقديم في أدواته وآلياته وفي أساليبه الحضارية والثقافية لا يصل إلى حالة الفناء المطلق ولكنه يعبد إنتاج نفسه في حاله من حالات التكيف مع مظاهر الزمن الجديد..، وحتى يبلغ الجديد مقاصده عليه أن لا يغفل عن الحقائق التالية: -

١- الماضي يمتد في كل جديد ويفترض ألا يرى الجديد عدميته بل يقول بترميمه وإعادة إنتاجه تخفيفاً لحدة الصراع، ونرى ضرورة تطهير الماضي بالنقد والرؤى الجديدة واستخلاص نافذه منه للمستقبل مع الإيمان المطلق بالتجديد والتحديث وبصناعة اللحظة الحضارية وصناعة المستقبل.

٢- الذات الداخلية مكون أساسي لمصادر الطاقة والإمكانات وإحداث المتغير الحضاري، مع التركيز على تنمية القدرات الذاتية وتفجير إمكاناتها النفسية والذهنية والإبداعية وفي ذات السياق رفض شخصية الأشياء والدولة.

٣- التأكيد على القول أن القيمة المثلى للفكرة ليس في الإشباع الذي تحدثه بل في وظيفتها وقدرتها على التفاعل مع الواقع لحل كل إشكالاته حتى يتجاوب ذلك الواقع مع حاجات الناس وميولهم، ويملك القدرة على إحداث المتغير من خلال مرونته وقابليته للعمل، وتأكيد الطابع الحضاري الجديد.

٤- الوجدان بطبيعته يفرق بين الناس لذلك يفترض التأكيد على العقل باعتباره أداة تمثيل وتوحيد، وهو قادر على فهم الروابط بين الأشياء وخلق روابط جديدة مع التأكيد على دور المدركات في التعبير عن الواقع.

٥- الإنسان هدف التنمية ومحورها وتحديث وظائف مؤسسات الدولة بما يتوافق وهمم الحاجات للإنسان ضرورة حضارية وهمم الحاجات يتطور مع التطور الحضاري والثقافي وتعزيز قيم الانتماء وتصميم

الهوية الوطنية لا يمكن أن يتحقق دون أن يجد الإنسان اهتماماً فورياً في الرؤى والفلسفات والاعراضات تحدث الاشباع اللازم في فراغاتة الوجودية الفيسيولوجية والسيكولوجية وشعوره بالوجود والفاعلية في معادلة الحياة.

- الدولة المركبة ... دولة الشراكة: -

يذهب الكثير الى القول أن الشراكة الوطنية تعني مشاركة كل فئات المجتمع في الثروة والسلطة، ولا يكاد حديثهم ينزاح عن مصطلح التوافق وقبول الآخر في أجهزة الدولة ومؤسساتها، ولا نرى ذلك إلا فهماً قاصراً لا يستوعب الحالة اليمنية في البعد الحضاري والثقافي والتكوين العام للذات اليمنية، وهو تكوين تجاذبته الاحداث المتوالية في السنين والحقب التاريخية المختلفة، كما أنّ ذلك الفهم يظل عاجزاً عن تحقيق الاستقرار باعتباره من الشروط الموضوعية لبناء الدولة وتحقيق القدر الكافي من التنمية والرفاه الاقتصادي.

علينا أن ندرك إدراكاً جيداً , أنّ الشراكة تذهب إلى أبعاد ومفاهيم مختلفة , فموضوعها متشعب وهو في جوهره يعني إحلال قيم مكان أخرى , ومبادئ مكان

أخرى, وإفراغ العصبية من قيمها الصراعية, وإحداث الانتقال اللازم في وجدانها وتصوراتها, توظيفاً للطاقات بما يخدم التنمية, فالعصبية التي تشعر بفقدان القيمة والمعنى في حركة الوجود والحياة تملأ بقضايا الفناء والتدمير, وهي في الوقت نفسه تملك الاستعداد الكافي للاشتغال على القيم التي تعمل على إحياء الناس , وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي, فقضية العصبية قضية وجودية في مقامها الأول, وحين تحتك بالواقع الموضوعي وتصطدم بشروطه القاهرة يشغلها ويعيد ترتيب تصوراتها بما يتسق مع اللحظات الحضارية الجديدة وحينها تبدأ تدبّ حركة الحياة في تصوراتها, وفي تفاعلاتها, وفي السياق تبتعد عن التفكير في وسائل الانتقام والثأر والموت والفناء والدمار, لتبدأ في التفكير في العضلات والمشكلات التي تواجهها وقد تبتكر حلولاً للحياة كما ابتكرت حلولاً للموت والدمار.

أ - العصبية الدينية: -

العصبية الدينية هي من أقوى العصبية التي تعمل على تفكيك الدولة, وتعمل على الاقلاق وزعزعة الاستقرار, ولذلك فالقول بشراكة هذه العصبية في السلطة والثروة وفق شروط التعدد أصبح ضرورة

ملحة , وإذا كان هدفنا هو البناء والتنمية وتحقيق
النفعية والمصلحة المرسله للناس والمجتمع , فمثل
ذلك الهدف يجعلنا نخرج من حالة المكابرة والممانعة
لنعترف بسلطة العصية الدينية كسلطة أمر واقع لا
يمكننا مهما بلغت بنا القوة تجاوزها , ولذلك
فلا اعتراف بهذه السلطة هو الطريق الأمثل لتوظيف
طاقاتها الانفعالية في جوانب التنمية والخير , بدلاً عن
جوانب التدمير والشر , ومثل ذلك يقودنا إلى الحديث
عن كيان مؤسسي ديني قائم على مبدأ الحوار
والتوافق والجدل الفكري والفقهي والبحثي , يضم في
تمثيل متساوٍ وعادل كل الفرق والطوائف وتكون
رؤاسته دورية, ويشرف على الجوانب الدينية
والاجتماعية ويكون مسؤولاً مسؤولية مباشرة –
تشريعاً وتنفيذاً – عن الأوقاف والزكاة, والفتوى,
والمساجد, والمدارس والكلية الدينية, الجمعيات
الخيرية والاجتماعية والتنمية, وصندوق الرعاية
الاجتماعية, والحج والعمرة , ويتولى تقديم الخدمات
الانسانية والثقافية والاجتماعية لذوي الاحتياجات
الخاصة, ومن خلال التفاعل والاحتكاك بين الفرق
والمذاهب قد نشهد تنافساً اخلاقياً, وهو الامر الذي
يعكس نفسه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية,
وبحدث قدراً كافياً من الانتقال في الحياة الاجتماعية,
كما أنه يوفر ضابطاً أخلاقياً وقانونياً لحركة المجتمع
التي تشهد تشوها في جوانبها الانسانية والاخلاقية,
وهو الامر الذي ترك أثراً على الابعاد الحضارية,

وبمثل ذلك نكون قد حققنا بعداً مهماً من أبعاد فلسفة الشراكة من خلال التوظيف الأمثل للنزعات الفطرية والثقافية لبعض مكونات المجتمع .

ب - العصبية الاجتماعية القبلية: -

ندرك أن " العرف " في اليمن له قوة القانون ونفاذه , وأن البنية الاجتماعية هي الأكثر تأثيراً في المسارات العامة , وأن القبيلة ذات امتداد تاريخي متجذر , ومعيار القوة هو ديدنها في المستويات الحضارية التي وصلت إليها , ولذلك يصبح توظيف العصبية الاجتماعية كرديف للجهاز الأمني والعسكري وفق آلية تناغمية تتسق والاستعدادات الفطرية والنسق الحضاري التاريخي أمراً مهماً , توظيفا للطاقات , وبما يخدم أهداف التنمية وبحيث تنشأ مؤسسة رسمية منتخبة تتكامل مع المؤسسة العسكرية والأمنية , وبحيث يكون العرف متأزراً مع القانون أو متكاملأ به ومعه , لتحقيق حالة الاستقرار في الوطن, وكل ذلك لا يحتاج إلا إلى تجديد وظائف مصلحة القبائل وتوظيف موازنتها بما يخدم حالة الانسجام والتناغم المجتمعي , بحيث ترتبط المؤسسة الاجتماعية بالمؤسسة الأمنية ارتباطاً عضوياً وتكاملياً ووظيفياً , ويكون التمثيل فيها تمثيلاً عادلاً للجغرافيا الوطنية , وبحيث تكون المسؤولية الوطنية والاخلاقية مسؤولية

مشتركة بين المجتمع التقليدي والمجتمع الرسمي ,
وهو الأمر الذي يحقق الشعور بالقيمة وبالمعنى ,
ويحد من الظواهر السلبية ويحدث القدر اللازم من
التناغم والاستقرار .

ج - المجتمع المدني:

من المسلمات أنّ اليمنى التاريخى يكاد أن يشمل كل
الجزيرة العربية , ومثل ذلك الشمول والاتساع كان له
أثره المباشر فى التكوين الثقافى , وفى التداخل
الحضارى بين الحضري والمدري فى التجاذبات
الجدلية المتصلة بالآخر , فالتعدد الثقافى كان أكثر
تجذراً وأكثر حضوراً , إذ ثمة تأثير للزبورية ,
والتوراتية وللأكسومية الأنجيلية و للهندية ,
وللمجوسية , وللرومية فى الاطراف الشمالية ...
فالتعدد الثقافى كان سمة بارزة فى التكوين الحضارى
والثقافى اليمنى , وكان سبباً فى حالة الاتصال
والفصل التاريخى كما أنه ألقى بظلاله على البعد
الاقتصادى الذى توزعته ثنائية الانتاج / الغنيمة ,
والقاسم المشترك بين كل ذلك التنوع والتعدد هو روح
ال عمران الذى أسس لقيم تشاركية وتفاعلية ظلت ثابتة
فى وجدان الانسان إلى وقت قريب .

ومن البديهي القول اننا نعيش اليوم واقعاً حضارياً غير مستقر ولا نشترك مع كثير من الطوائف والاحزاب والجماعات في المعتقدات والقيم، وقراءة أبعاد وآفاق الواقع الجديد بوعي الاستقرار.. بجعلنا امام مهام ثقافية وأهداف ثقافية جديدة علينا التعامل معها وفق ضرورات ومتطلبات الحاضر والمستقبل لا وفق فقه الصراعات الذي ظل مهيمناً على تفاعلاتنا المختلفة طوال عقود.

١- الاحزاب السياسية: -

في اليمن عدد من الاحزاب تمتد من أقصى اليمين الى أقصى اليسار وهذه الاحزاب كانت تعبيراً عن مرحلة تاريخية فارقة في التاريخ العربي المعاصر , وهي ترتبط بعصر النهضة وبشروطه الموضوعية , ولم تعد تعبيراً عن الزمن الحضاري الجديد والمتعدد, والذي يتسم بعدم الثبوت والاستقرار, وهو الأمر الذي يبعث أسئلة الزمن الجديد الذي يتفاعل مع المستويات الحضارية المتعددة في العالم من حولنا , فاليمن يريد نشاطاً منتجاً لعوامل النهضة لا معزراً لثقافة الغنيمة والصراع العدمي ., فكل حزب يتحدد وجوده بقدرته على الاشتغال على ثقافة المشروع النهضوي وفي غياب ثقافة المشروع يكون الفناء هو الحاضر الوحيد .

٢- النقابات المهنية: -

شابت المرحلة التي بين (٩٠ - ٢٠١١ م) حالة تشوه للعمل الثقافي في اليمن، وتنافست الاحزاب على النقابات المهنية لأغراض سياسية وكيدية، وغاب عن بال الاحزاب حركة المجتمع وتنميته لأغراض تنافسية وإنتاجية، ولذلك تعددت التعبيرات النقابية بتعدد النفوذ عليها، بهدف ممارسة الضغط والكيد السياسي، وربط التجمعات والمؤسسات المدنية بأهداف ثقافية واقتصادية واجتماعية ضرورة ملحه في التمهيد للانتقال للمجتمع المدني المدرك لواجباته وحقوقه وفق أسس وقيم إنتاجية مع مراعاة الجودة والتحسين في المنتج.

ويتطلب مثل ذلك وعياً بضرورات المرحلة ومهاداً قانونياً وتشريعياً يعيد ترتيب بيئة المجتمع المدني بما يتوافق وتطلعات المرحلة.

٣- الجمعيات والمراكز والمؤسسات الحقوقية

والثقافية والاجتماعية: -

انتشرت في العقود الماضية الجمعيات والمراكز والمؤسسات الحقوقية والثقافية والاجتماعية والقارئ لتمدوجات النشاط الذي حدث ويحدث يجده مرتبطاً بأهداف وغايات ومقاصد غير وطنية , وفي السياق اتساع دائرة

وعى الغنيمة عند نشطاء هذا العمل وهو الأمر الذي أحدث تشوهاً في البناء الاجتماعي المدني وأحدث تنافراً بينه وبين الاهداف والمقاصد الوطنية , ولذلك يمكن أن يقال أن المجتمع المدني باليمن ما يزال في طور التكوين وصناعته وتحديد مساراته بما يتوافق وأهداف التنمية والانتقال يتطلب اشتغالاً فكرياً وثقافياً واشتغالاً تشريعياً وبحيث يتكامل البناء المدني مع المنظومة المتكاملة لمشروع النهضة ويكون مرتبطاً بالأهداف الوطنية الكبرى .

- الحالة الاقتصادية الوطنية:

من الظواهر الغرائبية في هذا الوطن أنه لم يتمكن من تكوين بنية اقتصادية ناهضة وقادرة على تفعيل وتنشيط الواقع الاجتماعي بما يحقق عيشاً كريماً، وبما يعزز الفلسفة الانتاجية وهي أصيلة في التكوين البنائي الثقافي والحضاري اليمني.

كل ما يمكن أن يقال أن ثقافة الغنيمة كانت هي المسيطرة على مفاصل الانظمة والحكومات , وعلى سياساتها العامة طوال عقود من الزمن, ولذلك لم تتجاوز المنظومة الاقتصادية الوطنية ظاهرة الاقتصاد السياسي , الذي يراعي تناقض الظاهرة الاجتماعية , ومحوره فيها النظرية الكمية والنظرية الموضوعية في القيمة , ولذلك ظلّ الحال الاقتصادي الوطني يراوح دائرة تجدد إنتاج التخلف , إذ أن

الذي يحدث أننا لا ننتج سلعاً أو خدمات , ولكننا قد ننتج قيمة زائدة – وفق منطق أرباب الاقتصاد – وتلك القيمة الزائدة التي ننتجها لا تقتصر على العمال والبطالة – بل قد تشمل المجتمع بأسره لكون موجهاته الثقافية قائمة على مبادئ الفيد والغنيمة ولا قيمة عندها للعملية الانتاجية , ومن هنا تتجدد ظاهرة إنتاج التخلف , فالكادر المتخصص في المجالات المختلفة ينتظر الراتب الشهري , والوظيفة والدولة عاجزة من تجديد الاهداف الاقتصادية في سياساتها العامة , وبحيث تولي العملية الانتاجية اهتماماً خاصاً في تفاعلاتها الاقتصادية, وترصد لذلك مبلغاً محدداً لمرة واحدة للاستثمار في حقل إنتاج السلع المادية , وحقل إنتاج الخدمات , وتعمل على شرعنة تلك الخطوات الرامية إلى تعزيز ثقافة الانتاج , وبما يحدث توازناً اجتماعياً ونمياً في العملية الانتاجية في بعديها المادي والخدمي , فالطبيب , والمحامي , والمهندس ... وغير أولئك طاقات قادرة على الانتاج في البناءات المؤسسية والتحول من كشف القيمة الزائدة إلى حقل التفاعل الانتاجي الخدمي الذي يستوعب الكثير من الطاقات القادرة على التفاعل والانتاج , كما انّ الاشتغال على القطاعات الانتاجية (الزراعية – والصناعية – والخدماتية) وفق رؤية تتجاوز قيم التخلف وعلاقات الانتاج القديمة وتعمل على تجديد الاهداف والعلاقات والنظم في البناء التشريعي قد يخرجنا من دائرة إعادة إنتاج التخلف, ودائرة الاقتصاد السياسي الذي ما يزال يفرض ثنائية التسلط والخضوع , وتلك الثنائية ذات بنية متينة , وعملية تفكيكها يتطلب جهداً مضاعفاً وتوجيهاً نقدياً وإرادة سياسية , وطاقات قادرة على

الابتكار والإبداع , لأن العقل السليم يعتد بذاته ويبتكر الحلول الموضوعية لواقعه الموضوعي بما يتناسب مع ذلك الواقع لا بما قد تفرضه النظريات الاقتصادية والفلسفية التي إن كانت تصلح لبلد فهي بالضرورة لا تصلح لآخر, لاختلاف البناءات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تحدّد الاتجاهات العامة لعلاقات الإنتاج , لأن مثل تلك العلاقات تختلف في إطار القطر الواحد فهي في حضرموت غيرها في تعز , وهي في تهامة غيرها في صنعاء , والتباينات قائمة من مكان لآخر في إطار القطر الواحد فما بالنّا بين الدول والقارات .

ويمكن أن يقال أن ما يحدث من تصدع في جدار الوطن وجدار البنية الاقتصادية ليس إلا نتائج موضوعية ومنطقية لمقدمات تراكمية فسدت خلالها العلاقات السوية بين الطبقات المتصارعة في المجتمع , وبالتالي اختلت منظومة العلاقات بين رأس المال وقوى الإنتاج , وشعر الانسان بالغبن من خلال استغلال رأس المال له واستعباده , كما أن التشريعات لا تعمل على الحد من الصراعات بين الطبقات ولم تضمن الحدود الدنيا للعدالة الاجتماعية , ومشاركة المجتمع في الشراكة الفعلية في أدوات الإنتاج حتى لا يصبح " رأس المال " دولة بين أغنياء المجتمع دون سواهم من السواد الاعظم من الناس , وفي السياق ذاته نتجاوز حدّة الصراع والشعور بالغبن إلى الشعور بالشراكة وضمن الحقوق للعمال وتحسين جودة المنتج .

ومن هنا يمكن أن يقال أنه في الدولة الوطنية المركبة.. دولة الشراكة يفترض لأن تصبح الدولة طرفاً اقتصادياً محايداً من

خلال كسر الاحتكار وتمكين الشركات والمؤسسات المساهمة من إدارة الشأن الاقتصادي المرتبط باقتصاد الدولة والنشاط اليومي للناس، وبحيث ينظم القانون حقوق الاطراف جميعاً ويضمن للدولة حقوقها وقد تصبح حركة المجتمع اكثر ديناميكية ونماءً من خلال الشعور الذي يخامر الافراد بالشراكة والعدالة الاجتماعية ولو في حدودهما الدنيا، إذ من شأن ذلك ان يوفر بيئة مناسبة للاستقرار السياسي.

* القطاعات الانتاجية: -

البناء الاقتصادي في اليمن قائم على مبدأ الاستهلاك وهذه ظاهرة لا يمكن نكرانها , وهو اقتصاد سياسي في المقام الأول يولي ظاهرة التناقض الاجتماعي اهمية بالغة , فهو يساهم في تعميق الانشقاقات والانقسامات في البنية الاجتماعية , وذلك من خلال الصراع بين الرغبة في الثروة , والرغبة في حماية الأقوى والأكثر عدداً وتمكيناً في إدارة الثروة وامتلاكها , وثمة ظواهر في واقعنا المعيش توحى بما يشبه الاقطاع خاصة في القطاع الانتاجي الزراعي إذ ارتبط هذا القطاع بالثروة والسلطة وظل الفلاح يكدح دون طائل , فالاستثمار بالثروة من قبل حفنة يسكنون القصور ويتباهون بالمنمنمات هي الباعث الحقيقي لحركة الانقسامات الاجتماعية و السياسية , ومن هنا يصبح القول بمعالجة المنظومة الاقتصادية على أسس واضحة من الشراكة الوطنية والعدالة الاجتماعية ضرورة ملحة , إذا أردنا

الانتقال إلى الدولة المدنية الحديثة القائمة على مبادئ الحق والعدل وتكافؤ الفرص والش

- القطاع الزراعي: -

القطاع الزراعي في اليمن من أكثر القطاعات الانتاجية حيوية وديناميكية في اليمن ويتجه إليه نسبة كبيرة من السكان , وتنمية هذا القطاع لا تتطلب أموالاً إضافية وموازنات خيالية, بل تتطلب توظيفاً حقيقياً للإمكانات, وتحقيقاً حيوياً للشراكة في معناها الفلسفي العام , بحيث تنشأ جمعيات زراعية منتخبة في كل إطار جغرافي زراعي تدعمه الدولة بالمباني والمرشد الزراعي وبالآليات الحديثة التي تحد من تكاليف الانتاج الباهظة , وكل جمعية معنية بالتحديث وتجويد الانتاج والتسويق والتعليب والتغليف والتصنيع وبحيث يكون الفلاح – عضو الجمعية العمومية – معنياً ومساهماً في كل حركات الانتاج وفق أسس ونظم الشركات المساهمة , وحين يصبح الفلاح جزءاً مفصلياً ووجودياً في حركة الانتاج تنشط الطاقات الانتاجية التنافسية , وتتحسن شروط الجودة , وحين يصبح المنتج وفق أسس ومتطلبات ومقاييس الجودة يفرض سوقة ولا يبحث عنه .

١-الثروة الحيوانية: -

هذا القطاع من القطاعات المهمة في اليمن ولكن الملاحظ أن السياسات العامة لليمن لم توله الاهتمام، لذلك فهي تستورد اللحوم والاجبان من الخارج، ولم تصل يد المستثمر والاستثمار والتحديث إلى الثروة الحيوانية وتنميتها، وبما يحقق الاكتفاء الذاتي، وإحداث الانتقال من مراتب الاستهلاك إلى مراتب الانتاج وفق آليات وأساليب ونظم المزارع النموذجية الحديثة لا يتطلب إلا نوجهاً رسمياً ودعماً وتوظيفاً حقيقياً لرأس المال الذي يستورد السلعة بحيث يتحول من بند الاستهلاك إلى بند الانتاج.

٢- الثروة السمكية: -

الثروة السمكية ثروة مهددة في اليمن وقد تعرضت للنهب والتدمير وهي بحاجة إلى إعادة ترتيب أسسها وفق أسس ومبادئ الشراكة الوطنية وبحيث يصبح الصيد جزءاً من المنظومة الانتاجية والتسويقية وليس فرداً مستغلاً، وتحديث نظم وآليات الصناعة في المجال البحري وبما يحقق الرفاه على فئة الصيادين والأمن النفسي والاجتماعي.

- القطاع الصناعي: -

القطاع الاقتصادي الصناعي في اليمن ظل بعيداً عن حركة التطوير والمنهاج العلمي , وهو في جل حالاته يعيش أجواء المزاحمة وفوضى الانتاج الأمر الذي جعله يتمحور في بؤر

بعينها دون أن يجتازها , والملاحظ اغتراب رأس المال الوطني عن امتداده الحضاري والتاريخي , وهو الأمر الذي جعل أثره الاجتماعي والتفاعلي غير ذي جدوى , كما أن نفعيته لا تتجاوز دائرة الوعي الصحراوي أي دائرة الاقتصاد " الريعي " أو الاقتصاد المعاشي المرتبط بالحياتي واليومي وهو لا يترك أثراً على حياة الانسان الذي يتفاعل معه على وجه العموم , ولكنه قد يخلق حالة إقطاعية جديدة من خلال الأثر السحري المباشر في التأثير على البعد السياسي مما يجعل دائرة الصراع الوجودي للجماعات أكثر اتساعاً , ومثل ذلك يضعنا امام سؤال تقريب ابعاد دائرة الصراع , وتقريب ابعاد دائرة الصراع يتطلب ابعاداً تفاعلية رؤية حيوية وشراكة تجعل الاحساس بالقيمة والمعنى والفاعلية أكثر اتساقاً مع السياق الحضاري والثقافي والتاريخي .

وحين نشير إلى السؤال الحضاري والثقافي فنحن نأخذ بأسباب النهوض , فالجماعات المتجانسة ثقافياً – أي من حيث أدوات الانتاج وعلائقه – حين تصبح عضواً في الشركات وفي المصانع وفي المؤسسات تشعر بحضورها وفعاليتها وتموت في داخلها وعوالمها الوجدانية والذهنية مفردات الاستغلال , وانتقاء روح الاستغلال مع العلاقات الانتاجية يحد من ظواهر العنف ويعمل على تنمية عوامل الاستقرار لحاجة الجماعات إليه , كما أن الاحتكاك بقضايا الانتاج وعلائقه وتنميته يعمل على التحديث والتطوير وتجويد المنتج كون مثل ذلك يصبح اهتماماً جمعياً شائعاً في الجماعات ذات التجانس والمهني .

لذلك نرى ضرورة تنمية اقتصاد الجماعات وتطويره وتحديثه وبما يجعله متناغماً مع ضرورات العصر الذي نعيش لأنه يساهم في عوامل الاستقرار ومربعات النمو.
مع التأكيد على المحددات الموضوعية التالية: -

١- الخروج من دائرة الاستهلاك إلى دائرة الانتاج ومن دائرة إدارة التناقضات الاجتماعية إلى الدائرة الوطنية الصرفة.

٢- أن يرتبط اقتصاد الدولة بالشركات الوطنية المساهمة دون سواها والعمل على تهيئة البيئة المناسبة للسوق المالية

٣- توجيه رأس المال الوطني ومساندته في إنشاء الشركات والمؤسسات الانتاجية المساهمة والعمل على الحد من فوضى الانتاج والمزاحمة وتشوش الانتاج وذلك من خلال أسس ومبادئ الشراكة الحقّة.

٤- تنمية المجتمعات المحلية في المحافظات والوحدات الإدارية بما يتوافق ومقومات البيئات المحلية الاقتصادية من خلال إنشاء الشركات الوطنية المساهمة في القطاعات المختلفة وبحيث تتكامل البيئات في القطاعات المختلفة، وتشعر بجزئيتها في البناء الكلي للهرم الاقتصادي الوطني وبفاعليتها.

٥- تشجيع القطاعات الخدمية المؤسسية التي تساهم في تجديد أهداف المجتمع المدني الذي تنشده وتجديد العلاقات وإعادة تعريف الدولة في المفاهيم والغايات والعلائق والمقاصد العامة.

٦- التأكيد على الشركات الوطنية المساهمة في إدارة التفاعل الاقتصادي وتحويل الدولة إلى طرف اقتصادي مساهم وشريك مع المجتمع وليس محتكراً لمقدراته فقد ثبت فشل احتكار الدولة في إدارة السوق.

- القطاع الخدمي: -

تحدثنا أن الدولة الوطنية الحديثة ... دولة الشراكة تتحول السلطة فيها إلى طرف دستوري وقانوني محايد , والسلطة فيها ترتبط بالقانون , ومثل هذا المفهوم يحدث تبديلاً ذهنياً وعلائقياً , ويتطلب ترتيباً للانتقال إليه , ومهاد تشريعي وثقافي , وتبعاً لمفهوم الشراكة الوطنية في البعد الفلسفي يصبح المجتمع شريكاً للدولة في صناعة التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية , وفق أسس ومبادئ وأهداف وطنية حديثة وعامة , والانتقال إلى أسس ومبادئ الشراكة لا يكون عفو الخاطر أو ترفاً ولكنه وفق أسس تشاركية واضحة تحقق النفع العام وليس الخاص .

ومن هنا يمكن أن نقول أن تجديد الأهداف الاقتصادية في السياسات العامة للدولة أصبح أمراً وضرورياً بحيث تولي العملية الانتاجية اهتماماً خاصاً وبارزاً في التفاعلات

الاقتصادية وترصد لذلك مبلغاً محدداً لمرة واحدة للاستثمار في حقل إنتاج السلع المادية , وحقل إنتاج الخدمات وتعمل على شرعنة تلك الخطوات التي ترمي إلى تعزيز ثقافة الانتاج وبما يحدث توازناً اجتماعياً , ونمَاءً في العملية الانتاجية في بعديها المادي والخدمي فالطبيب والمحامي والمهندس والاعلامي والتربوي وغير أولئك من المخرجات التعليمية الجامعية طاقات قادرة على الانتاج في البناءات المؤسسية , والتحول من كشف القيمة الزائدة – قاعدة البيانات للخدمة المدنية – إلى حقل التفاعل الانتاجي الخدمي الذي قد يستوعب الكثير من الطاقات القادرة على التفاعل والانتاج .

وتفعيل حقل الاستثمار في المجال الخدمي في شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية يساهم بقدر وافر على تجويد الخدمة وتفعيل خاصيتي الابداع والابتكار للوصول إلى حال التميز الذي يمهد للسيطرة على السوق المستهدفة من النشاط، والتميز حالة وجودية في السوق الحديثة يركز على وجود الشركة أو المؤسسة الخدمية أو غير الخدمية في مواجهة المتغيرات والمنافسين.

ومن خواص القطاع الخدمي أنه يسعى إلى التفرد بمميزات خاصة ونقاط قوة بصعب التوصل إليها، ذلك أنه إذا لم يتميز بأسرار مهنية أو ابتكارية فإنه يكون عرضة للتقليد من قبل المنافسين ولذلك فالقطاع الخدمي الذي ينجح اقتصادياً هو القطاع الذي يقدم منتجات تحتاج إلى جهد بشري وعقلي ويعتمد على جوانب المعرفة البشرية ويقدر الطاقات

الإبداعية والابتكارية ومثل ذلك يعكس نفسه على جودة التعليم ويعزز من الاهتمام بالإنسان كثروة حقيقية لليمن.

- بناء الدولة الحديثة:

تحدثنا عن الدولة الوطنية المركبة.. دولة الشراكة وقلنا ان الثروات تحدث تبديلاً في شكل العلاقة بين الدولة والمؤسسات الاجتماعية والثقافية وبين فرق طوائف المجتمع، فالتبدل والتغير من خاصية الثورات التي تحدث وفق فطرة الله في التدافع خوف الفساد والثبات ووفق فطرته وإرادته في احداث الانتقال من طور إلى آخر في حياة بني الانسان، ولعل القارئ لمستوى الحركة الاجتماعية والثقافية والسياسية في اليمن يدرك الاثر الذي تركته الاحداث في شكل العلاقة بين الدولة والمجتمع ومدى التبدل في البناء وهو الأمر الذي يضعنا أمام سؤال المستقبل.. ومن هنا علينا أن نعي جيداً أن بناء الدولة وبناء المؤسسات وتحقيق دولة القانون، هو الضمان الاكيد لمنع الولاءات للانتماءات الأضيق الاحادية والعزلة... ولن يتحقق ذلك إلا من خلال البنية التشريعية التي تحقق الانتقال والاندماج لكل الطيف المتعددة والمتمثلة في الدستور، وإدارة الحكم، والتمثيل النيابي والمحلي، وتنظيم المؤسسات المدنية، وتعزيز الاهتمام بالبنية الثقافية، ولذلك نعتقد أن بناء الدولة يجب لأن لا يغفل المحددات الموضوعية التالية من حيث التحديث والبناء: -

١- الفصل بين السلطات الثلاث (التنفيذية – التشريعية – القضائية) والتأكيد على حيادية المؤسسة العسكرية الامنية كمؤسسة وطنية ذات أهداف وطنية من حيث حماية السيادة الوطنية وحماية الدستور.

٢- إعادة تعريف الدولة والعمل على تجديد الاهداف والوظائف وهيكله المؤسسات والجهاز التنفيذي بما يتوافق ومتطلبات المرحلة وضرورتها.

٣- الاهتمام بهرم الحاجات للإنسان وربطها بالأهداف والسياسات العامة فالامتلاء يحقق طاقة إنتاجية وتنموية غير متوقعة.

٤- التأكيد على الانتقال من اقتصاد إدارة التناقضات إلى الاقتصاد الوطني وبما يكفل حركة ونماء وتطورا ويحقق عدلاً ووجوداً للأفراد والجماعات.

٥- الاهتمام بشريحة العمال وتجديد وتحديث المنظومة التشريعية ورسم السياسات التي تحقق الاستقرار النفسي والاجتماعي للعمال باعتبارهم الطاقة الفعلية التي تدير اقتصاد الوطن.

٦- ترتيب حالة الانتقال إلى المجتمع المدني تشريعياً وتنظيمياً وبما يحد من حالة الفوضى ورغبات الكيد السياسي للأحزاب.

٧- الوقوف أمام الظواهر التي تهدد المستقبل والتنمية كظاهرة التمدد الأفقي للعمران ووضع التشريعات اللازمة التي تجرم البناء في الاراضي الصالحة للزراعة وتنشيط السوق العقارية والاهتمام بالبناء الرأسي.

- الحالة التشريعية الانتقالية:

يرى أرباب الفلسفة أن هناك ثلاث حالات تمر بها الحضارات البشرية , ولكل حالة قانونها الذي تفرضه الظروف العامة التي تمرُّ بها تلك الحالات , ويرى ابن خلدون في مقدمته أنّ الحالة التشريعية الانتقالية هي التي تعقب - في تقديره - الحالة اللاهوتية والعسكرية , وتسبق الحالة الوضعية والصناعية التي يتغلب فيها تقدم المجتمع بفضل تقدم المعرفة و اتساع دائرة العلوم ومقاربة ابن خلدون هي الأقرب في التعبير عن سياق نمو المجتمعات القبلية العربية التي تشهد انتقالاً متسارعاً إلى الحالة التشريعية العقلانية بالتوازي مع نمو وتطور قيم الانتاج وعلاقته وأدواته وتوسع دائرة التجارة والاسواق .

و المتأمل في اللحظة السياسية التي تمر بها اليمن يدرك ان جدلية الحالة التشريعية الانتقالية أصبحت تفرض ضروراتها الموضوعية على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي فاليمن مرّت بالحالة اللاهوتية منذ (٢١ فبراير ٢٠١٢ م) إلى (٢١ سبتمبر ٢٠١٤ م) ثم الحالة العسكرية منذ ٢١ سبتمبر ٢٠١٤ م إلى زمن كتابة هذا في يوليو ٢٠١٥ م) وماتزال مستمرة , ووفقاً لنظرية تطور الحضارات فالحالة العسكرية تمهد للحالة الوضعية والصناعية التي يتحول فيها المجتمع ويتقدم بفضل تقدم المعرفة واتساع دائرة العلوم – ولذلك يمكن أن نقول أن اليمن في ثورة (٢١ سبتمبر ٢٠١٤ م) كان يحث الخطى للخروج من الحالة اللاهوتية إلى الحالة العسكرية التي تمهد للحالة الوضعية والصناعية , وهي حالة الانعتاق من رقّ الحاجة والتفاعل مع اقتصاد السوق وبحيث تتوافر في تفاعلاته طاقة تعمل على إنتاج نظام اقتصادي / اجتماعي متوازن يكفل وجود الجميع ويعترف بالكل ولا يقصي احداً .

وقد أدركنا خلال تموجات الاحداث في بداية النصف الثاني من عام ٢٠١٤ م حاجة الجماهير التي ملأت الساحات والميادين إلى الانتقال من التشريع اللاهوتي إلى التشريع العقلاني بحكم حالات الانتقال والتطور التي يشهدها المجتمع , إذ أن التشريع اللاهوتي تفاعل مع الاقتصاد البسيط أي اقتصاد ما قبل الصناعي وذلك التفاعل كان الحالة الصادمة للجماهير العريضة وهو الباعث لها على الخروج في (يوليو , اغسطس, سبتمبر ٢٠١٤ م ,) وكان خروج الجماهير اليمنية بحثاً عن وجودها في تراكمات اللحظة الحضارية

الجديدة , لحظة الانتقال إلى الحالات المركبة والتعايش والاعتراف بوجود الآخر وبحقة في الوجود والتفاعل والمشاركة,

وكانت حاجة المجتمع وحاجة الجماهير أكبر من تشريعات فقهاء القرن الثالث الهجري , بحكم حالات التدرج والانتقال التي تمرّ بها المجتمعات , فكل مرحلة تفرض ضروراتها وتشريعاتها والعمران البشري – كما يقول ابن خلدون – لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره , وتلك السياسات لم يخض فيها العقل التشريعي الإسلامي (العقل الفقهي) التاريخي ولذلك نجد اغتراب الحركات السياسية الدينية عن واقعها المعاصر لتغليبها النقلي / النصي , على العقلي / التجريبي في منهجها التعامل والتفاعلي مع العصر .

ما يفترض بنا أن ندركه إدراكاً واعياً و كلياً أن حركة الشارع في عام ٢٠١١م أحدثت ثورة حقيقية في المفاهيم و الوعي , لذلك فأطر الاندماج الاجتماعي التقليدية التي شرعنت الاستبداد وسوغته لم تعد قائمة , وأصبحت الجماهير المنتفضة والثائرة أكثر تكيفاً مع أطر وأشكال الاندماج الاجتماعي التعددي الأكثر قبولاً والاكثر ديمقراطية .

والتعدد بطبيعته يعمل على تفكيك المنظومة الثقافية المألوفة والعامّة السائدة في المجتمعات التقليدية زمن الاستبداد، حتى يتمكن من شرعة العودة إلى أطر الانتماء الطائفي والعرقي والسلالي والجهوي وهو الأمر الذي حدث فعلاً في كل دول الربيع العربي، وظاهرة التحيزات الثقافية والعرقية والسلالية

تفضى بنا إلى القول أنّ ثمة مستجدات قد حدثت - وهي مستجدات متواترة - ولا يمكن القفز على حقائقها الموضوعية في الواقع الذي نعيش، ومثل تلك الحقائق الموضوعية لا يمكن التعامل معها إلا في إطار دولة ديمقراطية مستقرة.. دولة وطنية مركبة.. دولة شراكة تتأسس على مبدأ الثقة في القضاء النزيه و العادل , واحترام المصلحة الوطنية المرسله بعيداً عن حالات الاغتراب - واعني بالاغتراب الانظمة والقوالب الجاهزة التي تتضاد مع طبيعة بعض المجتمعات إن كانت تصلح لبعضها - وبناء الدولة وبناء المؤسسات وفق ضرورات وشروط الواقع لا وفق ضرورات وشروط الانظمة والنماذج والقوالب الجاهزة هو الضمان الاكيد لمنع الولاءات للانتماءات الأضيق والاحادية والعزلة وذلك من خلال التأكيد والاشتغال المكثف على دولة القانون ولن يتحقق ذلك إلا من خلال البنية التشريعية التي تحقق الانتقال والاندماج لكل الطيف المتعدد والمتمثلة في الدستور وإرادة الحكم والتمثيل النيابي والمحلي وتنظيم المؤسسات المدنية وتعزيز الاهتمام بالبناءات الثقافية.

- سؤال الدولة الوطنية الحديثة:

علينا أن ندرك أن مخرجات الحوار الوطني لم تكن إلا تعبيراً عن سؤال النهضة الوطنية الذي استمد شرعيته من حركة تاريخية معقدة تصارع فيها السياسي / الاجتماعي , الاقتصادي / الثقافي بأدوات مخلفة ولأسباب متباينة , لذلك

كانت طبيعة الحوار تدور حول السلطة والمجتمع والثقافة والاقتصاد والفلسفة والتاريخ وقد تعددت القراءات من منظورات المدارس الفكرية المختلفة لكون الموضوع – أي موضوع سؤال النهضة – كان يرتبط بإمكانات مصيرية كالوحدة , والتراث , والتقدم , والديمقراطية , والعقلانية , والحدثة , والمعاصرة والاصالة..... الخ .

وأمام مثل ذلك تتطلب المرحلة البحث في طبيعتها الفاصلة والتاريخية التي أفرزت تبايناً وفرضت سؤال النهضة على طاولة الحوار .., وسؤال النهضة الوطنية على علاقة جدلية بسؤال الأزمة , إذ أنّ الأزمة الوطنية بشروطها ومظاهرها وآلياتها ومضاعفاتها ظاهرة كلية معقدة وهي بالضرورة أزمة واقع وأزمة فكر .

وسؤال النهضة الوطنية قضية كلية متكاملة المعطيات والابعاد , فالصراع الذي استمد السؤال النهضوي شرعيته منه , يفترض به أن يتخلّى عن أدواته وآلياته القديمة وعليه أن يتجه إلى البعد المعرفي , فيطرح سؤال النهضة في التاريخ والفكر والسياسة والحضارة والاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية والاقتصاد السياسي والفلسفة والعلاقات السياسية بعد أن تفاعل هذا السؤال مع حركة الصراع وحالة العدوان التي تزعمته السعودية ووصل به الحال إلى خلق حالات جديدة وتلك الحالات الجديدة حملت روح التوازن الاجتماعي والسياسي وهي تنهياً الآن لتقبل الواقع الجديد الذي ننتظر منه إعادة ترتيب شكل العلاقة

الجديدة بين الدولة والمجتمع وبرؤية ذات توافق وتناغم وهو الأمر الذي أجهدنا فكرنا فيه .

وسؤال النهضة يضع كل مؤسسات الدولة القائمة تحت دائرة علامات الاستفهام وهو معني بتوليد الأسئلة عنها كما أنه معني بالحدثة وتجديد الاهداف والوظائف إذ بلغ الحال ببعض المؤسسات وخاصة المصرفية والاقتصادية درجة فقدان الفاعلية والتعطيل وأمر ترتيبها وتجديد وظائفها واهدافها مطروح منذ زمن ولا أحد يلتفت إليه وقد آن للدولة الحديثة أن تجيب على كل الأسئلة وربطها باهدافها الوطنية الحديثة.

- الخاتمة:

تسعى هذه المقاربة إلى تسجيل حضور فكرة البناء والعمران إلى جانب فكرة الهدم والفناء التي كانت حاضرة بقوة منذ عام ٢٠١١م وقد كان القول بسقوط الايديولوجيا في ٢٠١١م هو بداية الانهيار للبناءات العامة في اليمن، كما أن غياب المفهوم للمصطلحات السياسية كان تيتها ظل الوطن يتخبط في أدغاله ردهاً من الزمن .

لقد أصبح الاشتغال على فكرة المجتمع ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية واصبح الاعتراف بالدور الريادي للمثقف والمفكر وتفجير الطاقات الذهنية والفكرية والإبداعية وتحقيق حضوره الاجتماعي والسياسي من متطلبات المرحلة بعد أن

ظل هذا الدور مغيباً رديحاً من الزمن وهو المقدمة التي كانت نتائجها حالة الدمار الشامل الذي وصل إليه اليمن .

لقد أثرت سؤالاً في هذه المقاربة , وهو السؤال الذي يطرق في نافذة الحاضر وباب المستقبل , وهذه القطرة التي سحّت في لحظة فارقة ستصبح سيلاً بتضافرها مع القطرات الأخرى لتروي ظمأ اليمن الحضاري والثقافي والوجودي .

الفصل الثاني

تحليل الظواهر

التفكير والتحليل للظواهر

"الفكر يغامر بنفسه في سبيل صناعة المستقبل
والسياسة تقامر بالحاضر لتربح رهان المستقبل "
" د. عبدالسلام المسدي "

يقال أنّ التفكير هو تنفس العقل , وإن توقف اختنق العقل ,
والتفكير هو الذي يهب المعلومات معنى , ويجعل للمعرفة
مغزى , فالمعرفة دائماً تكشف لنا عن مغزاها من خلال
التفكير ويبرز معنى المعلومات بما يقوم به التفكير من
عمليات التحليل , التنظيم, والتجنيب , والتعليم, وقد قيل أنه
يمكن للمرء أن يعيش حياة أفضل تلبي رغباته , وتحقق ذاته
, إذا ما نجح في تنظيم تفكيره, وإخضاعه لقدر من الانضباط
والتوجيه , ولنا في السيرة النبوية عبرة وعظة وفي صلح
الحديبية لنا كتاب مفتوح نقرأ فيه تنظيم التفكير وكيفية
إخضاعه لقدر من الانضباط والتوجيه, فالقوة أو الحرب قد
تكون خياراً لا بد منه كما في غزوة أحد وبدر وحنين, ولكنها
ليست خياراً كما في صلح الحديبية رغم القدرة وتوفير
الامكانات .

فالمعرفة هي القدرة والقوة التي نستطيع أن نقود بها المجتمع إلى الخير أو إلى الشر , ونقص المعرفة لا يعني الهزيمة النفسية والاخلاقية والثقافية بل يعني قصورنا في التفكير وعدم قدرتنا على استغلال المعرفة التي تحيط بنا من كل صوب واتجاه بما يلبي حاجتنا في حياة كريمة ويوفر لنا الامن والاستقرار , وبالأمن والاستقرار نستطيع أن نصوغ رسالتنا إلى العالم وهي رساله قوامها العزة ومضمونها المحبة والسلام والخير العميم لكل بني البشر الذين تجمعنا بهم إخوة الدين , أو رابط الانسانية كما عبر عن ذلك كتاب الله في خطابه لسيد المرسلين عليه وعلى آله الصلاة والسلام حين قال: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " وقال الإمام علي كرم الله وجهه (الناس إثنان : إما أخ لك في الدين , أو مساو لك في الخلق).

لقد كان قدر المسيرة القرآنية كمشروع حامل للخيرية والعدل والعزة, وللكرامة والسلام , ومشروع ناهض , أن يحتك بالواقع, ويصطدم بالفراغ الذي تركه غياب السلطة بعد (ثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م) فكبر الفراغ على شاغليه , وترك ذلك الفراغ مساحات اشتتت الامتلاء, فكان ذلك الامتلاء من الغث ومن السمين وتراكمت الاخطاء إلى درجة التيه وضبابية الرؤية , وتقديم النموذج الغير صحيح في غالب الأحيان, وشيئاً فشيئاً بدأت حركة المجتمع تتحدث عن تناقضات وتشوهات حدثت وتحدث بفعل غياب التفكير المنظم الخاضع لعمليات الانضباط والتوجيه , والسلطة في كل الاحوال والحقب هي عامل ضعف وهزيمة لأي مشروع ثقافي وفي السياق هي محك اختبار لذلك المشروع إذا

اكتملت مقوماته واتضحت رؤيته وقاده المؤمنون به , لا الذين تفرضهم الضرورة الزمنية عليه .

في تجربة (حزب الله) في لبنان مصادر قوة جعلته عصياً على الذين يستهدفونه من القوى العالمية أو العربية تلك المصادر يمكن اختزالها في مفردة (المعرفة) فهو يدير المعرفة بما يلبي حياة كريمة, وقيمه مثلى, ولم ينفرد بالسلطة يوماً ولا يراها إلا عبئاً يقود الى فقدان القدرة والفاعلية, ونحن لا نقول هنا بالعزوف عن السلطة بل نقول بالحفاظ على القوة من خلال السلوك القويم وتحقيق مبدأ الشراكة الوطنية الحقيقي والواضح, والتفكير الجاد في الوصول إلى صيغه توافقية تضمن أو تكفل ممارسة الكل لنشاطه دون قيد أو انتقاص وفق ضوابط واضحة متفق عليها .

إن فقدان أدوات الحرب من معدات وأليات لا يعني تجرد الجماعات والكيانات - كما يدل التاريخ - من مقومات وجودها , ولكن فقدان المعرفة ,بما تمثله من قوة, هي التجرد الحقيقي من مصادر القوة , ولذلك نرى أن بقاء المشروع الثقافي رهن بحيوية المعرفة, واستغلال المعرفة التي تحيط بنا ,هي الضمان الحقيقي من الفشل الذي يسعى العالم كله للوصول بنا إليه.

فالحرب ليست غاية في ذاتها أو هدفاً , ولكننا قد نجبر عليها , وخيار السلام هو المعنى الحقيقي ولو جاء بشروط مجحفة , كما في صلح الحديبية .

قدرتنا على الحفاظ على بوصلة التوازن النفسي والسياسي والثقافي هو الخيار الامثل , أما السلطة فهي قضية نسبية , وليست معياراً يجب الحفاظ عليه , ولذلك فتحليل الظواهر , وتنظيم الاشياء والكيانات وتجنيب الناس تبعات الاحداث في المستقبل والحفاظ على مفردات القوة, والتأثير في المسارات المختلفة , وتفعيل القدرات الذهنية في التفكير والانضباط والتوجيه , هي المسارات الحقيقية التي تضمن السيطرة على مقاليد المستقبل والتأثير في تفاعلاتها .

وثمة أمر يجب الوقوف عليه بقدر من الحيطة والحذر , وهو الزهو والغرور وهما من الصفات الأخلاقية المذمومة وقد يشكلان مقدمة لعوامل التحلل وفقدان التأثير ويمهدان للوصول الي حالة العمه والطغيان وفقدان روح التوازن في التكوين العام , وما هو مقروء في الواقع يبعث إشاراتة ورموزه , وعلينا أن ندرك تلك الاشارات والرموز والقيام بعمليات تصحيح دائمة ومستمرة , فالحوار وتنشيط الذهن تصحيح مستمر لكل التصورات الخاطئة وعلينا الاهتمام بمثل ذلك وعدم التقليل من قيمته واهميته فالتسلح بالأسباب من قواعد بلوغ الغايات.

فالذي يحدث اليوم هو تجريد الاخوان من مفردات قوتهم في الجنوب - وقد تم ذلك - ويجري الآن تجريدهم من مفردات هيمنتهم في تعز وبعدها سيتم الانتقال الي مأرب لتمكين السلفية من الهيمنة. وفي المقابل سيعمل الاخوان علي الاشتغال علي منظومة الاختلالات الامنية وهو ما يحدث في الجنوب وسوف يستمر .

موضوع الانفصال وفق مؤشرات اللحظة السياسية قد يتم بين الشمال والجنوب وخيار الاقاليم لم يعد مثمرا ولا قائما وسوف يبقى الجنوب بؤرة توتر واضطرب وقلقل حتي تستمر الهيمنة واستثمار المصالح الى المدى المطلوب وفي غالب الظن سوف يتحالف المؤتمر والسلفية بتوافق اقليمي ومباركة دولية لقيادة المرحلة المقبلة في حالة من التوازن مع انصار الله, وقد يتراجع دور أنصار الله السياسي وسوف يتم تحجيم دورهم بدعم اقليمي ودولي وتحالفات وطنية ولهذا يتوجب عليهم السعي للحفاظ علي فاعليتهم وقدرتهم في التأثير حاضرا ومستقبلا من خلال التفكير والتحليل والتنظيم .

ولعل في تعزيز التحالفات الوطنية , وتمتين أواصرها بالاتفاقات والتفاهات وإبداء صدق النوايا ما يقلل من اثر الاستراتيجيات التي تسعى الى الوصول بحركة أنصار الله الى حالة فقدان القدرة والتأثير في حركة الأحداث وتفاعلاتها وفق كل المؤشرات التي يبعثها الواقع .

كما أن الاشتغال على مأسسة الحركة لاستيعاب الطاقات وتأطيرها واستثمار قدراتها الذهنية والابداعية والابتكارية من الضرورات التي يجب التفكير فيها مليا , فالتنظيم والتأطير قد يساهم في الحد من الظواهر الانفعالية التي تظهر في شبكات التواصل الاجتماعي وغيرها وتعمل على تفكيك منظومة القانون الطبيعي وتعزز الانقسامات في المجتمع .

التفاوض وبيان القدرة على النفاذ

يرى الكثير من المفكرين أن الهند نجحت في التعالي على الأجانب لا عبر هدايتهم الى الديانة أو الثقافة الهنديتين بل عن طريق التعامل مع تطلعاتهم بقدر رفيع من الاتزان ورباطة الجأش , فقد دأبت على التعامل مع المستويات الحضارية الجديدة وأذابتها في بوتقة الحياة الهندية دون خوف , فعظمة الهند تكمن في قدرتها على التحدي ضد أي تأثير غريب ولذلك فرضت تأثيرها وشروطها على النظام العالمي الجديد , وهي تجربة إنسانية فريدة يمكن الاستفادة منها , وإن كان لدينا أسس هذا النوع من التعايش تجسدت بذرته في "وثيقة المدينة " لكن الفكر العربي ظل محكوما بالنص , ولذلك تقيدت حركة تطور المجتمعات .

وحتى نعي المستوى الحضاري الجديد الذي وصل اليه البشر لابد أن نسلم بالحقيقة الجوهرية الثابتة التي ترى أن الفكرة الدينية فكرة ثابتة لا يمكنها التغير في بعديها العقائدي والاخلاقي بقطعية النصوص , ولكن المشروع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي قابل للتحويل والتبدل ويمكن ابتكاره وابداعه من تفاصيل الزمن الحضاري ولذلك فقضيتنا لا

تتخصص في موضوع الدعوة وفرض ثقافتنا وعقائنا على الآخر فقد حصرها النص الديني بالبلاغ والبلاغ قابل للتحقق من خلال المشروع الاجتماعي والسياسي وشواهد التاريخ دالة على ذلك .

أذن تشذيب التراث من كل شوائبه التي فرضتها الضرورات التاريخية والسياسية هو البداية المثلى لصناعة مشروعنا السياسي الذي يتفاعل مع العالم من حولنا ليكون مؤثرا فيه لا متأثرا به, والآخر يخاف من المشروع السياسي المتجدد ولذلك سعى الى اغتيال رموز النقد والتنوير واستمال العلماء اليه ومن رفض نالته يد الغدر ولو جال البصر في الزمن المتأخر منذ عقد الثمانينات لرأينا هذه السياسة بشكل جلي وواضح , لكنه لا يخاف الفكرة الدينية بل تعامل معها بقدر من التفكيك والتشويه وشواهد ذلك كثيرة بدءا من أفغانستان ولا نقول انتهاء بداعش فالقائمة ليست محددة بزمان .

لذلك نرى التأكيد على مبدأ التعايش , من خلال صيغة جامعة , فالتفرد أصبح مستحيلا وهو محكوم بالنهايات التراجيدية وبدوائر الصراع .

وبالتأمل في الواقع نجد الحقائق التالية :

- التفرد مستحيلا ومن حق الكل أن يعبر عن وجوده .
- الشراكة الوطنية ضرورة وطنية لا بد من تعريفها وتجديد أهدافها .

- المصالحة الوطنية - ولو حصل فيها غمط - ضرورة
مرحلية حتى نجتاز عتبة التآمر وترتيب البيت من داخله .

- مراجعة الذات والبناء المؤسسي القادر على التفاعل مع
المستويات الحضارية الجديدة , والقادر على صناعة مشروع
سياسي مؤثر في النظام العالمي لا متأثر به .

- تنمية الذات والاشتغال على تفجير طاقاتها , وتنمية حركة
النقد وصناعة الرموز الثقافية الواعية القادرة على صناعة
الابعاد الاستراتيجية .

- تنمية البعد الثقافي والاستفادة من توظيف كل الفنون لخدمة
المشروع السياسي والاقتصادي كما دأبت بعض الدول
كتركيا مثلا .

تلك التوجهات يجب أن تكون نصب أعيننا بعد أن تضع
الحرب أوزارها , ونحن نتوقع أن يكون هناك توجهها في
المباحثات الجارية أو القادمة لخفض نسبة التوتر في الجبهات
العسكرية والاشتغال على التدافع بعد أن بلغ المستعمر غايته
من السيطرة على مصادر الطاقة والتحكم بخط الملاحة
الدولي والسيطرة على منافذ الغذاء .

لذلك يصبح الاستغراق في الحرب عبث لا طائل من ورائه
فهو لن يجعلنا نصل الى نتيجة لصالحنا ولكن بالحساب
المنطقي لصالحه فهو يهدف الى تبديد القوة البشرية
المناهضة له , ولذلك يمكن البناء على حركة الصمود

الاسطورية وتوظيفها في السيطرة على مقاليد المستقبل والتحكم بمساراته وهي تحفظ لنا قوتنا البشرية من الفناء الذي يريده المستعمر , فالتفاوض أصبح ضرورة تفضي بنا للخروج الأمن من دوامة الصراع الداخلي لنتمكن من مواجهة العدو الحقيقي الذي يستخدمنا كأدوات لبلوغ غاياته ومآربه .

وخيار التفاوض خيار مطروح بقوة من جانب صنعاء , وطالما وهو نتيجة حتمية سواء حدث اليوم أو غدا فلا بد من الاستعداد لما بعده , ولنا في تجارب التاريخ عظات وأمثلة يمكننا الاستفادة منها والبناء على نتائجها حتى يكون الوطن ما بعد العدوان أقوى وأشدّ عودا وأصلب .

لا ينبغي لأدوات العدوان أن تشعر براحة الضمير بل لابد أن تعذبها الذنوب والخطايا من خلال تكثيف الاشتغال على الفنون وتوظيفها التوظيف الملائم حتى تبلغ غايتها ومقاصدها الوطنية .

كما أن كشف أثر الذنوب والخطايا المرتكبة في حق الوطن وحق المواطنين وحق السلم الاجتماعي من خلال تصحيح المفاهيم ومن خلال الوعظ ومن خلال بيان الصورة التي كانوا عليها من حيث الذل والغفلة قد يترك أثرا نفسيا يفضي الى جلد الذات من خلاله تسعى الذات الى التطهر من خلال البوح وكشف المخطط والحقائق ويسعى الوطن الى توظيف ذلك في تحصين الهويات من الاختراق والنفاذ من خلالها لزرع الشقاق .

فالتفاوض – كما في صلح الحديبية – ليس اعتدادا بالقوة بل هو خيار السلام وبه ومن خلاله نستطيع تغيير المعادلات الكيميائية حتى تكون قادرة على انتاج عنصر جديد نحن نعرفه سلفا من حيث لا يدرك الخصم ذلك وبالتالي نفرض خياراتنا نحن كما ينبغي لها أن تكون.

السياسة فن تأسيس البدائل

يقال أن السياسة فن الممكن ، وقيل أنه لا ثوابت في السياسة فالفعل السياسي دوماً حيث تكون المصلحة ، فالعداوات فيها مرحلية والصداقات والتحالفات كذلك مرحلية ، والملاحظ أن أصدقاء أمس هم أعداء اليوم وأعداء أمس هم أصدقاء اليوم , وهكذا هي السياسة دائمة الحركة ودائمة التجدد في التفاعل والتعاطي مع مفردات الواقع وتجلياته المرحلية .

والاشتغال السياسي في اليمن بدأ يخرج من أطره التقليدية التي ظلت تحكم سيطرتها عليه لعقود من الزمن ، فالتحالفات بين المتناقضات - كتجربة سياسية هندسها السياسي والمفكر جار الله عمر مطلع الألفية الجديدة - كانت تجربة مميزة حاولت إذابة الجليد بين نقيضين متنافرين هما الحزب الاشتراكي , والتجمع اليمني للإصلاح , وقد ترك التقارب ظلالاً جميلاً في تصحيح التصورات الخاطئة وأحدث قدراً من التجرد في الخطاب السياسي للإخوان , وقدراً من التوازن في الموقف ، فالحوار تصحيح مستمر للتصورات الخاطئة عن بعضنا وهي تجربة يمكنها أن تتكرر في واقعنا فالسياسية إدارة توازنات وليست إدارة عداوات.

فالتحالفات – إذا تمت – ربما تبدد المخاوف التي تهدد نسيج الوحدة الوطنية التي نقرأ في تفاصيل الواقع مؤشرات تجعلنا في خوف شديد من القادم الذي يحمل مقومات التنشيط أكثر من مقومات التوحيد.

مثل هذه الإشارات التي تمر في تفاصيل اللحظة يتوجب الوقوف أمامها بقدر كافٍ من الموضوعية , فالإقصاء عبر التاريخ عواقبه وخيمة وغير آمنة في المستقبل وحين نجهد أنفسنا في التفكير بلغة الأنا المضللة فنحن بالتأكيد نتجاوز قانون التاريخ وفي ظني أننا أمام لحظة انتقال نأمل أن تكون حقيقية يتوجب فيها التأسيس لقيم أخلاقية بديلة للإقصاء , تحضر فيها مفردات الحرية والتعايش وتقدير الرموز , وأرباب التاريخ الوطني , نجعل لهم قدرهم ومنزلتهم التي تليق بهم ونترك للتاريخ محاكمتهم , ومحاكمة مراحلهم التاريخية المختلفة , فالقوة - وهي نسبية ومائلة - إذا منحتك سحرها وظلك بريقها عن استبصار الحقائق فلن تدرك ذلك إلا بعد أن تسلبك هي محاسن نفسها وتهبها غيرك , لذلك فالعاقل من يتعظ بعبر التاريخ ويحاول أن يضبط إيقاع المستقبل بما يخفف من حدة الصراع بين القوى ليؤسس لقيم إنسانية ومدنية بديلة لقيم الفناء والإقصاء .

وأكاد أعجب من أولئك الذين ينادون بالمدنية وبالتعايش وبالشراكة الوطنية وبالقيم البديلة ثم أسخر من تصريحاتهم ومواقفهم التي تقدمهم كمثالٍ أسوأ من نماذج التاريخ المختلفة.

القضية الوطنية والمشكل الأكبر في اليمن ليس في النظام الذي نادينا بسقوطه.. بل تكمن في الاشكالات التاريخية التي تحول دون إحداث انتقال في لحظتنا الوطنية لأن الإشكالات أعادت انتاج نفسها في نماذج وقوى تقليدية فاعلة كانت ومازالت تعيق عجلة التطور في اليمن ولن يتحقق التحديث والانتقال ولا الدولة المدنية الحديثة ولا الحكم الرشيد ما لم تحدث ثورة حقيقة في البنى الثقافية والاجتماعية ونعمل جاهدين على تطوير المعيارية الاجتماعية الثابتة حتى تتناغم مع العصر والتقدم والتحديث , فالقضية الوطنية ليست في الهدم ولا في التفكير بل في الوعي بالحالة من جوانبها المتعددة ، فالذين ذهبوا إلى ساحات الاعتصام أغرتهم الانفعالات فتصوروا أن الذي يحدث ثورة ولم يكن يدر في خلداهم أنهم يصنعون أزمة تهدد اليمن في وحدته وفي استقراره ، ذلك أن الثائر الحقيقي يجب أن يمتلك وعياً قادراً على تشخيص الواقع ويملك مشروعاً بديلاً لما هو كائن أما الاستبدال فهو انقلاب تجاوزه منطق التاريخ .

وقراءة الموقف السياسي لبعض القوى السياسية من الواقع يحيلنا إلى مرجعيتين أحدهما تقدمية ثورية تجاوزها منطق العصر ، والأخرى لم تحسن القراءة والاستنباط لعبر التاريخ ، ومواقف رموز المرجعية الدينية ، فالرسول(ص) في فتح مكة لم يكن في غلظة اخلاقهم ولو كان مثلهم في نابية ألفاظهم وغلظة الموقف والأخلاق لتفرق الناس من حوله ، وكلا المرجعيتين كما نلاحظ لم ترق إلى مستوى

شعار الدولة المدنية المرفوع كما أن اشتغالها على المنظومة الثقافية التاريخية يتناقض مع استحقاقات اللحظة الثورية التي عملت على الهدم وليس لديها رؤية واضحة للبناء .

فالذين ذهبوا الى خيار الثورة وليس خيار الاصلاحات في اليمن في زمن الربيع العربي ذهبوا الى فراغ من فراغ فقد أعلنوا سقوط الايديولوجيا ولذلك تاهوا وتاهت الثورة في فراغ المصالح الاقليمية والدولية وفقدت الثورة معناها بفقدانها الفكرة وتحولت الى حركة اجتماعية تشيع الفوضى وتهدم ولكنها لا تبني.

نحن بحاجة الى ثورة حقيقية تستهدف البعد الثقافي والبعد الاجتماعي من أجل احداث انتقال فيهما وبالتالي نستطيع تحقيق التطور في البنية السياسية ونحدث ثورة حقيقية في واقع الناس وحياتهم المعيشية وقبل كل ذلك علينا أن نفهم فهما جيدا أن السياسة إدارة مصالح وليس إدارة عداوات ومن خلال هذا الفهم نؤسس لقيم جديدة تستوعب ولا تلغي وتعترف ولا تنفي فالآخر موجود وانت موجود وكل فرد أو كيان يقدم نفسه كما يحب أن يراه الآخر والتاريخ مرآة للكل وهو الفيصل في التمايز وقول ما يجب أن يقال عن الكل من الكل.

وخلاصة ما يمكن أن يقال أن بقاء الحال من المحال وعلينا أن نعامل الماضي بنفس القيمة الأخلاقية التي نريد المستقبل أن يعاملنا بها.

العرب والآخر صراع بقاء ووجود

لا يدخر الغرب جهداً في دراسة وتحليل الواقع الإسلامي والعربي، مع أنه قد استطاع التمكن من الهيمنة الاقتصادية والعسكرية على بلدان العالم الإسلامي، بل استطاع أيضاً ممارسة دور كبير في التأثير الفكري والتوجيهي في كثير من المجالات العلمية والفكرية.

وعلى الرغم من أن هذه المقدمة الأولية تؤدّي في الغالب إلى زوال القلق تجاه العالم الإسلامي، إلا أن هذا لم يحدث على أرض الواقع؛ بل زادت تلك الدراسات التي تتناول المنطقة بالتحليل والدراسة، مما دعا البعض إلى تسمية هذه الظاهرة بـ(حمّى الشرق الأوسط).

ولا يمكن تفسير ذلك التخوّف الغربي من العالم الإسلامي بأسباب اقتصادية أو سياسية فحسب، ولكنه الخوف من الإسلام الذي جعل مراكز الأبحاث الغربية تدرك أن الحرب مع المسلمين الآن هي حرب فكرية – حسب تعبيرهم – في المقام الأول، بل ويرون أن المسلمين فيها على درجة من

القوة تجعلهم يبدوون حربهم على الإسلام بدءاً من الأطراف البعيدة، واتجاهاً إلى القلب الذي يمثل العالم العربي.

لا يرجع هذا التخوف من العالم العربي أو من التيارات الدينية على وجه التحديد - كما يشير تقرير (راند) - إلى ضعف التأثير الفكري للغرب في العالم الإسلامي، ولكن لأن المرحلة المقبلة تسعى إلى ممارسة تأثير فكري أكثر عمقاً، يصل إلى حد التغيير والتبديل الكامل، وصولاً إلى صياغة إسلام متوافق مع القيم الغربية، وتابع لها بغير شرط ولا قيد، بل وقابل للتغيير المستمر وفقاً لما يجد من متطلبات ومطالب وقد عبر رئيس وكالة المخابرات الأمريكية عن مثل ذلك بقوله " سنصنع لهم إسلاماً يناسبنا ، ثم نجعلهم يقومون بالثورات ، فيتم انقسامهم على بعض لنعرات تعصبية ومن بعدها قادمون للزحف وسوف ننتصر".

لقد تخطت الدراسات الغربية مرحلة الفحص والتحليل للواقع الإسلامي، وعملت عدة مراكز بحثية على البحث عن طرق التأثير والتوجيه على المسلمين، ورسم خطط واقعية وعملية لتنفيذ ذلك على أرض الواقع. أهم هذه التقارير؛ هو التقرير الذي أصدرته مؤسسة (راند "للأبحاث والتطوير" المركز الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأميركية، وتعتبر أحد أهم المؤسسات الفكرية المؤثرة على صناعة القرار في الإدارة الأميركية الحالية، خاصة فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، ولذلك تميل الإدارة الأميركية الحالية إلى تبني مقترحات مؤسسة (راند)، وهو ما يجعل لإصداراتها أهمية خاصة في هذه المرحلة).

وتتبنى هذه المؤسسة وجهة النظر الأكثر تشدداً في مواجهة الإسلام والمسلمين، وبالتالي فهي تدعم التيار المتشدد في الحكومة الأمريكية الحالية، وخاصة في أجواء الحملة الأمريكية على الإرهاب.

أصدرت مؤسسة (راند) تقريراً عام ٢٠٠٧م يحمل عنوان (تكوين شبكات إسلامية معتدلة)، امتاز هذا التقرير عن التقارير السابقة بأنه موجّه بطريقة واضحة إلى الحرب العَقْدِيَّة - أو الفكرِيَّة - حسب التعبير الغربي، وبالتالي فهو لا يحارب الإرهاب المتمثّل في تنظيم القاعدة أو ما يشابهها، بل يتوجه إلى المسلمين كافة.

إن الصراع الموجود حالياً في معظم أنحاء العالم الإسلامي عبارة عن حرب للأفكار، وسوف تحدد نتائج هذه الحروب التوجهات المستقبلية للعالم الإسلامي وما إذا كان خطر المجاهدين الإرهابيين سوف يستمر مع عودة بعض المجتمعات الإسلامية إلى أبعد أنماط التعصب والعنف.

وهذه الحرب لها تأثير عميق على أمن الدول الغربية وعلى الرغم من أن الإسلاميين المتطرفين يعتبرون قلة في كل مكان إلا أنهم يحظون بالتفوق في العديد من المناطق.

ويكمن السبب وراء ذلك بدرجة كبيرة إلى أنهم قاموا بتطوير شبكات شاملة تغطي العالم الإسلامي وتتجاوزته في بعض الأحيان إلى المجتمعات الإسلامية في أمريكا الشمالية وأوروبا، أما المسلمون المعتدلون والليبراليون - رغم أنهم أكثرية في العالم الإسلامي - فإنهم لم يُنشئوا شبكات مماثلة، ويمكن لشبكات ومؤسسات المسلمين المعتدلين أن تعمل على توفير منبر لتقوية رسالة المعتدلين إضافة إلى كونها تشكل قدراً من الحماية ضد العنف والإرهاب.

ونحن نلاحظ اليوم ما يحدث في المنطقة من صراع وتململ وقتال، وما يحدث في المجتمعات التي نحسب أنها آمنة من تململ واضطراب وقلق، ونلاحظ حركة المجتمع برغبة سياسية في السعودية وهي تقود حربها وعدوانها على الكثير من البلدان كاليمن، وسوريا، والعراق، وليبيا وهي تتواجد بشكل أو بآخر في بعض الدول الإسلامية، مثل باكستان وأفغانستان، وقد نقول أن أملها في الوجود قد خاب في ماليزيا لكنها تنشط في المستويات الثقافية الدنيا عن طريق الحركة العقائدية.

الخلاصة نحن نتعرض لمؤامرة قد كان القادة العرب من الجيل الثوري يدرك أبعادها ووقع ضحية وعيهم بها، وعلينا أن نحسن التعامل مع المرحلة بوعي وجودي تحرري قادر على البقاء.

الواقع السياسي العربي

في الواقع العربي اليوم تحول كبير، والذين يديرون العملية السياسية على المستوى الدولي يضعون حركة التحول العربي نصب أعينهم وقد سبق لهم التمهيد لهذا التحول من خلال تشويه البنية الفكرية والعقائدية العربية، وظل الاشتغال على التوجه لسنوات طوال.

والمعادلة الأصعب هي حين يصبح التفاعل مع حركة المستوى الحضاري بوعي المؤامرة لا بوعي التأثير في مسار السياسة الدولية حتى يكون العرب قوة لها تقديرها ولها حسابات في الوعي الجمعي الدولي.

فالصراع تجاوز البعد الاقتصادي ليكون مرتكزه البعد الثقافي والحضاري ، فقضية ايران مع الغرب قضية ثقافية وحضارية ، وصراعها صراع تفوق حضاري مع اسرائيل ، فالغرب يرفض شكلا أن تكون ايران دولة نووية ولكنه يغض الطرف عن نووية اسرائيل ، ولذلك فالصراع في اليمن لا يعني ايران ولكنه يشكل ورقة ضاغطة لحسابات سياسية لها ، وكذلك الوضع في سوريا فهو يشكل حالة توازن سياسي لإيران مع اسرائيل ، وبالمثل فالعراق يشكل حالة توازن للغرب واسرائيل مع ايران واليمن تشكل حالة توازن ثانوية لإيران مع السعودية التي تقدم نفسها كحليف

للغرب ويشغل على البعد الثقافي لاستغلال أموال السعودية في إدارة الصراع .

مؤشرات التحول الثقافي في السعودية بدأت منذ مطلع العام ٢٠١٨م وربما بدأت بعد وصول ابن سلمان الى ولاية العهد وهذا التحول يشكل الضامن الحقيقي لاستمرار تدفق المصالح بين بين الغرب والسعودية ويحد من ظواهر التطرف مع تماهي مشائخ الوهابية في مشروع المرحلة.

وأمام تلك الصورة يتطلب الواقع وعيا حضاريا وثقافيا وتفاعلا مؤثرا في مسار المرحلة وهي مرحلة خطرة تشهد تحولا كبيرا وعميقا ولا بد من مقارعتها بالوعي المؤثر في المسار لا بوعي التدمير والحرب والخراب الذي يفترض بنا الوقوف أمامه بقدر من المراجعة والتقييم فالعصر الذي هجم علينا قبل الاستعداد له علينا أن نستعد له بالتحكم بمساراته والتأثير في نسقه العام فالقوة التي تختزنها القيم الحضارية والاخلاقية هي أمضى من غيرها في عالم لم يعد مستقرا حضاريا وسريع التحول.

لقد شكل سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م نقطة تحول جديدة في الواقع العربي , فالغرب الذي يتقن تحديد المسارات ويعرف قانون التاريخ كان مدركا أن العرب لا يمكن السيطرة عليهم ألا من خلال البعد التاريخي والتحكم في مساراته والسيطرة على مقاليد صناعته ولذلك عمدوا على القضاء على المشروع القومي والمشروع التحرري والمشروع العقائدي والمشروع الثقافي فتاه العرب في حركة فوضى لا طائل من ورائها بدأت هذه الحركة عام ٢٠١١م وقد سمعنا يومها

كلاما على لسان قوى اليسار اليمني يقول بسقوط
الايديولوجيا فكان ذلك نذير شؤم وانهيار , وكنت أكتب
محذرا من هذا المآل في عدد من الصحف لكن كان الصراخ
أعلا من ندائنا فلم يأبه أحد لذلك ولعل كتابي " الربيع العربي
..دم وعواصف " الصادر عام ٢٠١٤م قد تضمن مثل ذلك
النداء .

لا يظن ظان أن حركة الفوضى التي تجتاح بعض العواصم
اليوم مثل بيروت والخرطوم وبغداد والجزائر كانت بمعزل
عن مشروع انهيار فكرة الدولة أملا في الوصول الى مرحلة
ما قبل الدولة وهو مشروع تشتغل عليه مراكز الدراسات
الاسرائيلية في العواصم العالمية كواشنطن ولندن وغيرهما
وهو يتحرك اليوم في الواقع العربي أملا منه في بلوغ غايته
وقد يمكرون ولكن الله يرد كيدهم في نحورهم فما زال الوعي
ينمو في وجدان الأمة وقد يفيقون يوما ما ويصلون الى
مراتب الصناعة والتأثير ويتجاوزون مرحلة الضعف القاتل
التي وصلوا اليها بعد سقوط بغداد .

ولعل القارئ يستغرب قولنا بالربط بين سقوط بغداد وحركة
الفوضى واللا انتظام التي تحدث اليوم في جل العواصم
العربية وهو قد يغفل عن قانون التاريخ , فالتاريخ وفق
قانونه يتكرر مرتين مرة على شكل مأساة وقد حدثت في
سقوط بغداد عام ١٢٥٨م ومرة على شكل ملهاة , وهو ما
نراه اليوم فالتاريخ يلهو بمصائر أمة بأجمعها اليوم , ولذلك
فالوعي بحركته وتعديل مساره هو خيار لا بد من حدوثه في
الواقع ولن يتحقق ذلك إلا من خلال البعد الثقافي وتشجيع

حركة النقد وفتح أبواب الحريات والنقاشات والكتابات ,
فكثرة الكتابات تعديل مستمر للتصورات النمطية التي تحكم
مصائر العرب منذ الحقب الأولى لبدء حركة الدولة
الاسلامية .

في تصورات المجتمع الغربي أن العرب أمة متوحشة مهددة
للحضارة الانسانية ولا يمكنها أن تستقر بل قد تشكل تهديدا
مستمرا للحضارة الانسانية مالم يتدخل الغرب للسيطرة على
مقدراتهم وتهذيب مجتمعاتهم، ولذلك قد تجد نفورا في
المجتمع الغربي نتيجة ذلك التصور والأمر لا يحتاج الا الى
نظرة بسيطة الى الشبكة العنكبوتية ليكتشف المرء حجم
ومدى التصورات النمطية عن الشخصية العربية في وجدان
المجتمع الغربي.

وأمام مثل ذلك التصور الذهني يفترض بنا تنمية الاشتغال
الثقافي والاشتغال على الفنون الحديثة بكل تنوعها حتى تصل
رسالتنا الى المجتمع الانساني لبيان موقفنا الثقافي والاخلاقي
من جل قضايا الانسانية، وفي تاريخنا نماذج انسانية تفوق ما
وصل اليه الانسان المعاصر لكننا قوم غافلون لا نهتم إلا
بباب الطهارة والنجاسة وبباب النكاح وتركنا كل الاشارات
الانسانية في بعدها القيمي ولأخلاقي وراء ظهورنا ...فهل أن
لنا أن نفيق؟

الوعي بالمتغير الثقافي والحضاري

أصبحنا نعيش زمناً جديداً تعدد فيه الواحد ليصبح أكثر من واحد، وتعددت فيه الكليات لتصبح أكثر من كيان، وتبعاً لذلك التعدد في الواحد تعدد المفهوم ليصبح أكثر شمولاً وأكثر اتساعاً، فضيق المفهوم والحضارة لم يعد مقبولاً في واقع يعيش تموجاً ثقافياً منفتحاً على الكون المعرفي وعلى الأبعاد الفلسفية للعلومة، لذلك فالقول بالبقاء في النقاط المضيئة للماضي فناء وفناء مضاعف، والذين هم واقعون تحت تأثير المتغيرات الجديدة لن يسعفهم هول اللحظة ودهشتها من التقاط الأنفاس والدخول في دائرة الوعي بالمتغير، فالإيقاع أكثر سرعة ويسير بسرعة البرق ومواكبة ذلك الإيقاع لن يكون إلا بالتهيئة النفسية والثقافية والأخلاقية لضرورات الزمن المتسارع الجديد، وحين يتعلق الفرد أو الجماعة أو الحزب في المحددات الثقافية والأخلاقية التي أنتجها الماضي فتلك المقدمة المنطقية ستكون هي الشعور بالاعتراب والشعور بالغياب كنتيجة منطقية في الزمن الآتي من بين غيوم الغيب.

فالثورات تحدث تبديلاً في شكل العلاقة بين الدولة والمؤسسات الاجتماعية والثقافية وبين فرق وطوائف المجتمع، فالتبدل والتغيير، من خاصية الثورات والهزات الاجتماعية العنيفة التي حدثت في دول ما يسمى بالربيع

العربي ولذلك لا تكف الأخبار في تناولاتها اليومية عن الحديث عن دول الربيع العربي، فالتدافع الذي يحدث هو صراع بين ماضٍ يتشبث بالوجود وحاضر متبدل يرغب في الوجود، ومثل ذلك التدافع من سنن الله في كونه، ويحدث خوف الفساد وخوف الثبات وتبعاً لذلك التدافع تتمايز الناس إلى جماعات وأحزاب ويحدث أن يطغى الأقوى ويستبد، والطغيان والاستبداد من طبائع المنتصر في أي تجمع بشري ولن تحد منه إلا الفنون التي تجهد في تكثيف موضوعها في صناعة حيوات وبحيث تجعل من فردية الفرد كلية، فهي عن طريق الفن تعمل على زيادة الوعي بال اللحظة والوعي بالذات في إطار المجموع الوطني أو الاقليمي أو العالمي.

وبرز في الآونة الأخيرة الحديث عن التطورات الاجتماعية والثقافية وجدلية الاندماج الاجتماعي والاندماج السياسي للجماعات والأحزاب والطوائف، وما يزال العقل الاجتماعي والعقل الفلسفي يخوض في تفاصيل الحركة الاجتماعية التي تعيد إنتاج نفسها من خلال الاشتغال على التفكير في البنى التقليدية وذلك بحثاً عن وسائل مثلى لدعم التسامح وقبول الآخر والاعتراف بوجوده والتعايش معه واحترام معتقداته وثقافته، ولعل البحث عن تلك العلاقات الشكلية بين مكونات المجتمع المختلفة والدولة وفق المفهوم الجديد الذي أفرزته وتفرزه حركة المجتمع يقود إلى الحديث عن دمج كل الفرق والجماعات والأحزاب في إطار المفهوم الجامع الشامل الذي الذي تستظله عبارة "المواطنة المتساوية".

ولعل إشباع مفهوم "المواطنة" تنظيراً وجدلاً وتكثيفاً وتشريعاً وممارسة هو الباب الذي نلج منه إلى البناء الصحيح في توطيد الروابط الاجتماعية والمشاركة في النشاط الاجتماعية المتنوع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وبحيث نصل إلى حقيقة الاستقرار والشعور بالوجود لكل أطراف المجتمع ومكونه العام، فالتعدد ظاهرة محمودة تمنع الاستبداد وتحد من الطغيان من خلال التدافع الصامت الذي يحدث بين مؤسسات الدولة المختلفة وبين المؤسسات المدنية والذي يحدث بشكل غير مباشر وبصورة بينية، فالفصل، بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية يعمل على تفعيل خاصية التدافع الصامت من خلال المواجهة والاحتكاك بين السلطات فالسلطات الثلاث تحتك وتتضاد مع الأخرى وبما يفضي إلى القول أن الدولة من خلال تعدد سلطاتها ستحد الدولة.

ذلك أن السلطة في ظل التعدد والتنوع وفي ظل الأنظمة الديمقراطية الحديثة لها شكلان، شكل داخل الدولة والآخر خارجها، فالسلطة داخل الدولة كما يرى ذلك فقهاء القانون هي للقانون، فالدولة تكون طرفاً دستورياً محايداً ومسؤولو الصف الأول لن يكونوا إلا موظفين ترتبط سلطتهم بالقانون وبالفترة الزمنية التي ينص عليها الدستور وبحيث لن يكون بوسع أي جماعة أو حزب أو طائفة أن يتجاوزوا ذلك السقف الزمني.

أما الشكل الذي خارج الدولة فيتمثل في إعادة توزيع السلطة النفوذ بالطريقة التي تحفظ التوازن بين المجتمع الرسمي أي مجتمع الدولة وبين المجتمع المدني من أحزاب ونقابات ومراكز ومراجع دينية وهذا الشكل يخلق لحظته المتفاعلة مع الزمن ويجد من الصراع ويقلل من ظواهر الطغيان والاستبداد والفساد وبما يتوافق مع المصالح المرسلات للجماعات والكتل التاريخية التي تعمل حركة المجتمع على خلقها في لحظات التحول والتبدل.

وكما قلنا آنفاً في السياق إن المفهوم يتغير تبعا لما هو كائن من حركة وتغير وتبدل وتعدد، فالوعي الاجتماعي كان في زمن ما قبل ٢٠١١م ضحية تعسف رسمي متعدد الجوانب والآليات عمل على إخضاع مشاعر الناس وعقولهم على التصور بأن مفهوم الدولة لا يتجاوز الهيمنة السياسية ومجموعة الرموز التي يخضعون لها كالرئيس والوزير والمحافظ والشيخ، ولكنه ومن خلال ما يشهده من حركة بدأ يعي وبدأ يقرأ الفروق اللازمة بين مفهوم سلطة الدولة ودولة السلطة فسلطة الدولة تعني أن جميع أجهزة الحكم فيها من مؤسسات ودستور وقوانين وقيادات تعمل في منظومة متكاملة لتحقيق الغايات الوطنية، ودولة السلطة تعني أن أجهزة الدولة ومؤسساتها وأدواتها القانونية والدستورية تعمل في منظومة واحدة لتحقيق مصالح السلطة الحاكمة ويصبح الوطن وثرواته ومواطنيه ملكاً لها.

وطبقاً لما سبق نذهب إلى القول أن ما يحدث في واقعنا هو عملية انتقالية وتبدل في المفهوم، ومثل ذلك يضعنا في مواجهة زمن جديد يتوجب التفاعل مع متغيراته ومظاهره العامة.

ضبط المعيارية وتحديد المسار

علينا أن ندرك أن المجتمعات الغربية في القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر الميلادي كانت تعاني من أزمات وجودية ومن حروب وصراعات مدمرة وقاتلة تماماً كالذي يحدث عندنا اليوم ومثل هذه المقارنة الذهنية تقول أن العرب والمسلمين يعيشون أزمنة تجاوزها المجتمع الإنساني منذ قرون، واستطاع من خلال مفكره الكبار ان يبدعوا واقعا جديدا لينعم بقدر من الهدوء والاستقرار من خلال التأكيد على الاحتياجات البيولوجية والسيكولوجية للإنسان وتحقيق القدر اللازم من الامن النفسي والاجتماعي وهي حاجات لم يكن القرآن بغافل عنها والمنهج المحمدي من خلال تأكيدها على خاصية الامن من الخوف والأمن من الجوع .

فما الذي يحدث في المجتمعات العربية؟

الذي يحدث في المجتمعات العربية كما هو معلوم لكل ذي لب او بصيرة هو الامتثال للنص وتعطيل خاصية التفكير والابتكار وبسبب ذلك شاعت الاشتراكية في المجتمعات كقيمة كلية نصيه غير قابلة للتجزئة , وفي مقابلها شاعت الحركات الدينية كاجترار تاريخي نصي غير قابل للحوار مع المستويات الحضارية الجديدة , ونشأت فكرة القومية العربية رفضا لثنائية الهيمنة والخضوع على وفق ذلك دارت حركة المجتمع وتوازنه في حالة اغتراب زمني ومكاني وثقافي وحضاري , فهي لم تلب الاحتياجات للإنسان فالعدالة الاجتماعية عند قوى اليسار الاشتراكي كانت شعارا لم يتجاوز شكليته بهدف الوصول إلى السلطة وليس اكثر من ذلك , والقومية العربية لم تتجاوز مفرداتها , ومثل ذلك ينزاح إلى حركة "الاخوان المسلمون " الذين دارت شعاراتهم في مربعات حاكمة الله في الارض , ولم يصلوا إليها , وصلاح الامة في هذا الزمان لا يتحقق إلا وفق المقاسات الاولى للدعوة الاسلامية في زمنها القديم كما ورد في مرجعياتهم وتبعا لذلك كان الصراع هو ديدن المجتمع العربي الاسلامي لم يبتكر جديدا واستسلم للفوارق الحضارية في مستوياتها المتعددة , وهو يستجر النظريات اللغوية والثقافية والاجتماعية والعلمية بعد أن كان مصدرا لها ومبتكرا لكل تموجاتها وكل الدراسات الحديثة تؤكد ان ملهم الغرب في الوصول إلى المستويات الحضارية كان ابن رشد وغيره من العلماء الذين اخذوا العلوم من اليونان والاغريق ثم اضافوا وابتكروا وساهموا في صناعة واقع جديد في حياة البشرية جمعاء.

وبالقفز على كل الازمنة والتطورات التي حدثت في المجتمعات وصولاً إلى الحالة اليمينية لم تك بمنأ عن ظلال ما سلف بيانه فالاشتراكية التي حكمت في الجنوب (٢٣) عاما من (٦٧-٩٠م) عملت على تعطيل القدرات والامكانيات وساهمت في ترميد حركة المجتمع وكانت تخوض صراعا مع الجماعات الدينية بشقيها السلفي و الاخواني, والصراع بين تلك القوى لم يتجاوز الشعارات , ولذلك رأينا كيف تلاشت الحركة الاشتراكية إلى درجة فقدان التأثير والفاعلية الذي كانت عليه في النصف الثاني من القرن العشرين , ومثلها الحركة القومية , ولم بعد لهما من وجود يذكر حين القياس على الواقع اليوم, وها هي حركة الإخوان تعلن عن غروبها بعد ان اصبح شعارها شعارا قاتلا لا يحمل الخيرية للبشرية وقد وصلت ذروة نكوصها باشتغالها على التفجيرات وممارسة الإرهاب الذي يهدد الانسانية جمعاء بالفناء والعدمية , ولم تكن هذه النتيجة بدون مقدمات منطقية ساهمت الاجهزة الاستخبارية العالمية في صياغتها بطريقتها حتى تستمر مصالحها في المجتمعات التي كانت تخضع لسلطانها الاستعمارية في القرن العشرين وما قبله .

وبالتأسيس على ما سبق بيانه, ووفقا لحركة التاريخ , نرى ان المجتمعات الحيه والفاعلة في حركة المجتمع التاريخية تفرز واقعا جديدا كما تقتضيه حركة التدافع بين الخير والشر والفساد والاصلاح وفق التعبير القرآني والاسلامي, وقد جاءت حركة انصار الله كنتيجة منطقية و طبيعية لمقدماتها التي بدأت عند مطلع الألفية وبالتحديد منذ الحرب الاولى على صعدة عام ٢٠٠٤م وصولاً إل حالة تفجر الحدث في

عام ٢٠١١م وحركة انصار الله كانت هي التعبير الامثل عن القوة الجديدة , والقوة المستضعفة التي جاءت وفق سنن الله في كونه من حيث المظلومية والاستضعاف ومن حيث تحقيق وعد الله بنصره وتأييده وبالتمكن لهم في الارض, وهذه الحركة ترى في القرآن الكريم منهجا ونظرية يمكن السير في طريقهما للخروج من المسالك المظلمة وهي محقة في ذلك, فالقرآن هو الهدى والخير وهو العدل والخلاص وبمجرد التأمل في سورة الاعراف نجد أنها تحمل مقاصد الله من خلال سرد متواليات الحدث وبيان انحرافه عن مقاصد الله ووجوب عقوبته ولذلك قالت سورة الاعراف بشكل مجمل بحاجات الإنسان ومقاصد الله وتحدثت عن العقوبات التي انزلها على الامم بسبب فقدان المعيارية الاخلاقية من الحق والعدل والوجود والحرية وبيان ذلك في سياق السورة ليس خافيا على كل ذي لب ومن خلال البعد النظري لمقاصد الله كما نستشف من الدلالة في مستوياتها المتعددة والتي نوجزها على شكل نقاط :-

- ١- اتباع منهج الله وعدم الانحراف عنه آية رقم (٢)
- ٢- ممارسة الظلم سبب جوهري في الهلاك آية رقم (٣)
- ٣- المعيارية الحقيقية في ثقل الموازين وخسرانها هو ثنائية الظلم والعدل
- ٤- الجحود والتنكر سبب من اسباب الهلاك
- ٥- التكبر والتغطر سبب من اسباب الإذلال والصغار
- ٦- إغراءات الحياة وملذاتها وبهرج السلطةإمعان في الخروج من دائرة الرحمة إلى دائرة العذاب

- ٧- التأكيد على خاصية العدل وعدم المبالغة في ضرورات الحياة
- ٨- تجريم الإثم والبغي والفواحش والمشاعر السلبية ضد الآخرين الذين تختلف معهم
- ٩- الاحتراز من النسج على منوال الاولين وتحري الحق والعدل
- ١٠- التحذير على اتخاذ الدين لهو ولعب والاستسلام لغرور الحياة وملذاتها والتحذير من الفساد في الارض.

تلك المبادئ التي تؤسس لحالة اجتماعية مستقرة سرد القرآن مؤيدات لها من التاريخ في سياق سورة الاعراف وفي سياق موجهات واضحه علينا مراجعة انفسنا لمعرفة مدى التزامنا المنهجي والاخلاقي بها واما مها وامام غيرها.

ضبط المعيارية وتحديد المسار

علينا أن ندرك أن المجتمعات الغربية في القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر الميلادي كانت تعاني من أزمات وجوديه ومن حروب وصراعات مدمرة وقاتلة تماما كالذي يحدث عندنا اليوم ومثل هذه المقارنة الذهنية تقول أن العرب والمسلمين يعيشون ازمة تجاوزها المجتمع الإنساني منذ قرون ,واستطاع من خلال مفكريه الكبار ان يبدعوا واقعا جديدا لينعم بقدر من الهدوء والاستقرار من خلال التأكيد على الاحتياجات البيولوجية والسيكولوجية للإنسان وتحقيق القدر اللازم من الامن النفسي والاجتماعي وهي حاجات لم يكن القرآن بغافل عنها والمنهج المحمدي من خلال تأكيدها على خاصية الامن من الخوف والأمن من الجوع .

فما الذي يحدث في المجتمعات العربية؟

الذي يحدث في المجتمعات العربية كما هو معلوم لكل ذي لب او بصيرة هو الامتثال للنص وتعطيل خاصية التفكير والابتكار وبسبب ذلك شاعت الاشتراكية في المجتمعات كقيمة كلية نصيه غير قابلة للتجزئة , وفي مقابلها شاعت

الحركات الدينية كاجترار تاريخي نصي غير قابل للحوار مع المستويات الحضارية الجديدة , ونشأت فكرة القومية العربية رفضاً لثنائية الهيمنة والخضوع على وفق ذلك دارت حركة المجتمع وتوازنه في حالة اغتراب زمني ومكاني وثقافي وحضاري , فهي لم تلب الاحتياجات للإنسان فالعدالة الاجتماعية عند قوى اليسار الاشتراكي كانت شعاراً لم يتجاوز شكلية بهدف الوصول إلى السلطة وليس أكثر من ذلك , والقومية العربية لم تتجاوز مفرداتها , ومثل ذلك ينزاح إلى حركة "الاخوان المسلمون" الذين دارت شعاراتهم في مربعات حاكمة الله في الأرض , ولم يصلوا إليها , وصلاح الأمة في هذا الزمان لا يتحقق إلا وفق المقاسات الأولى للدعوة الإسلامية في زمنها القديم كما ورد في مرجعياتهم وتبعاً لذلك كان الصراع هو ديدن المجتمع العربي الإسلامي لم يبتكر جديداً واستسلم للفوارق الحضارية في مستوياتها المتعددة , وهو يستجر النظريات اللغوية والثقافية والاجتماعية والعلمية بعد أن كان مصدراً لها ومبتكراً لكل تموجاتها وكل الدراسات الحديثة تؤكد أن ملهم الغرب في الوصول إلى المستويات الحضارية كان ابن رشد وغيره من العلماء الذين أخذوا العلوم من اليونان والاعريق ثم اضافوا وابتكروا وساهموا في صناعة واقع جديد في حياة البشرية جمعاء.

وبالفقر على كل الازمنة والتطورات التي حدثت في المجتمعات وصولاً إلى الحالة اليمينية لم تك بمنأ عن ظلال ما سلف بيانه فالاشتراكية التي حكمت في الجنوب (٢٣) عاما من (٦٧-٩٠م) عملت على تعطيل القدرات والامكانات

وساهمت في ترميد حركة المجتمع وكانت تخوض صراعا مع الجماعات الدينية بشقيها السلفي و الإخواني, والصراع بين تلك القوى لم يتجاوز الشعارات , ولذلك رأينا كيف تلاشت الحركة الاشتراكية إلى درجة فقدان التأثير والفاعلية الذي كانت عليه في النصف الثاني من القرن العشرين , ومثلها الحركة القومية , ولم بعد لهما من وجود يذكر حين القياس على الواقع اليوم, وها هي حركة الإخوان تعلن عن غروبها بعد ان اصبح شعارها شعارا قاتلا لا يحمل الخيرية للبشرية وقد وصلت ذروة نكوصها باشتغالها على التفجيرات وممارسة الإرهاب الذي يهدد الانسانية جمعاء بالفناء والعدمية , ولم تكن هذه النتيجة بدون مقدمات منطقية ساهمت الاجهزة الاستخبارية العالمية في صياغتها بطريقتها حتى تستمر مصالحها في المجتمعات التي كانت تخضع لسلطانها الاستعمارية في القرن العشرين وما قبله .

وبالتأسيس على ما سبق بيانه, ووفقا لحركة التاريخ , نرى ان المجتمعات الحيه والفاعلة في حركة المجتمع التاريخية تفرز واقعا جديدا كما تقتضيه حركة التدافع بين الخير والشر والفساد والاصلاح وفق التعبير القرآني والاسلامي, وقد جاءت حركة انصار الله كنتيجة منطقية و طبيعية لمقدماتها التي بدأت عند مطلع الألفية وبالتحديد منذ الحرب الاولى على صعدة عام ٢٠٠٤م وصولا إل حالة تفجر الحدث في عام ٢٠١١م وحركة انصار الله كانت هي التعبير الامثل عن القوة الجديدة , والقوة المستضعفة التي جاءت وفق سنن الله في كونه من حيث المظلومية والاستضعاف ومن حيث تحقيق وعد الله بنصره وتأييده وبالتمكن لهم في الارض,

وهذه الحركة ترى في القرآن الكريم منهجا ونظرية
يمكن السير في طريقهما للخروج من المسالك المظلمة وهي
محقة في ذلك، فالقرآن هو الهدى والخير وهو العدل
والخلاص وبمجرد التأمل في سورة الاعراف نجد أنها تحمل
مقاصد الله من خلال سرد متواليات الحدث وبيان انحرافه
عن مقاصد الله ووجوب عقوبته ولذلك قالت سورة الاعراف
بشكل مجمل بحاجات الإنسان ومقاصد الله وتحدثت عن
العقوبات التي انزلها على الامم بسبب فقدان المعيارية
الاخلاقية من الحق والعدل والوجود والحرية وبيان ذلك في
سياق السورة ليس خافيا على كل ذي لب ومن خلال البعد
النظري لمقاصد الله كما نستشف من الدلالة في مستوياتها
المتعددة والتي نوجزها على شكل نقاط :-

- ١- اتباع منهج الله وعدم الانحراف عنه آية رقم (٢)
- ٢- ممارسة الظلم سبب جوهرى في الهلاك آية رقم (٣)
- ٣- المعيارية الحقيقية في ثقل الموازين وخسرانها هو
ثنائية الظلم والعدل
- ٤- الجحود والتكبر سبب من اسباب الهلاك
- ٥- التكبر والتغطرس سبب من اسباب الإذلال والصغار
- ٦- إغراءات الحياة وملذاتها وبهرج السلطةإمعان
في الخروج من دائرة الرحمة إلى دائرة العذاب
- ٧- التأكيد على خاصية العدل وعدم المبالغة في
ضرورات الحياة
- ٨- تجريم الإثم والبغي والفواحش والمشاعر السلبية ضد
الاخرين الذين تختلف معهم

٩- الاحتراز من النسج على منوال الاولين وتحري الحق والعدل

١٠- التحذير على اتخاذ الدين لهو ولعب والاستسلام لغرور الحياة وملذاتها والتحذير من الفساد في الارض.

تلك المبادئ التي تؤسس لحالة اجتماعية مستقرة سرد القرآن مؤيدات لها من التاريخ في سياق سورة الاعراف وفي سياق موجهاة واضحه علينا مراجعة انفسنا لمعرفة مدى التزامنا المنهجي والاخلاقي بها واما مها وامام غيرها.

معركة الوجود العربي

تهدف الاستراتيجيات التي تستهدف العرب والمسلمين الي إطالة أمد الحروب الطائفية وفق أحدث الدراسات الاستراتيجية طبعاً وبحيث تكون أبدية أملاً في الوصول الي حالة التدمير الشامل للعرب والمسلمين وبحيث تتحول هذه الأمة بنظر العالم الي محاربين لا يحبون السلام والاستقرار، وتحركهم أحقاد وثرارات لا تنسجم مع حالة العالم ومصالحه وبذلك ينشأ توافق عالمي علي أن القضاء علي الاسلام هو الحل الوحيد لإنقاذ العالم من شروره.

"إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضيون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمّر الحضارات، وتقوّض المجتمعات، والحلّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية» جاء ذلك بالنص في مقابلة أجرتها وكالة إعلام مع "برنارد لويس"، مستشار البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط في عهدي بوش الأب والابن، وهو مستشرق بريطاني يهودي الديانة، وصاحب أخطر مشروع في القرن العشرين لتفتيت العالم العربي والإسلامي .

ومشروع التفكيك بدأ في عام ١٩٨٣م وظل يراوح مكانه الى أن ظهر في بداية الألفية بالتمهيد له بأحداث ١١ سبتمبر , وكانت تلك الاحداث مع موجات التفجير التي اجتاحت العالم هي المحرك الأساسي له , إذ طرأت منذ ٢٠٠٤م فكرة الشرق الأوسط الجديد التي تمخضت فولدت حرب تموز ٢٠٠٦م بلبنان وهي الحرب التي لم تكن نتائجها مرضية للمنظومة الصهيونية العالمية , وللسيطرة على مقاليد الزمن وحركة التاريخ سارعوا الى تبني استراتيجية راند لعام ٢٠٠٧م بهدف انشاء شبكة اسلام معتدل وهي الرؤية الاستراتيجية التي نجحت الى حد ما في بلوغ أهدافها في التحكم بمصائر الشعوب , وفي الاحتلال , وتدمير الثقافة الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية , عن طريق موجة الربيع العربي وتداعياتها التي لن تقف عند حد التدمير فقط بل الى أبعد من ذلك وهو مرحلة اللا دولة وهو الامر الذي يحدث بالفعل في جل الدول التي عصف بها ربيعها , وجار التمهيد لدول أخرى هي الان فاعلة لكن تدميرها في قائمة الانتظار

والسعودية علي رأس القائمة من خلال اشتغال الاعلام الامريكي ضدها والتركيز على استنفار مشاعر المسلمين في خطين متوازيين هما:

- خط تدمير التطبيقات الدينية.

- والخط الثاني بيان رغبة النظام السعودي في طمس قبر الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة حيث كانت الصحف الامريكية قد أثارت هذا الموضوع ثم جاءت قضية جمال خاشقجي لتحتل الصدارة وقد لاحظ المتابع اشتغال المنظمات

الامريكية على موضوع الحريات في السعودية بالتزامن مع التظاهرة العالمية لاجتماع منظمة الامم المتحدة والمنعقدة في أواخر شهر سبتمبر من عامنا هذا ٢٠١٩م .

مشكلة النظام السعودي أنه ينساق وراء أمريكا دون وعي أو حساب للعواقب التي تترتب عليها المقدمات فهي تستخدمه اليوم تحت غطاء مبررات واهية في ضرب مقدرات الأمة وضرب مراكز قوتها ويستغل العدوات لهدم تلك المقدرات والمراكز من باب الانتقام والنكاية.

والسعودية من خلال حركة التحديث التي تنتهجها اليوم تسعى لتقويض التطبيقات الاجتماعية والفكرة الدينية من خلال هيئة الترفيه ومن خلال منظومة من الاجراءات التي تتخذها من أجل أن تجاري العالم وتجلو صورتها التي تبدو أنها شاهت من خلال اشتغال العالم المتحضر على جلاءها لتبدو كما هي في حقيقتها لا كما يريد المال المدنس أن تكون.

بيد أن عدوان السعودية على اليمن مع ما صاحبه من توحش ومن جرائم حرب وقعت فيها ستكون هي القشة التي تقصم ظهر البعير وتظل السعودية تدفع فاتورتها زمنا طويلا.

الموضوع الذي تستغرق السعودية نفسها فيه في اليمن لن يكون ذا أهمية في الجانب السياسي ولا في الجيوسياسي لا على المدى القريب ولا البعيد ولكنها تنساق وراءه سوق البعير الضالة , فالمركزية الاقليمية ستكون لإيران من خلال جملة من المعطيات التي يفرضها واقع الحال , منها على سبيل المثال : تنامي قدرات ايران العسكرية , واتساع رقعة

نفوذها في الاقليم , ودوليا لن يكون من مصلحة امريكا أن تنحاز ايران لخط الصين وروسيا فهي اليوم تقوم بترويضها حتى تضمنها في خطها أو تضمن الحدود الدنيا من الحياد , رغبة منها في لعبة التوازنات التي تدير حركة الاقتصاد العالمي بعد خروج الصين بكل ذلك الثقل لتفرض شروطا موضوعية تقلل من فرص أمريكا في التحكم بلعبة التوازنات الدولية .

لقد خاب ظن السعودية مرات عدة خلال مدة زمنية وجيزة وبان لها خذلان امريكا لكنها لا تعتبر وتظن الامر عاديا , فالسعودية وفق اعلامها كانت تؤمل نصرة امريكا في أزمة سفن الخليج , وضربة السفن النفطية في الفجيرة , ونصرتها في ضربة أرامكو , ولكن أمريكا قالت بصريح العبارة لن نحارب بالنيابة عن أحد , ذلك أن أمريكا تسير وفق استراتيجية واضحة الخطوط والاهداف , ولا يمكنها أن تحيد عنها والسعودية كانت وما تزال هدفا رئيسا في تلك الاستراتيجية بما تمثله من رافعة دينية ورمزية مكانية في قلوب المسلمين قد يترك ذلك أثرا واضحا في البنية الثقافية والعقائدية للعرب والمسلمين .

لن يطول بنا الامد حتى نرى السعودية واقعا متحولا ومتشظيا وفتاتا تأكل منه الطير ولا يجد آل سعود من يسقيهم كاسات الكرامة التي أترعوها بغباء لا نجد له مثيلا في تاريخ الدول فقد أحاطوا أنفسهم بالعداوات وحاصروا جغرافيتهم بالثأر وحالات الانتقام ولا نصير للظالمين.

الفصل الثالث

محورية اليمن

اليمن بين صناعة المستقبل أو انتظاره

مما لا شك فيه أننا نمر بمرحلة تاريخية مفصلية وتحتاج هذه المرحلة الى مهارات التفكير في تحليل وتشخيص المواقف الصعبة والتعامل معها، وتحتاج أيضاً الى مهارات إنسانية في العمل والفهم والتحفيز، وتحتاج الى قدرة على التنفيذ بمعرفة متخصصة وخبرة فنية، إدراكاً أن الذي أعلن عدوانه على بلادنا وشعبنا يتعامل بتكنولوجيا المعلومات في مختلف أنشطته سواءً أكانت عسكرية عملياتية أو حتى الأنشطة الذهنية.. وليس بغافل عن بال أحد أن المعلومات في هذا الزمن أضحت هي المصدر الرئيس في الهيمنة، حتى الهيمنة الاقتصادية، فالتكنولوجيا حولت الاقتصاد العالمي من اقتصاد يحتاج الى المعلومات الى اقتصاد قوامه المعلومات.

ومن هنا يأتي تأكيدنا على ممارسة القيادة في هذه المرحلة العvisية التي تتعرض فيها بلادنا لعدوان اكتمل عامه الخامس أو كاد بحقد غير مسبوق في أي مرحلة من مراحل التاريخ، بفكر جديد، يتسم بالشمولية والدقة والنظرة الثاقبة وتوقع المستقبل والاستعداد له، بل وصنعه أيضاً وليس انتظار قدومه، وطالما وقد تحمل انصار الله مسؤولية القيادة

والريادة في هذه المرحلة وفي غيرها من المراحل السابقة فلا بد لهم من التجدد والأخذ بمبدأ المبادرة ، ليقودوا شعبهم بكل دراية ووعي واقتدار الى مرحلة التعامل مع المتغيرات أي مرحلة الانتقال من عقلية عصر الصناعة الى عقلية عصر المعلومات، والفرق بينهما أنه في عصر الصناعة كان يتم الحصول على المعلومات كلما كانت هناك حاجة اليها في حين تتواجد المعلومات في عصر المعلومات بشكل دائم وهي تدور في حيز التشغيل، وكما كان الحال في عصر الصناعة يتصرف القادة فيه وكأنهم أصحاب قرار ولا بد من إدراك الحقيقة التي نحن عليها أن هذا المبدأ قد تغير بتغير الأحوال والمستويات الحضارية والمعرفية إذ فقد القادة في عصر التكنولوجيا خاصية صنع القرار بل أصبحت مهامه أكثر يسراً وأكثر تفاعلاً مع الحدث من خلال العمل على تشغيل المعلومات المتوافرة وهذا هو الحال الذي نحن عليه في عصر التكنولوجيا ولا بد من الوعي به والاشتغال على الخطط الاستراتيجية التي تصنع المستقبل وليس انتظار المستقبل حتى يأتي، والاشتغال على الخطط لا يمكن أن يكون عفو خاطر بل برؤى وأفكار قادرة على التحرك والتفاعل مع واقعها من خلال بنية تنظيمية وبنية توجيهية، وبنية رقابية، ترصد الحالات المنحرفة عن المسار لتعمل على تعديله حتى يتسق مع البناءات المختلفة، وحتى لا تذهب بنا التأويلات بعيداً نقول إن التخطيط يشمل تعريف الأهداف

ووضع الاستراتيجيات والخطط من أجل تنسيق الجهود والأنشطة.. والتنظيم هو تحديد المهام التي يجب القيام بها، وتحديد من يقوم بها، وكيفية تجميع المهام ومن يقدم تقارير ولمن؟ وأين يتم اتخاذ القرار، والتوجيه ليشمل تحفيز المرؤوسين وتوجيههم واختيار أقوى وأفضل قناة اتصال، ونبذ الخلافات والرقابة تقوم برصد الأنشطة للتأكد من أدائها، كما هو مخطط لها واتخاذ الإجراءات التصحيحية تجاه الانحرافات وعلينا أن ندرك أن العدوان لن يتوقف بتوقف نشاطه العسكري على اليمن بل سيستمر في استهداف العناصر والكوادر الوطنية والثقافية والعلمية والسياسية كما حدث في العراق وهو ماضٍ في تفكيك القوى الوطنية التحررية، فاليمن سيكون مستهدفاً باعتباره قوة تحمل قيما تحررية - وفق توصيف استراتيجية راند - التي تسير على خطاها السياسة الدولية الحالية، لذلك ووفقاً لما هو متوافر لنا من معلومات لا يلزم السكوت والصمت بل التفكير والتخطيط والتنظيم والتوجيه لنكون وجوداً قوياً غير قابل للفناء أو الإلغاء، ومثل ذلك يلزم الارتباط العضوي مع الحاجات الأساسية للإنسان وفق أحدث النظريات الإنسانية التي ترى الحاجات الأساسية هراً تضيق قمته باتساع قاعدته، وبالتالي تقل عندها عوامل الصراع ومفرداته ويحدث الاستقرار، والاستقرار يجعل من الاستراتيجيات صخرة صلبة تتحطم عليها المؤامرات.

ترتيب الوضع اليمني من الداخل

لا يليق باليمن أن يظل واقفاً في مكانه دون أن يبدأ في ترتيب بيته الداخلي بعد كل تلك العواصف التي حدثت له بدءاً من عام ٢٠١١م وصولاً إلى عاصفة العدوان التي ماتزال مستمرة على مدى أعوام خمسة (٢٠١٥م - ٢٠١٩م) ، فالقضية التي يجب الوقوف أمامها بقدر من التأمل والمراجعة والنقد (جلد الذات) يجب أن تبدأ حتى يكون عوده أصلب مما كان ، ويكون تفاعله وتأثيره أدام وأجدي .

ليس مطلوباً من اليمن في هذه المرحلة أن يكون حاضراً بقوة في تفاصيل المشهد السياسي الاقليمي - وإن كان الواقع يفرضه بقوة الحضور الشعبي والصمود الاسطوري - فالتعامل مع الواقع يجب أن يكون بقدر معلوم يحفظ التوازن الاجتماعي والثقافي والسياسي ، لكن حضور اليمن القوي يفترض تركيزه في بؤرة واحدة وهي ترتيب البيت الداخلي ، وإعادة تأهيله وفق أسس وقيم جديدة ، كما يفترض تجديد الأهداف وتحديثها وبحيث تكلف لجان اكااديمية وعلمية تعمل جاهدة على دراسة واقع اليمن ، وتقييم الحال الذي آلت اليه الامور في ظل المستجدات والتفاعلات الجديدة والحالة الأجد ، ويفترض بقيادة الدولة في هذه المرحلة أن تنظر الى مؤسسات الدولة وبنيتها التنظيمية وهيكلها العام ومدى فاعلية تلك المؤسسات وكيفية تحديث نظمها وآلية عملها

ليكون تفاعلها أكثر نفعاً وتأثيراً من ذي قبل مع الاستفادة من النظم الحديثة ومن التقنية الالكترونية حتى نتجاوز كل العثرات ويكون الأداء أجدى وأنفع , فالمرحلة التي نحن فيها تتطلب تنظيماً قوياً ولا تقبل الفوضى والارتجالية في التفاعل مع مستجداتها ومعطياتها .

وفي ظني أن تكوين قاعدة بيانات لدى الدوائر المختصة في مكتب رئاسة الجمهورية والجهاز الأمني وخطط واستراتيجيات ذات أهداف وطنية علياء وبحيث تضبط الخيار المنهجي في المسار العام وتمنع المزاجية والارتجالية في المؤسسات والوزارات هي خطوة لا بد من مناقشتها والعمل على تفعيلها وتوظيف الامكانيات المتوفرة لتكون ذات جدوى ونفع في صناعة التحولات وفي اتخاذ القرارات ومن المجدي أن ينشأ مركز دراسات يتبع الرئاسة ويختص بدراسة القضايا والمستجدات ويساهم في صناعة القرار وتصحيح الاختلال في النظام وتقويم السياسات العامة.

فمؤسسات التكاثر الثقافي مؤسسات مهمة في البناء التنظيمي للدولة يفترض أن لا يظل دورها غائبا وقائماً على الفوضى والارتجالية في مسار الدولة العام , وهي مؤسسات نظرية مهمة في البعدين الاقتصادي والسياسي , فالاقتصادي من حيث استثمارها في الانسان وتنمية قدراته ومهاراته ومثل ذلك يعود بالنفع العميم على اليمن وثقافيا من حيث

قدرتها على التجديد والابداع والابتكار فهي تثير السؤال وتناقش الاجابات من منظور حيوي وتفاعلي , والمرحلة تتطلب تفعيل دور هذه المؤسسات والاشتغال على حيويتها وتفاعلها مع الواقع ومثل هذه المؤسسات في الاهمية المؤسسة التنفيذية - الحكومة - التي يفترض بها تكوين رؤية واضحة للهيكل العام وكيفية توظيف المتاح وتحديثه , وهذا الأمر لا يمنع بقية المؤسسات من الاشتغال على قواعد البيانات وبحيث تستطيع كل مؤسسة من تكوين رؤية واضحة وعلمية تشخص إشكالات المراحل وتقتصر المعالجات وبحيث تكون السلطة التنفيذية قادرة على خدمة الجماهير العريضة بكل قدرة وتمكن .

ليس اليمن وطنا عابرا ولن يكون كذلك لأنه متجذر في عمق هذه التربة ومن خصائصها وله امتداد تاريخي وحضاري ولذلك فبقاء هذا الوطن كما كان عليه في سالف دهره من القدرة والتمكن وصناعة الحضارات والتاريخ تفرضه حزمة من العوامل وهي التي تمنع تفككه وتشظيه وإن كابد المستعمر نفسه في الوصول لذلك فهو سيفشل حتما، وما يجب معرفته أن كل مرحلة تتطلب وعيا واضحا بها، وتتطلب قيادات بحجمها، ولا نعدم مثل ذلك في صفوف الواقع اليمني اليوم.

نحن اليوم في مسار معركة شاملة لعل أبرز ملامحها المسار العسكري والمسار الاقتصادي لكن لن ندرك أن أهم تجليات المعركة سيكون المسار الثقافي بعد أن تستنفذ المعركة العسكرية خياراتها وتضع الحرب أوزارها سوف يبرز دور المعركة الثقافية بضرورة أشد مما كان عليه ولذلك من الحكمة أن يكون لدينا الاستعداد الكامل للمواجهة حتى يتكامل انتصارنا ونستعيد زمام ونتحكم في مقاليد الزمن القادم بدل الاستسلام.

معركتنا الحقيقية ليست مع أمراء النفط إنما أولئك خزان مال وحراس ثروة ليس أكثر مهمتهم تمويل المعارك والاستراتيجيات التي تقف وراءها كبريات المؤسسات البحثية في العالم، والتعامل مع العقل الأري ليس كغيره فهو لا يتقبل القضايا ككليات بل يقوم بتحليلها وتجزئتها ويسعى في توظيف الثغرات ليحقق غاياته ومآربه، ولذلك نقول بالاهتمام بالإنسان وتوفير حاجاته البيولوجية واشباع تجاربه من خلال الفنون، وتفجير طاقاته الفكرية من خلال الحوار الدائم الذي يصحح المفاهيم.

لن تكون المعركة الثقافية سهلة فقد تركت الحرب جروحا غائرة ومسافات نفسية متباعدة، وحالات فكرية صامدة، ومفاهيم وتصورات ثابتة من خلال تكثيف الخطابات الاعلامية والفنية والادبية في الاستهداف ولذلك نرى أن جمع الطيف المتعدد في الرؤى والمشارب تحت خيار مشروع

وطني جامع موجه وفق رؤية استراتيجية تبنى على اسس فكرية وعقلية تعيد ترتيب نسق الذات في داخلها وترمم المتصدع في القناعات والخيارات وتعمل على تمتين الهوية الوطنية الجامعة عبر مختلف المجالات.

حالة التنافر في النسيج الوطني

عند إعلان الوحدة عام ١٩٩٠م غفل القائمون على صناعة الحدث حينها عن البعد الثقافي ركونا إلى تراكمه وكان اشتغالهم كل اشتغالهم على البعد السياسي ولم تكن النتيجة حينها إلا حرب صيف ١٩٩٤م. وبعد "٧ يوليو ١٩٩٤م" تكرر ذات المنهج وذات الخطأ فلم تكن النتيجة سوى ما شهده الوطن من تنافر وحروب بدءا من حرب صعدة مران في ٢٠٠٤م ومروراً بتنامي الشعور الغاضب عند شعب الجنوب وتشكل الحراك في ٢٠٠٧م وانتهاءً بالغضب الشعبي الذي تفجر في مدار عام ٢٠١١م.

كما أن حالة الانتقال التي حاولت تشكيل نفسها في مخرجات الحوار الوطني وقعت في ذات الدائرة المغلقة التي يدور فيها هذا الوطن منذ مطلع ستينات القرن الماضي إلى هذه اللحظة التي نشهد تفاصيل تموجها في سماء المشهد السياسي.

عقود من الزمان تمضي من حين الوصول إلى حالة الاستقرار من عمر الوحدة الوطنية دون أن يحدث أي تجديد في بنية المؤسسة الثقافية حتى تستطيع أن تواكب الحدث الوجدوي وحالة الانتقال التي تتسارع في أيقاع العصر وفي بنية المجتمع ونسيجه العام وفي التطور التقني. وكان لذلك أثر غير محمود فالعلاقة بين المثقف والسياسي هي علاقة جدلية فعلاقة المثقف بالسياسي هي علاقة احتياج وعلاقة السياسي بالمثقف هي علاقة ضرورة فالتطور لا يتكامل إلا به وذلك من خلال إدراكه الواعي لمصيره ودوره المستقبلي ولواقعه وأبعاده المتعددة ومن خلال قدرته على التفكير وإعادة البناء والصياغة وبما يحقق انزياح مجتمعه وفاعليته فيه فالواقع الذي تغيب أو تتعطل فيه معظم أشكال سيادة القانون أو الديمقراطية الحقبة أو المساواة أو الحرية أو المواطنة لا يعدو عن كونه مجتمعا مشوهاً لا يكاد يتجاوز دوائر الامتثال والطاعة وثقافة الاستهلاك والتبعية وأمامه يبرز دور المثقف وهو دور تاريخي لا يقوم على تبرير الوضع القائم بل على ممارسة النقد لما هو كائن التزاماً لما سوف يكون وبالوسائل المتاحة وعبر كل أشكال الثقافة التنويرية التقدمية في الآداب والفنون .

وفي ظني أن أمام المثقف الوطني في الراهن ثلاث قضايا تتلخص في التالي:

1-الوقوف أمام الماضي ومساءلة مصادره المعرفية والثقافية ذلك أن الماضي يعيق نظام الطاقة والقدرة على التجديد.

2-مساءلة الحاضر البشري الثقافي والسياسي والاجتماعي وتفقد أثره وإنتاجه وطبيعته الاجتماعية والسياسية والثقافية من أجل الخلق والابتكار ضمن حدوده النسبية لا المطلقة ومن خلال مكونه ومن خلال منظومته التي هي عليها وإعادة الترتيب والصياغة.

٣- الوقوف أمام أسئلة المستقبل وخلق إمكانية التحكم به عبر أدوات ومناهج العلم والتخطيط لا الفوضى والارتجالية التي نعاني منها في المظاهر الحياتية العامة.

فوجود المثقف ضرورة في حياة السياسي ذلك أن الثقافة والفن من الأهمية بالمكان الذي يترتب عليهما حدوث التطور والنماء والتوازن النفسي للأفراد والمجتمعات باعتبارهما – أي الثقافة والفن- بدائل أو حياة مركزة يستغرق الإنسان ذاته فيها يقول أرنست فيشر:

(إن الفن لازم للإنسان حتى يفهم العالم ويغيره وهو لازم أيضا بسبب هذا السحر الكامن فيه) .

ويقول بريخت: " إن النظرة الجمالية السائدة في مجتمع يحكمه الصراع تتطلب أن يكون الأثر المباشر للعمل الفني هو اخفاء الفروق الاجتماعية بين المتفرجين بحيث تنشأ منهم جماعة لا تنقسم إلى طبقات وإنما تكون وحدة إنسانية شاملة."

ومن هنا يمكن القول إن حاجتنا إلى الفن – والفن هو إحدى دوائر التطور عند هيجل- تبدو أكثر إلحاحاً وأكثر لزوماً فالصراع ترك فروقا اجتماعية وتمايزاً طبقياً وسياسياً ولا يمكننا ونحن نمر بمرحلة انتقالية أن نجتاز تلك العقبات إلا بالفن بحيث نستطيع الوصول إلى وحدة وطنية ووحدة إنسانية مشتركة.

فالكيانات التي تمايزت في الإطار الوطني بعد عام ٢٠١١م تريد أن تتحدث عن شيء أكثر من مجرد "أنا" , شيء خارجي وهو مع ذلك جوهري بالنسبة إليها فهي تريد أن تحوي العالم وتجعله ملك يديها, ومثل ذلك التطلع والتشوق يمكن احتواؤه والسيطرة على أبعاده النفسية والوجدانية والثقافية من خلال الفن الذي يربط تلك (أنا) بالكيان

المشترك للناس وبذلك نتمكن من جعل فرديتها اجتماعية وربما إنسانية، فالفن هو الأداة اللازمة لإتمام الاندماج بين الكيانات المتميزة والمتنافرة والآخر المختلف معها وربما الآخر الذي يحترب معها فهو يمثل قدرة الإنسان غير المحدودة على الالتقاء بالمختلف وعلى تبادل الرأي والتجربة معه.

فالإنسان بالضرورة يريد أن يكون أكثر اكتمالاً، فهو لا يكتفي بالحالة الانعزالية بل يسعى إلى الخروج من جزئيته الفردية إلى كلية يرحوها ويطلبها، فهو يحلم بعالم أكثر عدلاً وأقرب إلى العقل والمنطق.

وحتى نستطيع ونحن على أعتاب مرحلة جديدة أن نرسم خارطة ثقافية -وتلك مهمة غير سهلة - لا بد من التجديد وتجاوز اخطاء الماضي فالعشوائية لا يمكنها إلا إعادة إنتاج ذات الصراع، والتجديد لا يتم إلا من خلال إعادة البناء وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها الذي يرتبط بالتطور المادي الحضاري لمجتمعاتنا بما يحفظ هوية الأمكنة.

فالتنافر في البنية العمرانية الذي حدث في الحواضر الجنوبية بعد الوحدة مثلاً ترك بعداً إغترابياً عند الإنسان وهو ما نجد التعبير عنه في مضمون العبارة (الاحتلال اليمني)، وتلك

العبارة يتحمل وزرها السياسي الذي مال إلى التغطرس
والانفراد فلم يكن جهده إلا ذلك التنافر الثقافي والسياسي في
النسيج الوطني.

وليس ذلك إلا مثلاً واحداً لغياب البعد الثقافي ولعلنا قد
أدركنا أثره في واقع التموج السياسي.

حتى لا يرجع الماضي دعونا نصنع الغد

يقول البردوني في مقال له: ما جرى في التاريخ القريب أو البعيد جرى في بلادنا - باعتبارها أقرب الى الماضي بتقليديتها وأقرب الى التحول بطموحها وفاعلية التغيير، فإذا كل تحركها - كما تدل الوقائع - يتردد بين الطموح والتقليدية، فيتأرجح بين زمن لا يأتي وزمن لا يرجع , وكلا الجانبين - كما يوحي الاستنباط العقلي السليم - آت من تأريخنا العقائدي والفكري والذي جمع بين الفكر الثوري التحولي والتقليدية الماضوية وكان نتيجة منطقية لحالة الانحراف التي بدأت منذ السقيفة .

وأصبح واقعنا اليوم شاهدا على ذات النسق التاريخي لكل مماثل فهو لم يأت بجديد بل كان امتدادا متجددا من صميم تجارب الماضي، فكل حركة تاريخيه وثقافية تسترجع أمسها كأساس ليومها فهي تحقق الثبوت في الواقع من حولها ولا تجتاز الماضي في نسقها العام ولذلك فالواقع الثوري يفصح عن ماضٍ يتعاضى عن الرجوع كما يشير الى توقف الواقع الثوري عن الفاعلية.

وبعد كل الحماس الثوري الذي صاحب حركة المجتمع منذ ٢٠١١م الى طغيان العدوان نلاحظ اليوم أن الحماس

المشتعل بدأ يبرد , فاليمين اليوم بين حالين , عجز المقبل وخذلان المتراجع , وبينهما تكمن رغبة السلام من المتحاربين , والسلام الذي يأتي نتيجة عجز المتحاربين لا نتيجة انتصار طرف على آخر يعيد حركة التاريخ ويبعث الماضي ويحفز على الثأر وعند هذا المحور تصبح الثورة حركة هزيلة في فراغ ممتد بين طرفي ماضٍ لا يرجع وآتٍ لم تنتهياً فصول ميلاده , فالغد الذي تنشده حناجر الفقراء يستدعي جدة نفوس الداخلين فيه , وقدرتهم على تجديده وتجديد نفوسهم معه وهذا أمر لم يتحقق , فكل العناصر المتجددة في اطار حركة الواقع تم التعامل معها تهميشاً واقصاء , كما أن البطء في الوقوف أمام الظواهر , والبطء في حركة التبدل , يجعل الحال نكوصاً لا يلبي ما كان يخامر الوجدان الثوري , وما يهدف اليه الناس من تطلعات .

ويبدو أن الوعي بالمرحلة هو البداية الصحيحة لفهم الواقع , وهو القدرة الحقيقية في السيطرة على مقاليد المستقبل , فالحاضر والمستقبل لا يشبهان كل الذي مرَّ في تأريخ المنطقة, فالعدو الذي يتربص بنا الدوائر اليوم يقوم بإحداث قدر من التوازن, وكل المؤشرات تقول أن المنطقة قادمة على تغيرات ديمغرافية وجيوسياسية, وصراع القوى الكبرى بدأ يشتد أواره, وقد تشهد المنطقة- وفق كل المؤشرات والرموز التي يبعثها الواقع اليوم – حرباً عالية الأوار فالتوتر قائم بين الصين وأمريكا وبين أمريكا وروسيا,

وبريطانيا التي كانت تغض الطرف عن أي تواجد عسكري لها بالمنطقة ها هي اليوم تعود وتنشئ قواعد عسكرية في الخليج وهي قد تسلمت الملف اليمني تمهيدا لفرض هيمنتها على باب المندب وعدن ,وعلينا أن ندرك أن الحرب التي يديرها العدو اليوم لا تقوم على الهيمنة الاقتصادية كما كان في زمن عصر النهضة بل تقوم على البعد الثقافي, ولم يستوعب العرب الفكرة, ولا الحركات التحررية, وثمة حركات كانت ترفع الشعارات التحررية هي اليوم في حالة تماهي غير واعية مع المعركة الثقافية التي يديرها العدو بذكاء مفرط, ويقابله غياب غير مبرر من العرب والمسلمين.

أمام هذا الواقع الذي يمر بالأمة يفترض بنا الوقوف والمراجعة، والاشتغال على ذات القنوات التي تستغل في إدارة المعركة وهي القنوات الثقافية، فالبعد الثقافي يشكل المنحى الأهم في السيطرة على الوجود والفاعلية في المستقبل.

فاليمن – التي هي جزء من المنطقة – ستكون في محك الأحداث ولذلك يتوجب علينا الاهتمام بالبناء الثقافي الذي يستوعب المرحلة ويعيد ترتيب نسقها، ويعمل على التأثير في مجرى الأحداث، ولن يتحقق ذلك التأثير الا بالاشتغال الواعي في بناء مشروع نظري يستمد أسسه من المنطلقات الاسلامية ليكون قادرا وفاعلا في تحقيق عالمية الاسلام،

فالحصار الذي يشهده الاسلام في بؤر العداء للإنسانية والحضارات وفي الإرهاب يجب كسره بالبناء الثقافي والتفاعل الحضاري ووفق استراتيجيات واعية ومدركة لفكرة صراع الحضارات.

لا يمكن الحديث عن مشروع يظل محاصرا بفكرة القوميات، ولا يمكن الحديث عن فكرة مالم تستوعب البعد الانساني، نحن أمام واقع لا يعترف بالطائفية ولا بالقوميات وأمام دين جاء لتحقيق الرفاه للبشرية قاطبة فهو للعالمين كلهم بدليل نصوصه القطعية، ولذلك فالقضية هنا لا يمكن حصرها في بعد واحد، فعالمية الاسلام في القيم والمبادئ التي جاء بها، وليس في الرموز أو الشخوص التي مرت بالتاريخ، فتقدير الرموز ليس عيبا ولكن الاستغراق في التأليه والتنزيه هو المثلبة التي يفترض أن تجتازها.

معركتنا مع العالم من حولنا هي معركة توازن ثقافي وحضاري وفهم هذه الخصوصية , هي الذي يجعلنا في مراتب التأثير لا مراتب التلقي والخضوع لما يملا علينا , والقوة المفترضة هي القوة الثقافية والحضارية أما القوة المادية العسكرية والاقتصادية فهي عوامل مساعدة ليس أكثر من ذلك , ولذلك لم يستنكف العدو من النيل من البعد الثقافي والحضاري للعرب بنشاطه المكرس لهدم المثاليات والرموز والعمل على رسم صورة مشوهة وظلاميه عن الاسلام بدأ

هذا النشاط قبل بدء المعركة حتى تكون مبررا أخلاقيا في القضاء على النمط الثقافي والحضاري العربي .

لا يمكن للماضي أن يعود وحتى نجتاز عثرائنا لابد لنا من الوقوف أمام الحاضر لمساءلته كي نصنع المستقبل الذي يليق بنا وبمشروعنا الاسلامي الانساني.

محورية اليمن في المشهد السياسي الاقليمي

لا يمكن الحديث عن صناعة محورية لليمن لانتفاء ذلك أصلا من حقائق الواقع، ولكن ثمة أسباب فرضت هذه المحورية أو هيأتها لتكون، منها ما هو موضوعي وجاء وفق تداعيات الاحداث ومن نتائجها، ومنها ما كان مرتبطا بغباء الخصوم، ومنها العامل التاريخي والحضاري اليمني، فالمحورية التي أصبحت واقعا لا يمكن تجاوزها، بل يفترض تشغيلها في اتجاهين مهمين وهما:

- الاتجاه الوطني العام.

- والاتجاه التنظيمي الخاص المبني على منطلقات وأسس استراتيجية لليمن في الاقليم.

ولعل الوعي بهذه الخصيصة التي يمكننا اقتناصها من بين انياب اللحظة , هو الخطوة الأولى في الصناعة , وقد تحدثنا في مقالات سابقة عن موضوع الصناعة وأهميتها , لكن يبدو أنه لم يعد من أحد يقرأ , أو يستوعب ما يطرح من أفكار , والمشكلة أن المجتمع وصل الى حالة التيه وهو ما يطلق عليه اليوم "بالجهل المقدس" والجهل المقدس هو الاستسلام المطلق لنزوات الجماعات والسياسات وبحيث تصبح مفردات الحياة وتفاعل الواقع في فراغ لا متناهي , وفي تيه كالذي كان في الأمم السابقة , وهذه الحالة تنزاح بشكل أو بآخر على المجتمع كله , فلم يعد هناك من اهتمام بالصناعة وبالبناء , ولكن نجد اهتماما بصناعة قوالب جاهزة , وهي تكرار لنماذج في التاريخ , ومثل ذلك لا يخدم حركة التطور ولا يساعد على عوامل النهضة التي تسعى اليها المجتمعات العربية منذ بدأت حركة الواقع تتموج وتخرج في المظاهرات والثورات حتي في البلدان التي شهدت استقرارا في السنين الخوالي .

وقد تحدثت كثيرا عن أهمية البعد الثقافي، ومحورية هذا البعد في البعد الاستراتيجي، وفي البناء، وفي دوائر التطور التي تتكامل مع بعضها لتبدع واقعا جديدا ويبدو أنني أصب ماء في رمل الصحراء فلا أحد يعي هذه الأهمية، ولا أحد يدرك الأبعاد التي تشكلها في الحاضر وفي المستقبل، فالفكرة

الدينية حين تصبح بلا ثقافة تغدو الحياة والسياسة والاقتصاد والدولة تيتها، وفراغا وجوديا، بدون معنى أو قيمة.

العالم الذي يرتبط بمصالح في الجغرافيا العربية يتبع سياسة واضحة ويبنى استراتيجيات تهدف الى ضمان مصالحه، والحال الذي عليه العرب اليوم نتيجة منطقية لتلك الاستراتيجيات والسياسات ، ويبدو أن العرب من الغباء بالمكان الذي جعل منهم دمي تتلاعب بها تلك المصالح دون ادراك واعى بمصالحهم ، فالجهل المقدس صناعة استخباراتية عالمية تقبلنا واقعها بدون سؤال ، وسرنا في طريقها دون وعي ، وأصبح الوعي غائبا من جل تفاعلاتنا اليومية ، فنحن نقتل ونرقص على الأشلاء بفرح المغامر الذي لا يغامر ، وبنشوة البطل الذي ليس بطلا ، لفقدان المعيارية الاخلاقية والثقافية .

وأمام ذلك الفراغ الذي ينشد الامتلاء تأتي الاهمية المحورية لليمن من خلال مشروعها القرآني لملء هذا الفراغ كجزء من استحقاقات المستقبل التي تفرضها المحورية الوطنية التي وصلنا اليها.

فعلى الصعيد الوطني أصبح المشروع القرآني هو الملاذ الوحيد الذي يمكن التعويل عليه في الخروج من هذه الشرنقة التي قادنا اليها الجهل المقدس في ظل صراع نفوذه ، وصراع الوصول الى المركزية الاقليمية ،فالسعودية لا

يمكن لها الوصول الى هذه المركزية , وقد تنزاح الى غيرها بعد أن أصبح صراعها يبتعد عن الصناعة الثقافية الحقيقية التي تبذل وجودا حقيقيا مؤثرا في مجرى السياسات الدولية , وقد يترك الدم المسال في الواقع العربي أثرا غير محمود يجعل من تركيا أو مصر هما البدائل المحتملة , وليس بخاف النشاط الثقافي الذي تصدره تركيا في مظهر حضاري لافت للنظر , وعودة الأزهر الى تصدر المشهد الديني - ولو يبدو هذا الدور خافتا في ظهوره علي استحياء لكنه سيبرز بشكل أكثر كثافة خلال قابل الايام - وأمام مثل هكذا واقع يصبح اليمن في محورية وجوده في المشهد معنيا بالصناعة , ومعنيا بصياغة اللحظة الزمنية الفارقة في حياة المجتمع اليمني وفي الاقليم .

لقد أصبح اليمن في صدارة المشهد وعليه أن يدرك مسؤوليته التاريخية والحضارية فقد شاءت له الاقدار - وإن كان لم يخطط لها أو يحاول صناعتها - لكنه قدره الذي وضعه الواقع فيه.

لقد أصبحنا نملك الرؤية ونملك القوة والوعي اللازم ومن خلالهما نستطيع صناعة محورية اليمن حتى يتمكن من استعادة دوره الحضاري والتاريخي في المركزية الاقليمية , فميزان المصالح الدولية بيد العرب والنفوذ الى التأثير في رسم السياسة الدولية من خلاله وارد لا محالة لكن ذلك لن

يتحقق إلا من خلال مشروع نهضة عربي جامع تكون القوة معياراً مؤثراً فيه لا حلقة في سلسلته.

الموضوع لا يحتاج مالا كثيراً ولكنه بحاجة إلى فكر مكثف ورعاية للمفكرين وعناية فائقة بهم وحركة ثقافية نشطة تفرض تأثيرها على المحيط وتنفذ من خلاله إلى غيره وبدونها لا يمكننا الحديث عن قوة تفرض نفسها على حركة التوازنات الدولية يتوازى ذلك مع ورغبة سياسية طموحة وسوف نصل لفرض ميزان جديد من خلال هذا الفكر لنكون قوة فاعلة في رسم السياسة الدولية.

والرغبة السياسية تبدأ من الواقع من خلال تحديث البنى التنظيمية لمؤسسات التكاثف الثقافي وتجديد أهدافها وتجويد مخرجاتها، وإعادة توحيد الطاقات للمؤسسة الثقافية وتحديث بنيتها بما يتسق وحركة الانتاج وبما يتوافق مع حركة الواقع الحضاري ومستواه المتجدد.

محاولة أولى لفهم السياسي اليمني

يبدو أن الزمن يسير بخطى متسارعة, فلا يكاد المرء يلتقط أنفاسه حتى يرى أحداثاً ومستجدات تعمل على قلب كل التصورات العالقة بذهنه, ويبدو أن ايقاع الزمن لم يعد هادئاً

ولكنه أكثر صخباً , وأكثر تسارعاً في تدفق أحداثه وتغير مساراته , ولذلك لم يعد للهدوء مكان في قاموس الزمن الحضاري الجديد , فالتقنية جعلت من الحياة أمراً ميسراً وسهلاً ولكنها بسرعة زمنها , ودقة عملها وجودته , ولذلك فالخطأ لم يعد مقبولاً , والتباطؤ لم يعد مقبولاً أيضاً , ولا بد من التناغم مع سرعة الزمن , ودقة معلوماته حتى نتمكن من السيطرة على مقاليد الأحداث .

ففي المشهد السياسي اليمني تكاد الصورة أن تتغير بين غمضة عين وانتباهتها , فالانتقالي في الجنوب يسير بخطى الواثق الى ترتيب أوضاعه بمساندة حكومة الرياض "الشرعية" - من حيث تدرك ومن حيث لا تدرك - وبرؤية واضحة الخطوات ترمي الى فرض خيار الانفصال كأمر واقع في الجنوب , من خلال ترتيب وضع المؤسسة المالية , وفرض الحزام الأمني والعسكري الى حدود ما قبل الوحدة اليمنية , ومحاولة الفرز للفصائل , والتهجير للشماليين , وتصعيد خطاب عدائي ضد الشمال , وضد الوحدة الوطنية , وبدأت الساحة الجنوبية تشهد صراعاً بين الإمارات وقطر , فضلاً عن التنافس بين السعودية والإمارات , وتنوع الولاءات في الجنوب بين السعودية , والإمارات , وقطر , هدف استعماري واضح بهدف صرف الانظار عن القواعد العسكرية في ميون , وسقطرى , وفرض الهيمنة على باب المندب , وتمكين السعودية في المستقبل من مد خط تصدير

للفظ عن طريق الموانئ اليمنية , حتى تكون خياراتها متعددة في حال سيطرت ايران على خليج العربي , أو أغلقته - بحكم تطورات الصراع الى حرب مباشرة - أمام السفن السعودية , ومع تقاطع المصالح بين السعودية والامارات من جهة , وبين قطر من جهة أخرى, تصبح المعادلة اليمنية أكثر تعقيدا , فاللاعب الذي يدير رقعة الشطرنج - وهو المستعمر البريطاني والأمريكي ومن ورائهما اسرائيل - يريد أن يجعل من الجنوب اليمني بؤرة متقدة لا يهدأ أوراها , لأن حرب الجيل الرابع ذات مستويات متعددة في الاستراتيجية الغربية .. فهي ذات أبعاد اقتصادية , وثقافية , وعسكرية , ولذلك كان الاشتغال على تمكين التناقضات من إدارة صراعها على أرض الجنوب من باب السيطرة على مقاليد المستقبل.

فالصورة الواقعية اليوم مع ظروف الحرب , هي أن الجنوب لا يكاد يمت بصلة للشمال , وما بينهما بون شاسع , وحجم التناقضات يزداد اتساعا كل يوم , والهوة العميقة في المسار النفسي والمسار الاجتماعي تزداد عمقا وتباينا , وبذلك تصبح قضية الوحدة الوطنية قضية مزائدة ليس أكثر, فقد تجاوزت فكرة المشروع الى فكرة عقدة المنشار , ولا مصلحة للشعب في الشمال ولا في الجنوب في الاستمرار في هذا المسار , فالقاعدة التشريعية التي توافق عليها الفكر التشريعي الاسلامي تقول: دفع الضرر مقدم على جلب

المصالح, فالمصلحة المتحققة من الوحدة ضررها أصبح أكبر , ومن هنا تصبح الوحدة تناقضا وضررا وليس مشروعا جامعا يفيد اليمن وشعب اليمن , وهذا هو الحال الذي سعى اليه بعض أبناء الجنوب وكان الاشتغال عليه من قبل المستعمر الغربي اشتغالا استراتيجيا عميقا, فقد وظف المعلومات بما يكفل له المصالح المرسله ,ويكفل ثنائية الهيمنة والخضوع .

ولا يبدو الأمر أكثر وضوحا في الشمال وإن كان يبدو للرأي من أول وهلة واضحا دون لبس لكنه أكثر غموضا منه في الجنوب الذي برزت تناقضاته على السطح، ذلك أن العدوان ستر الكثير من التناقضات في الشمال تحت رماد أحداثه، لكن تلك التناقضات سوف تفصح عن نفسها بعد أن تضع الحرب أوزارها، باستثناء تعز، والجوف، ومأرب .

في المحافظات التي تشهد صراعا اليوم (تعز ,مأرب, الجوف) أصبح الصراع يشكل امتدادا لما هو ماثل له في الجنوب , ويبدو أن الإخوان هم الحلقة الأضعف في سلسلة الأحداث , وهم الجماعة التي سوف يستهدفها الصراع بالتحجيم , والتقليل من الدور والفاعلية والقيمة والمعنى , ولعل غياب الإخوان قد ساهم في هذه النتيجة التي وصلوا اليها سواء في الجنوب أو في المحافظات المذكورة , ويمكن أن يقال في الشمال كله وقد كان موقف اليدومي في هذا

الشان واضحاً فهو يرفض الاستقرار, وقد قال أن حزبه لن يجلس على قارعة الطريق , ولكنه سيكون حاضراً في صناعة المستقبل , وقد بدأت تلك الاشارات تؤتي أكلها من خلال حركة الاغتيالات التي تحدث لرموز السلفية ولغيرهم والصراع البيني المسلح في أكثر من مكان في اليمن .

والصورة التي تبدو للمراقب العادي في صنعاء هي التباين الواضح بين المؤتمر وأنصار الله، في الأسلوب ,,وفي الرؤية ,وفي طرق المعالجة , والمتابع يرى هروب كل طرف من مواجهة استحقاقات الزمن الاستثنائي الذي تمر به اليمن , وتبادل الاتهامات في هذه المرحلة العسيرة لا نراه يخدم عملية التوافق والشرابة بين المكونين الوطنيين -انصار الله والمؤتمر - كما ان الاستغراق في المقدمات لا يخدم النتائج الا بأثر سلبي وقد يكون ذلك الاثر مدمراً وباعثاً على تجدد الصراع بصورة أو بأخرى .

من جانب آخر تبدو ثقة الطرفين ببعضهما غير متوفرة، والشكوك تحيط بكل طرف وثمة عوامل مساندة لتلك الشكوك يعمل فيها طرف ثالث بهدف زرع الشقاق، وخلق التباينات، ليفرد لنفسه مساحة حرة يستطيع من خلالها ادارة اللحظة، والسيطرة على مفردات الصراع، ورغم محاولاته وسعيه الحثيث الا أنه مازال عاجزاً عن توسيع دائرة المساحة فهي كلما اتسعت ضاقت عليه بوعي العقلاء، لكن استمرار

الاشتغال سيجعل الخرق يتسع إذا استمر الاعلام في النفخ في دائرة التباينات ومثل ذلك ملحوظ في وسائل الاعلام المقروء والمسموع.

صناعة المستقبل تتطلب وعيا حقيقيا وتجردا موضوعيا وهي فكرة قابلة للتحقق اذا صفت النوايا، وتم التوافق على أسس وطنية واضحة في الشراكة، ووضع رؤية ذات عمق استراتيجي وطني يخدم البناء ولا يسعى للهدم.

أما موضوع الحرب فلن يستمر كثيرا، فدول العدوان تبحث عن مخرج ، ومرترقة الرياض هم الآن في أسوأ الاحوال ، والصراع الجديد بدأ يتحدث عن صورة أخرى عما كان عليها الحال في بدايته ، ويمكن الاستفادة من الواقع الجديد - اذا توفر الوعي السياسي الذي يقتنص الفرص في اللحظات الزمنية الفارقة - لتحقيق عوامل انتصار جديدة في المسار العام ، سعيا على حصار العدو في دوائر ضيقة ، من خلال الاشتغال على دوائر تناقضاته وخلافاته ، واستغلال الكتابات التي تتناولها في الصحافة العالمية ، وتضييق مساحات تحركه على الأرض ، فالحرب ليست جبهة مواجهة في الخطوط الأمامية ولكنها حرب ذات مستويات متعددة علينا الاستعداد لمواجهةها في كل المستويات وكل مستوى من المستويات له

أدواته وسلاحه وله رجاله والوعي بالضرورة يفرض
الادوات .

دوليا.. يشعر المجتمع العالمي بقلق من الحرب في اليمن،
ويجد أن الخروقات في القانون الدولي تنعكس بشكل سلبي
على سلطة المجتمع الدولي، ويشعر بفقدان الصورة المثالية
التي رسمها الزمن في التصور الجمعي العالمي، ويرى
الكثير أن ما تقوم به السعودية من شراء للضمير العالمي
بالأموال قد يشجع أطراف مماثلة على سلوك هذا الطريق،
وبذلك ينفرط العقد المتماسك للقانون الدولي، ويعود العالم
الى حروبه التي تجاوزها في منتصف القرن العشرين،

الخلاصة:

كل حركة الواقع اليوم تصب في صالح القضية اليمنية، وهي
تحتاج شعورا مضاعفا بالمسؤولية الوطنية، وتجردا
موضوعيا للقضية، وترفعنا عن الصغائر، وتحتاج توافقا
واعيا وبصيرا ووعيا حذرا وقدرة في اقتناص اللحظة
الفارقة.

الفصل الرابع

شذرات

الاحتفاء الحقيقي بالمولد النبوي

جاء الاسلام الى الناس كحالة تكامل مبنية على التراكم الذي سبقه في الرسائل السابقة أي أن الاسلام لم يكن حالة منفصلة عن كل الشرائع والرسالات السماوية التي سبقته بل كان تنويجا لها واستكمالا للمحددات الالهية التي أرادها الله أن تسود في البشر , ولذلك فصل القرآن عن مضامين الرسائل السابقة , فصحف إبراهيم كانت تناقش تعدد الاله وواحدية المعتقد والمعبود من خلال أثره على الحياة , والزبور ناقش علاقة الانسان بالكون والطبيعة والمواريث والغيبات وفصل عنها القول وكانت للقرآن إشارات حول ذلك , وجاء يوسف عليه السلام بنظرية اقتصادية واضحة المعالم والابعاد , وكانت التوراة تثير السؤال حول جدل العلاقات الاجتماعية والسياسية مع الآخر وقد تركت أثرا مدمرا على الذات البشرية حتى جاء الانجيل ليعيد تهذيب الذات ويعيد ترتيب نسقها بالمحبة والسلام والاناشيد والمزامير فالفنون تهذيب للنفوس وتكثيف للحيات في الذات وهي تعمل على حالة التوازن بين الروح والجسد .

ثم جاءت رسالة الاسلام لتستكمل البعد القيمي والاخلاقي عند البشر بعد أن بلغت الرسائل كمالها في الابعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ولذلك عبر الرسول الاكرم

عن ذلك بقوله: " أنما جئت لأتمم مكارم الاخلاق " بل مدح الله رسوله في محكم الذكر الحكيم بقوله: وأنت لعلی خلق عظیم " في إشارة الى حالة التكامل التي أرادها الله كما تشير آخر آية نزلت على الرسول الأكرم وهي قوله تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً "

هذا البعد القيمي والاخلاقي غاب عن البحث والتنظير والتأصيل في مسارنا الثقافي التاريخي بل لم يتم التأليف فيه إلا نادراً قديماً وحديثاً، والسؤال الاخلاقي أثاره وبسط عنه القول الجابري في مشروعه النقدي "نقد العقل العربي " وفصل القول عنه في كتابه " العقل الاخلاقي العربي ".

ولعلنا نستبين الخلل البنيوي في مسارنا الثقافي والسياسي من خلال هذا الغياب أو التغييب , فالإسلام الذي هدم منظومة الثقافات الكبرى في زمنه وهي الثقافة الفارسية والرومانية , والثقافة الفارسية هي ثقافة وثنية " مجوسية " لا تلتقي مع الاسلام في نقاط بعكس الثقافة الرومانية التي تشترك في كثير من محدداتها مع الاسلام , ولذلك حاولت الثقافة الفارسية مقاومة عوامل الفناء من خلال إعادة انتاج نفسها في الثقافة الاسلامية فتركت أثراً واضحاً في نظرية الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم , وفي اللغة والآداب , وفي الحياة الاجتماعية , والقارئ لكتب الاخبار ك"العقد الفريد "

لابن عبد ربه , و "اخبار الزمان " للمسعودي , وغيرهما ,
يكتشف ذلك الأثر للثقافة الفارسية , كما يكتشف الرؤية
المنهجية التي حاولت صرف العقل العربي عن الغوص في
النظرية الاخلاق العربية وهو بالتالي تعبير عن انحراف في
مسار الرسالة المحمدية وقد كان من نتائج ذلك حالة الهوان
والضعف الذي وصل اليها العقل العربي والمجتمع العربي
منذ العصر العباسي الثاني الى اليوم .

دعونا في هذه العجالة أن نشير الى مجموعة من القضايا
التي حدثت في المستويات الحضارية الحديثة وكانت من
صميم التجربة الاسلامية ولكننا صرفنا عنها حالة الانحراف
في البعد القيمي وفساد التأثير للثقافات من ذلك:

- روح التعايش والمدنية:

شكل خروج الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام من مكة
الى المدينة حالة انتقال من العصبية القروية الى روح
التعايش المدني حيث كانت المدينة خليط ثقافي غير متجانس
بل كان هناك المسلم وهو على حالين مهاجر وانصاري،
وهناك اليهود، وهناك النصاري، وهناك الوثني، وكانت
وثيقة المدينة أول دستور ينظم حياة المجتمع المدني في
التاريخ.

- العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

ثمة اشارات مبنوثة في كتب السير والاخبار تتحدث عن علاقة الحاكم بالمحكوم في تاريخنا قبل أن يتأثر بالثقافات الاخرى، فالرسول عليه الصلاة والسلام يطلبه تاجر يهودي ديننا بكلام لا يوقره ولا يحترمه فيثير غضب اصحابه فيسلون سيوفهم على اليهودي فينهرهم ويوبخهم ويأمر بقضاء دينه كما يأمر له بعطية تعويضا له عن الترويع الذي أصابه من سل السيوف.

وثمة قصص عن الاحتكام للقضاء ومنها قصة اليهودي مع الامام علي كرم الله وجهه وكيف تساوى الخصمان أمام القضاء دون أن تمنع إمارة المؤمنين عن ذلك.

- احترام القناعات الفكرية والحريات:

وهي ثابتة بالنص القطعي ومن خلال شروط قادة الفتح لأهل الامصار فهم لا يجبرون البلاد التي فتحوها بالدخول في الاسلام بل يتركون لهم قناعاتهم.

- الرفق بالحيوان:

ويكفي أن نورد هذا الأثر وغيره كثر في المرجعيات الدينية وهو قوله عليه الصلاة والسلام " من روع هذه في فرخها " وقوله: " في كل ذات كبد حراء صدقة ".

نحن نرى أن فقه التمدن في الإسلام , وفكرة الحريات
العقائدية , وفكرة التدافع بين الجماعات سياقات ذات جذر
وعمق في الفكر الثوري الإسلامي الذي قاد مرحلة انتقال من
أصعب المراحل ليبدع واقعا اجتماعيا وثقافيا جديدا في عهد
الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ويوم السقيفة كان سببا
مباشرا في كل التنظيرات والتخريجات الشرعية لنظرية
الحكم التي تستند اليها الجماعات التي تشوه في الاسلام وجل
تلك المدخلات الثقافية لا أصل لها في جوهر الإسلام بل
فرضتها ضرورة العصبية وروح الاستبداد في الذات
القروية , وتلك الروح التي تستند الى مبرر فساد الخروج
واستقرار الدولة هي التي عززت هذه الروح الى درجة
الاعتقاد بجوهريتها في الدين وأصوله وثوابته ومنطلقاته
النظرية, فالتاريخ يتحدث عن خروج الناس في زمن الامام
علي كرم الله وجهه ولم يسعه الا مناجزتهم بالسيف سواء في
وقعة الجمل أو صفين .

والأمويين تعاملوا مع أسباط الرسول عليه الصلاة والسلام
بتوحش الى درجة أن تركوا يحي ابن زيد مصلوبا حتى دفنه
أبو العباس السفاح وفق ما تقوله - بعض مصادر التاريخ -
دون مراعاة لقربة او حرمة

العباسيون طبعاً نبشوا القبور وأحرقوا الرمم وقتلوا وشردوا
بني أمية ولم يراعوا فيهم إلا ولا ذمة ثارا وحقدا.

ولم تمنع العباسيين قرابة النسب أن يعملوا سيف السلطة في
الطالبين فقد قتلوا النفس الزكية وابناءه وأخوته بمبرر
الخروج عليهم، هذا التراكم ترك في حياتنا الثقافية خلل
بنيوي لا بد من تصحيح مساره حتى نتمكن من الخروج من
دورات العنف والثأر والتوحش.

فالسيرة النبوية تحمل رموزا كان التفاعل معها تفاعلا جامدا
غير متحرك في فضائها الايحائي الذي تحمله فرحلة الإسراء
لم تكن إلا حالة تكامل في خط متواز بين رمزية المكان (مكة
/والقدس) وتلك الرحلة في خطها المتوازي بين رمزية
المكانين تشكل قاعدة الهرم، والهرم يكتمل بالمعراج والعودة
الي مكة > فرأس الهرم يوحي بواحدية المصدر والقاعدة في
طرفيها اللذين يشيران الى المكانين (مكة / والقدس) يوحيان
الى اختلاف الشريعة والمنهج وهو المعنى نفسه الذي تؤكد
سورة المائدة حيث يقول تعالى:

: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ} المائدة ٤٨

ولذلك فالاحتفاء بالرسول الأكرم لابد أن يكون بعثا وبحثا وتحقيقا وتصويبا للمسارات وليس مجرد بهرج مفرغ من المعنى الحقيقي للاحتفال , ويفترض بنا أن نحاكم التاريخ ونحاكم واقعنا محاكمة عادلة لنعيد ترتيب نسقنا , ونعيد بناء الحيوات وفق قيم ومبادئ الاسلام لا غيره ووفق المستوى الحضاري والفكري للبشرية , فالاسلام رسالة متجددة وليس قالبا جامدا , وهو فكرة ثورية والفكرة الثورية التي قادها الرسول الاكرم أحدثت تحولا وتبدلا مازال يذهل المفكرين الى اليوم والذين جعلوا الاسلام كهنوتا وحالة تسلط جماعات على أخرى تأثرا بما دخل على الاسلام من ثقافات لم يفلحوا بل ساهموا في تراجع فكرة الثورة وأثرها في واقع البشر بل كانوا سببا جوهريا ومباشرا في حالة التخلف والتراجع الحضاري للعرب والمسلمين وهو حال من الذل والهوان يعانونه اليوم كما هو مقروء في الواقع .

مولد الرسول مولد أمة

بعيدا عن التغريد في المعتاد وفيما ألف الناس في مناسبة المولد النبوي الذي اعتاد أهل اليمن على الاحتفاء به منذ زمن بعيد، وقد أصبح حديثهم هو ذاته لا يكاد يحمل جديدا في المضمون وهم غافلون عن الدلالة الحقيقية والجوهرية للرسالة المحمدية التي جاء بها فتلقفها الآخرون منا وبعدنا عنها، بعدنا عن المقاصد والاهداف وظل الحال يعزف على السير والمواقف دون النفاذ الى الجوهر لصناعة واقع يتجدد في حياة الامة.

لقد كانت الرسالة المحمدية ثورة حقيقية أحدثت تحولا حقيقيا وتبدلا في حياة شردمة تعيش على الاغارة والسلب والحروب والسبايا وتمعن في الضياع في الصحراء دون غاية تستأجرها القوى الكبرى في ذلك الزمن الفرس والروم للقيام بمهام تحقق لها المصالح وهي كالناقة العجفاء لا تدري ما تقوم به أو أين تسير فجعل منها أمة مهابة الجانب ذات شأن عظيم لبس أعرابها تاج كسرى ووطئت أقدامهم الحافية أيوان كسرى في أنفة العربي الأصل.

لقد كانت الرسالة المحمدية تحولا كبيرا في حياة البشرية جمعاء وليس في حياة العرب فهي تملك أسس ومقومات المستويات الحضارية التي يتباهى بها الغرب اليوم من حيث حقوق الانسان ومن حيث العدل ومن حيث الخيرية ومن حيث المساواة ومن حيث النجدة والاغاثة ومن حيث المدنية وحرية التعبير.

لقد كانت أهم المنطلقات الفكرية لتلك الرسالة المحمدية الكبرى تقوم على مبدأ في "كل كبد حراء صدقة" وهو مبدأ سامي غفل عنه الناس من أهل الديار الاسلامية وعمل به غيرهم فكان ذلك ميزة يتباهون بها في مقابل وصم العرب بالمجتمعات المتوحشة التي تهدد الحضارات الانسانية.

وشكلت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة حالة انتقال من المجتمع القروي الذي يؤسس على العصبية الى المجتمع المدني الذي يؤسس على التعايش والمحبة والسلام والحق والعدل والخير والمساواة في ظل حال التعدد في الثقافات فقد كان في يثرب الكافر واليهودي والنصارى والمسلم من مهاجر وانصار وشكلت وثيقة المدينة أول عقد اجتماعي ينظم مستوى العيش عرفه تاريخ البشر وما يزال الكثير من الفرق الاسلامية التي تدعي الانتماء الى الاسلام تجهل مثل ذلك والادهى أنها تراه باطلا وكفرا يخالف المنهج الذي سار عليه السلف , ويرى البعض في

الدستور كفرا جاء من الغرب لا يجوز العمل به ويقولون لا يصلح هذه الأمة الا بما صلح بها أولها وهم غافلون كل الغفلة عن المعاني الكبيرة في جوهر الرسالة .

كما أن الرسالة المحمدية لو كنا نحسن التأمل أول من تنبه لظاهرة الفرق بالحيوان وهناك الكثير من النصوص في هذا الباب ولكن الجماعات والفرق لا يقفون الى عند النصوص الموضوعية بغية تشويه الرسالة وفي غالبها من الاسرائيليات وقد فصل الفقهاء وعلماء الحديث القول في ذلك وهي نصوص نراها اليوم في سلوك داعش وغيرها من الجماعات التي نشأت تحت رعاية المخابرات اليهودية والكثير من الاخبار تقول أن زعيم داعش يهودي وظفته المخابرات العالمية لخدمة مشروعاتها الذي يسعى الى فرض الوصاية على المسلمين والعرب بحجة أنهم يشكلون خطرا على المجتمع الدولي .

ولعل الكثير يذكر قوله عليه الصلاة والسلام في حق طائر " من روع هذه في فراخها " وهي اشارة الى المحميات الطبيعية التي يعمل البشر من الحضارات الاخرى على الاهتمام بها.

وقد لا نقف طويلا عند قوله عليه الصلاة والسلام حين أمر بعدم تلقيح النخل فلم تثمر فقال: " أنتم أدرى بشؤون دنياكم " أي أن الفقهاء والعلماء لا يكادون يقفون عند مبادئ وقيم

واشارات محمدية كان من حقها الاهتمام والتأصيل الفقهي حتى نسبق العالم في مستوياته الثقافية والاجتماعية التي يدعي تفوقه بها علينا وهي من صميم تجربتنا ومن صميم الرسالة المحمدية لكن غفلتنا عنها جعل لهم قصب السبق فيها.

لقد كان الرسول الأعظم أعظم رجل عرفته البشرية فقد أثر عنه أنه نهر أصحابه حين سلوا سيوفهم على يهودي يتقاضاه ديناً وأساء الخطاب بقوله أنتم قوم مطل، فأمر بقضاء دينه ووهبه عطية مقابل ترويعه بسل السيوف عليه فالكثير يقرأ هذه الحادثة ويقصرها على الرحمة دون النفاد الى جوهرها وهو العدل والمساواة والبعد الانساني بغض الطرف عن الانتماء فاليهودي لم يكن مسلماً ولم تطعه نفسه في ترويعه وهو القادر بحجة كفره بل شق عليه ترويعه وهو مواطن يتمتع بكامل الحقوق في الدولة العادلة التي يديرها الرسول الاعظم.

الموضوع متشعب وكما أسلفت القول في المستهل أنني سوف أغرد خارج المعتاد وهي كلمات تشير وتومئ ولا تبحث ولا تستقصي ذلك أننا أمام حالة انتقال جديدة لابد لنا من الوقوف أمامها بقدر وافر من التأمل , فالزخم الذي عليه الحال هذا العام من حيث تكثيف الاحتفاء ومن حيث إثارة السؤال لابد له من قول الجديد وبعث المندثر لنعيد صياغة

واقعنا الحضاري وفق مقتضيات المراحل الزمنية
والمستويات الحضارية وبحيث نبدع واقعا جديدا يعيد للأمة
عزتها وكرامتها وسيادتها وسبقها ومثل ذلك يتطلب وعيا
وتوجها سياسيا واهتماما بالمفكر والمثقف وتشجيعا للجدل
الذي يهدف الى تحقيق الفاعلية الثقافية والحضارية في هذا
الزمن الذي نشهد فيه استهداف الأمة المسلمة في عقيدتها
وثقافتها .

ثورة اكتوبر.. سؤال يتجدد

تمر الذكرى الجديدة لثورة اكتوبر ٦٣م وهي تفرض سؤالاً وطنياً كبيراً، وسؤالاً حضارياً وثقافياً بالغ الأهمية، بعد أن تحول المفهوم عن مضمونه الثقافي والاجتماعي والحضاري ليصبح تبريراً لغازٍ جديد يلبس شعار التحرر ويمارس غواية الاستغلال الذي كان يمارسه المستعمر القديم من خلال فرض هيمنته العسكرية والسلطوية على مقدرات اليمن ومواردها الطبيعية ومنافذها، ومن خلال جرف الحياة الطبيعية في سقطرى وزرع القواعد العسكرية، ومن خلال استغلال حالة الفوضى في اقامة مشاريع حيوية في الموانئ كما يحصل ذلك في المهرة.

لقد تحدثت التقارير الدولية عن ممارسات غير إنسانية , ومصادرة للحقوق والحريات , وتنكيل في سجون مستحدثة بذات السيناريوهات التي كانت تحدث في سجن "أبو غريب " في العراق وكأن المؤلف والمخرج هو نفسه , وهو في الحقيقة نفس المخرج كما تدل مذكرات هيلاري كلينتون لكن الذين يستغرقون أنفسهم في خضم التفاعلات لا يدركون أو أنهم يدركون ولكنهم آثروا استغلال المرحلة لتحقيق أمجاد

سياسية أو مالية بالمعنى القريب "انتهازيون " فاليمين اليوم بكل مبادئها التقدمية والطلائعية والثورية تتحرك بين فكي انتهازي ذكي بدون دين أو قيم أو أخلاق وبين متدين بدون وعي وفكر يتحرك في فضاء تاريخي تجاوزته المستويات الحضارية المعاصرة .

من محاسن كل التموجات التي حدثت خلال السنوات الماضية أنها حاولت أن تعيد الحقيقة الى مكانها الطبيعي , وأن تقول للناس أن العبودية لن تكون هي الحرية التي يستلذ وجودها الانتهازي , وقالت تفاصيل الاحداث للمستعمر الجديد أن فرض الهيمنة على الشعوب الحرة من الصعوبة بالمكان الذي تعجز عنه الأسلحة المتطورة والحديثة , وأن وعي الشعوب لم يعد بالمستوى الذي يمكن النفاذ من خلاله فقد تجاوز مراحل السذاجة وعدم الفهم الى مراحل متقدمة بدليل أن كل خبراء علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي فشلوا في تسويق فكرة التحرير التي يضمّر المستعمر الجديد تحت شعارها أهدافه منها , وهذا الفشل الذي تحطم على صخرة الحرية الثورية كان نتاج الوعي الثوري الذي أحدثته الثورة اليمينية الجديدة أي ثورة ٢١ سبتمبر التي كانت رؤية تصحيحية لمسار ثورتي : سبتمبر / واكتوبر ولذلك سيكون المستعمر الجديد عاجزا عن بلوغ اهدافه .

فالمهرة التي كانت بمنأى عن الصراع السياسي وعن شعارات التحرر لم تستسلم وها هي تثور , والحناجر التي رفعت شعار "اضرب اضرب يا سلمان " اليوم تهتف بكل جبروتها ضد التحالف الذي يقوده سلمان , فالموضوع ليس سلسلا بحيث يمكن تمرير الاجندات من خلاله , فالجماهير التي خرجت برؤية منظمة وبهدف حزبي مضمرة في ٢٠١٥م في تظاهرات تؤيد التحالف دون وعي وتحت شعارات تضليل مبتكرة أدركت الحقيقة اليوم وها هي تخرج وما تفتا تخرج بعفوية الرفض وبدون تنظيم حزبي تفوقها ثقافة ثورية من غرس سبتمبر واكتوبر ولن تسكت حتى تبلغ مناها وتعيش واقعها كما تريد هي لا كما يريد المستعمر الجديد .

فكل ذكرى لحركة ثورية تمر في وجدان الناس في عموم اليمن من أقصاه الى أدناه تبعث سؤالا ثوريا يحشر الذين يتغنون بأمجاد المستعمر اليوم في زوايا ثورية ضيقة، والشعوب التي تثور ضد الضيم من المحال أن تقبل الضيم قد يطول الزمن وقد يقصر لكن الثورة تظل حالة متجددة غير قابلة للمساومة.

ما يحدث اليوم في عدن وفي الجنوب المحتل تحت شعارات زائفة يعيد ترتيب النسق الثوري في الوجدان وقد بدأت رموزه واشاراته تخرج للعلن في شبكة التواصل الاجتماعي لأن العاجز لا يمكنه أن يصنع حدثا تحوليا مهما تشدق وبالغ

في شعاراته كما أن الزائف والمضلل تنكشف عورته وإن تشدق بمفردات الدين وركب موجة الاسلام السياسي أو موجة حركات التحرر وهو يعاني من عبودية مزمنة ما تنفك تلازمه.

فعدن التي شهدت فترة عصية من عمرها تحت نير المستعمر لا يمكنها أن تذلل له مجددا حتى ولو أقبل اليها اليوم يحمل مسوح الرهبان فهي تعرف ماذا يريد؟ وماذا تريد هي؟ ولعل المستعمر سارع بالكشف عن نواياه في الجزر وفي الموانئ بما لا يدع لمرتاب مجالا يخوض فيه جدالا عقيما غير صالح للاستهلاك وقد قالت التموجات الاخيرة في عدن شيئا كثيرا للذين يفرشون وجوههم تحت نعال الغازي الجديد.

سوف تظل ثورة اكتوبر ثورة ملهمة لكل أحرار اليمن ضد أي غاز أو مستعمر أجنبي، وربما تكون ثورة اكتوبر في عامها هذا غيرها في كل الاعوام فهي ثورة ملهمة لحركة التحرر ولن يهنأ غاز فكر في أذية اليمن أو حاول فرض هيمنته عليه.

يوم الجلاء.. التاريخ يتكرر

تمر الذكرى الثانية والخمسون لجلاء آخر جندي بريطاني من جنوب الوطن بعد أن جثم على صدر الجنوب قرن ونيف من الزمان، تمر هذه الذكرى ويكاد التاريخ أن يعلن عن تكرار نفسه في واقعنا كعادته في كل مساره منذ بدء الحركة على كوكب الأرض الى اليوم، فهو قد يبدأ في صناعة حركته وواقعه ثم يتوارى ثم يعود على شكل مأساة ثم يتوارى ثم يعود على شكل ملهاة ومهزلة.

وها هو اليوم في عدن يتكرر على شكل مهزلة تبعث الغصص وتعيد الى الأذان حكايات ذلك الماضي وتبعث القصص المأساوية من مراقدها التي لاذت بها في زمن التأمل والتبصر أو زمن محاولة النسيان التي يتقنها العرب دون سواهم ذلك لكون العرب من جنس بشري لا يتعامل مع قضايا التاريخ إلا من باب البطولة المتخيلة، والمتخيل عند العرب مكون أساسي للمادة التاريخية وهو جوهر في الحدث أي جوهر مواز وليس حقيقة الحدث.

دبّ الضعف والوهن في جسد العرب بعد سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م ومنذ ذلك التاريخ تنازعتهم البطولات

المتخيلة بعد أن أصبحوا أحزابا وشيعا لا ملاذ لهم إلا فن الحكايات كي يشعرون من خلاله بتعويض وجداني يملأ دوائر التكوين في أنفسهم، وابتكروا أدوات فنية وأساليب بلاغية جديدة كانوا يتبارون من خلالها في حالة دالة على النكوص واستغوار كوامن الذات المهزومة من واقعها.

عاش العرب حقبا طويلة في التيه والضياع وكان الغرب يقرأ إرثهم الثقافي والحضاري ويعيد بعثه واتخذ منه قاعدة للنهوض وقد امتاز عصر النهضة في أوروبا بحركة مجتمعية شاملة في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وفي الفنون وانفتح على الثقافة العربية واليونانية والرومانية في محاولة لاكتشاف أنفسهم من جديد بعد أن عاشوا عصورا من الظلام وهو ما يسمونه بعصور الظلام أو العصور الوسطى بعد سقوط الامبراطورية الرومانية.

لقد شكل تدهور الانظمة الامبراطورية في أوروبا منذ القرن الثاني عشر ميلادي حالة موازية رافضة ومتشبثة بالوجود افضت الى ظهور فكرة التنظيم للمجتمع بشكل يسمح بالنهوض والتطور , وكان لظهور الحركة الفكرية الانسانية والتي كانت معاصرة لظهور اللغات الوطنية ويقال أنه بسبب سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين وانتقال العديد من علماء الدولة البيزنطية المنهزمة الى ايطاليا حاملين معهم المعارف القديمة مع ما صاحب ذلك من نشاط فكري وثقافي يعلي من

قيمة الانسان وكرامته الامر الذي خلق الضرورة السياسية
للانتقال من عصر الظلام الى عصر التنوير .

خلال هذه المرحلة عاش العرب عصور ظلامهم وامتد بهم
الزمن الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين
وكانوا في عصور ظلامهم بيد صناع عصر التنوير وعصر
النهضة الصناعية وأصبحت بلاد العرب بيد المستعمر ولم
يفق العرب من غفوتهم الا بداية القرن العشرين وبدأت حركة
التحرر في القرن العشرين وتحديدًا في النصف الثاني من
القرن العشرين كثمرة من ثمار النهضة الفكرية التي اعادت
للغة معناها وقيمتها وللآداب والفنون منزلتها الرفيعة وللفكر
قيمته لكن العرب بعد حركة النهضة ومن ثم التحرر من نير
المستعمر خضعوا لثنائية الهيمنة والخضوع ومورس على
عقولهم ونفوسهم أشد عوامل الاذلال والقهر والتقهقر
والشعور بعقدة النقص من خلال حالة التفوق الصناعي
والفكري والتقني الغربي ومن خلال المستوى الحضاري
الذي وصل اليه الغرب ومستوى الحقوق الانسانية للجنس
البشري والاهتمام بالحاجات البيولوجية حفظًا لكرامة الانسان
وقيمته .

لم يغادر المستعمر الديار العربية إلا وقد ترك يدا فيها تعمل
لصالحه ولذلك ظل يدير مصالحه بقدرة عجيبة في المنطقة
من خلال أدواته ومن خلال حراس النفط في الخليج العربي،

فقد كان حراس النفط يديرون حرب الرأسمالية ضد الاشتراكية، ثم عملوا على القضاء على حركات التحرر في الوطن العربي كالناصرية ومن ثم الاشتراكية والحركة القومية البعثية وساهموا في سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م وهو السقوط الذي يتكرر في مسار التاريخ على هيئة مهزلة.

لم يكن سقوط بغداد سقوطا عفويا بل كان عن تخطيط وسبق ترصد وإصرار ووفق خطط استراتيجية تدرك قانون التاريخ وتعيه وتدرّك مساره وأثره في بلوغ الاهداف ولذلك كان السقوط الأول عام ١٢٥٨م تشظيا وحركة انقسامات في البناء الرأسي والأفقي للأمة تكررت أحداث التاريخ الهازلة على ذات النسق , إذ شكل سقوط بغداد الجديد في عام ٢٠٠٣م ذات الغاية والهدف وها هو الاستعمار يعود من جديد وبدأ الضعف يدب في جسد الامة الثقافي من حيث تعويم المصطلحات وغياب الرؤية ومن حيث التطبيع والقبول بالكيان الصهيوني الغاصب ومن حيث التفكيك للبناءات الثقافية المقاومة لفكرة المستعمر الجديد .

اليوم حركة الفوضى كادت أن تعم الشارع العربي بدون رؤية واضحة بل لمجرد الفوضى في ذاتها ومثل ذلك دال على حالة التيه التي يعيشها المجتمع العربي وفي السياق يجد المستعمر مساحة مريحة للتحرك وتنفيذ أجندياته، ذلك أننا حين خرج المستعمر من ديارنا لم نتجه الى التفكير

والمراجعة والنقد بل صنعنا تاريخا متخيلا وبطولات واهمة
عاد المستعمر من بين مساماتها.

ولذلك ونحن نعيش مهزلة التاريخ اليوم في عدن بعد أن عاد
واحكم سيطرته على الجزر والمنافذ نقول نحن بحاجة الى
نهضة فكرية وادبية وفنية حتى تستعيد الذات كينونتها
المسلوبة وتعيد ترتيب نسقها لا سبيل لنا ونحن نعيش تيتها
وضياعا الا بنهضة فكرية وصحوة من غفوتنا.

فالجلاء الذي كان يبحث عن تفسير منطقي لما هو كائن.

هادي... وحركة تدمير اليمن

لم يسبق في تاريخ اليمن أن تداعت الأمم عليه كما هو عليه الحال اليوم , فكل الأطماع التي تحدث عنها التاريخ تكاد أن تنحصر في البرتغاليين وفي العثمانيين وفي الانجليز وكانت وقتيه وفردية وذات دواعي وأسباب متغايرة, لكن كان اليمن في كل الأحوال يقاوم نهم المستعمر بفرض وجوده , ويخرج من تحت رماد الأحداث أكثر ثباتا ووجودا وتمكينا , كما أن الذي حدث في زمن عبدره منصور لم يكن له مماثل في التاريخ , فقد كان متفردا وغريبا وخارج النسق والمسار التاريخي والحضاري اليمني , والغريب أن يكابر هذا المعتوه ويظن أنه يقدم شيئا نبيلًا لليمن , وهو العاجز الذي أراد أن يحكم بلدا كاليمن من خارج مساره الحضاري وظل في بيته وخلف أسوار داره , وكان يريد أن يفرض وجوده من خلال الدول العشر ,ومن خلال مجلس الأمن الدولي , ومثل ذلك يتعذر على أي حاكم يحكم اليمن بحكم طبيعة اليمن الحضارية والثقافية .

لم يكن المعتوه هادي رجل المرحلة التي فرض واقعها شروطه الموضوعية عليها , بل كان أشبه بالدمى التي تحركها أجهزة المخابرات الاقليمية والدولية , ولا غرو في

ذلك فالرجل الذي نشأ تحت عيون المخابرات وأصبح خادما طيعا للمستعمر منذ عقد الخمسينات الى أن حكم عليه بالإعدام في مطلع السبعينات لا يمكنه - بحكم التربية السيكولوجية والثقافية - أن يبدع واقعا جديدا بعيدا عن لغة الاملاءات والامتثال والطاعة , وقد حدث ذلك في فترة حكمه في السنين الخوالي وما يزال يحدث اليوم وهو يصحو بأمر الملك أو الامير في الرياض وممنوع من العودة الى اليمن إلا متى رأى الملك السعودي ضرورة ذلك .

لقد كان المعتوه هادي معول هدم بيد المستعمر , إذ بادر الى تدمير المؤسسة العسكرية تحت غطاء الهيكلية , وعمل على التمكين للجماعات الارهابية من فرض شروطها لتكون اليمن بلدا إرهابيا , يستدعي تدخل المجتمع الدولي للحد من ظاهرة الارهاب فيه ومنع تمددها , وساهم بشكل واضح في تعطيل مؤسسات الدولة , وتعطيل المؤسسات الدستورية , وزع عوامل الصراع والشقاق بين القوى الوطنية بحجة التخلص من مراكز النفوذ , ولم يكن اشتغاله هذا تعبيراً عن حاجة موضوعية تخصه ولكنها كانت تعبيراً عن رغبات سفراء الدول العشر وأخص بالذكر السفير الأمريكي الذي كان ينفذ سيناريو معد له سلفاً , وكانت له استراتيجية واضحة الخطوط بدليل الاستعداد المبكر في اخلاء السفارة الأمريكية قبل تفجر الاحداث في سبتمبر من عام ٢٠١٤ م .

لقد جلب المعتوه هادي على اليمن الأمم من كل حذب
وصوب , وكان ذريعة تلك الأمم في تدمير اليمن بكل تلك
الوحشية التي شهدتها أرضا وأنسانا وتأريخا وحضارة ,
وهو يصر رغم ذلك التدمير على عكس المفاهيم في الوعي
الجمعي للناس فالاحتلال يصبح في مفهومه تحريرا والتدمير
يراه فعلا حضاريا خوف العودة الى الكهنوت , وتقسيم اليمن
الى دويلات يراه حفاظا على الوحدة الوطنية من التشطي ,
ويصر على اعتبار القوى الوطنية , قوى محتلة يعمل على
مقاومتها ومقاومة وجودها على تراب اليمن , والاغرب أن
نجد أبوابا إعلامية وحزبية تسانده في هذا التوجه التدميري
وهي في السياق نفسه تدعي الانتماء لليمن وتدعي الوطنية .

لقد افرز الواقع الحقائق، وتجلت الصورة واتضحت للرأي،
وجاءت تصريحات محمد ابن سلمان عن استمرار الحرب
في اليمن لتقول للتاريخ أن الحرب لم تكن لعودة الشرعية في
اليمن بل كانت حربا عالمية تحملت السعودية وزرها
وتبعاتها، والكثير من الحقائق بعد هذا المدى الذي شهدته
الحرب تتحدث عن فقااعات وطنية كنا نظن فيها الولاء
الوطني والصلاح واكتشفنا أنها أرخص من شسع النعال التي
ترتديها لتقرع بها أرصفة التسول في شوارع الرياض وأبو
ظبي.

تداعت الأمم على اليمن، وعملت آلة الحرب الحديثة كما لم تعمله في أي مكان آخر، ولكن اليمن كما يتحدث تأريخها عصية على الهوان، وتأبى عليها مروءتها ونخوتها وشهامتها أن تذلل وأن تركع وكذلك هم أهل اليمن في كل تأريخهم وليس هادي وزمرته إلا حالة استثنائية لا يمكن القياس عليها وهو وزمرته سيقذفهم موج البحر الى خارج التأريخ كما فعل مع غيرهم من نماذج التأريخ.

المملكة والنهيات التاريخية المفجعة

طال أمد العدوان وقد بلغ زمنا ما كان في حسابانه أن يبلغه وكلما طال الأمد تناقص في الوجدان زخمه وراجع من كان مؤيداً نفسه وسقط أربابه وقادته في وحل الرذيلة .. وفي براثن الهزيمة النفسية والأخلاقية والثقافية، وفي الجهة المقابلة بالضرورة سيعمل على يقظة المشاعر الوطنية ويعزز من تماسك الجبهة الوطنية الداخلية وسيفقد أدواته التي كانت تعمل لصالحه والأهم من كل ذلك أن القانون الطبيعي سيعود إلى نسقه الطبيعي، وسيعمل العدوان على ترتيب البناءات الحضارية والثقافية ويقوم بتحديد المفهوم الذي ظل ملتبسا في أذهان الكثير منذ القول بسقوط الايديولوجيا في عام ٢٠١١م.

ولا نظن عرب الصحراء يدركون حركة الواقع ولا حتى تموجه فهم قد وهبوا أنفسهم للمشروع الصهيوني وأصبحوا أدوات في يده تحركها المصالح والاستراتيجيات في ظل حالة غير مدركة لحجم الكارثة التي تنتظر الأعراب قبل غيرهم في منطقة الجزيرة العربية، فالأعراب في الخليج العربي لا مصلحة لهم في هذا العدوان الذي تشنه طائراتهم وبوارجهم،

والمصلحة الحقيقية هي لإسرائيل والدول الاستعمارية ومن الغباء أن يصل العالم المستعمر من حولنا إلى مصالحه بأموال العرب وبدمائهم وهم هناك يشربون نخب الانتصار الذي نهديه إليهم دون أن ينفقوا سنتاً واحداً بل تحركت عجلة الاقتصاد في بلدانهم وتجاوزوا أزماتهم المالية من خلال النشاط المحموم للأعراب في شراء الأسلحة المتنوعة، ولذلك منذ بدأت الاضطرابات في منطقة الشرق الأوسط مطلع عام ٢٠١١م وحتى اليوم لم نعد نسمع بركود الاقتصاد العالمي ولا بشلله الجزئي أو الكلي ولا بتردي الأوضاع في المجتمعات التي تسعى إلى فرض هيمنتها ووصايتها على مقدرات العالم من حولها وتديره وفق قاعدة المصلحة العائدة إليها لا وفق مصالح الشعوب وهي بمثل ذلك تستبد الشعوب الضعيفة وتعمل على تحديد مساراتها حتى تضمن استمرار تدفق المصالح والمنافع في حين يذهب الأعراب إلى تبديد أموال الأمة وتبديد الثروات الوطنية والقومية في الصراعات البينية وفي تنمية الذات المستبدة والطاغية وفي تمجيد من لا مجد له ولا قيمة ولا معنى في عالم حضاري متموج وغير مستقر تتنازعه قوتان لا ثالث لهما هما خيرية بوذا - اقصد الصين - أو شرية يهوذا - اسرائيل ومن شايعها - في حين يظل العالم الإسلامي خارج النسق الحضاري وخارج المنظومة الكونية بسبب غياب المشروع السياسي الذي يحقق الخيرية النفعية في البعدين المادي والروحي ولذلك ظل

الاشتغال الصهيوني يركز على تفكيك المشروع الإسلامي في بعده الإنساني والعقائدي وبالتالي تعطيل المشروع ليكون المشروع الصهيوني هو الأمثل والأقدر، وقد نجح إلى حد كبير في الوصول إلى مقاصده وغايته، فالفكرة الدينية والصراع الطائفي ديدن العرب الذين يدعون الإسلام وقد غفلوا عن مشروعهم الإنساني الكبير وضاعفوا من اشتغالهم على التدمير والقتل والدمار وهدم المقومات الحضارية والتاريخية وتفكيك الهويات بغنائهم وبأموالهم، وخرج علينا أعراب الخليج وهم يتفاخرون بما أحدثوه من دمار وقتل في اليمن وفي سوريا وفي العراق وفي كل البلدان التي شكلت نواة يمكن التعويل عليها والانطلاق منها لمد جسور التواصل الثقافي مع المشكاة الإسلامية لكي ترسل ضوءها الحضاري للإنسانية.

ولم يدرك أولئك الأعراب أن صحراويتهم وبدائيتهم لم تتجاوز بول الإبل ومعاطنها والمزابل وما سوى ذلك لم يشهد العالم من حولنا - رغم الثراء والإمكانات- أي ظاهرة حضارية أو يشهد قبساً يسهم في النفعية الإنسانية، فالحداثة عند الأعراب لم تكن إلا تطاولاً في البنيان وترهلاً في الأجساد وغباءً في الأذهان، وركونا إلى ما عند الغير، وخمولاً يمنح العقل إجازات إضافية، ولذلك أمعنوا في عدوانهم على اليمن وزاد عنادهم في تجذير هزائمهم

الأخلاقية والعقائدية والثقافية بل وقد وصل التيه بهم إلى الضياع.

لا نظن أن أثر العدوان على اليمن سيكون في مصالح دول الخليج بل سيكون وبالأعلى عليهم وسيكون الأثر على السعودية أكثر بحكم الجوار وربما القتل الآثار نفسها على القانون الطبيعي والبناءات الاجتماعية فتصبح المملكة بعدها خبراً في كتب التاريخ وطلائاً تبكيه الأحفاد ودماءً قد يطيل آل سعود البكاء عليها وهم يتسكعون في أرصفة المدن الأوروبية كما تسكع من قبلهم آل الرشيد الذين نالهم الكثير من القتل والتشريد على يد ملوك آل سعود وكذلك هي سنن التاريخ والأيام دول.. ولا معنى للمملكة بعد أن وصلت إلى التيه والضياع وفساد الاخلاق والقيم الا النهايات التاريخية التي وعظهم القرآن بها من خلال قصصه فلم تلامس اذهانهم بل تمادوا في غيهم وبهتانهم وامعنوا في التيه والضياع.

المثقف والعدوان

يقال أنَّ المثقف الحقيقي أو العضوي الملتزم هو الذي يعمل ويناضل من أجل مصالح العموم بما يحقق مشروعهم السياسي والاجتماعي في التحرر والعدالة والديمقراطية والانتصار للضوابط المتوافق عليها.

ونقول عليه حقيقي لأنه يشق طريقه رغم الاغتراب من ناحية ورغم مرارة الواقع وقسوته من جهة ثانية، مدركاً بوعي لمصيره ودوره المستقبلي ولواقعه وأبعاده المتعددة مالكا القدرة على التفكير وإعادة البناء والصياغة بما يحقق انزياح مجتمعه وفاعليته فيه مدركاً تمام الإدراك قيم التدرج في إلغاء قيم وإحلال بدائلها.

وحتى نستطيع أن نرسم خارطة ثقافية - وتلك مهمة غير سهلة - لا بد من التجديد، والتجديد لا يتم إلا من خلال إعادة بناء وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها ارتباطاً بالتطور المادي الحضاري لمجتمعاتنا بما يؤدي إلى الترابط بين الأزمنة.

مهمة المثقف في اللحظة الراهنة التي نشهد فيها كل هذا التداعي للأمم على اليمن في عدوان غاشم وحصار غير

مسبق أن يعيد صياغة نفسه وفق قيم نقدية عقلانية وديمقراطية تستوعب الآخر وتحاوره ولا تلغيه مبتعداً عن التحيز الفكري والتصورات الذهنية المسبقة عن الآخر.

وعليه أن يدرك واقعه تمام الإدراك، ذلك لأنه واقع تغيب أو تتعطل فيه معظم أشكال سيادة القانون بسبب الانقسامات والحرب المفروضة علينا فرضاً وهنا تكمن أهمية المثقف الملتزم التي لا تقوم على تبرير الوضع القائم بل على ممارسة النقد لما هو كائن التزاماً بما سوف يكون عبر كل أشكال الثقافة التنويرية التقدمية في الآداب والفنون وقنوات الاتصال المختلفة.

وبذلك قد يستطيع المثقف أن يعيد الاعتبار لدور الثقافة كسلطة اجتماعية تفرض نفسها بالاصطدام بالواقع وتغييره بعد أن غاب هذا الدور أو كاد.

لقد كشفت الحرب التي شنها التحالف بقيادة السعودية اختلالاً ملحوظاً في المفاهيم فالوطني أصبح محتلاً والمحتل وطني ومن يدافع عن أرضه تطلق عليه المسميات المتعددة ونرى من يبرر ويسعى في تعويم مفاهيم الحرية والوطنية والسيادة والكرامة والاستقلال وغيرها من المصطلحات والأدهى أن

من يقوم بذلك هم من أبناء جلدتنا خدمة للمستعمر الجديد من حيث يدري أو لا يدري.

وفي مقابل أولئك برز فريق حملوا الكلمة بجانب البندق وكان نضالهم حقيقيا غايته العزة والكرامة لهذا الوطن وتحقيق سيادته على كامل أراضيه وهم الامتداد الحقيقي للثورات الحقيقية التي حدثت في مختلف حقب التاريخ انتصارا للمظلومين وبحثا عن العدالة والحرية والكرامة من بين مخالب العبيد.

لقد كان المثقف الحقيقي هو صوت الثورة ولسان حالها كما كان صوت كل الذين يدافعون عن كرامة الوطن وعزته واستقلاله، فدور الشاعر والروائي والمثقف بجانب البندق والرصاصة دور محوري لا يمكن نكرانه.

تحية الى كل ضمير ثقافي أو وطني انتصر لليمن، تحية لجيشنا ولجاننا الشعبية وهم يبهرون العالم بالانتصارات، الخلود لشهدائنا والنصر والمجد والخلود لليمن

اليمن والحضور المكثف لليمنية

طوال عقود من الزمن ظلت اليمن تمعن في الغياب، وكانت الذات هي الحاضر الأقوى في كل التفاعلات التي جرت في الماضي أو تجري تفاصيلها في الحاضر، وبقدر إمعان اليمن في الغياب يكون الحنين هو الحامل الوحيد للانتماء وللهوية الوطنية والحضارية والثقافية، لقد خامرني يقين مطلق أن الغياب الذي نشعر به سيعمل على تكثيف عوامل الحضور ومهما تباعدت الرؤى وشط بنا « الأنا » المسافر في أدغال وغابات الآخر المغاير الذي يشعر بالاغتراب المكاني والزمني في هذه الأرض المباركة ويشعر بالخوف من يقظتها .

حتماً تعود اليمن كي تركز رايتها في أعماق الذات , تلك الذات التي تشعر بالامتلاء بعد أن ظلت زمناً طويلاً تدور في حلقة مفرغة وفي صحراء مقفرة لا نبات ولا نجم يهدي السائرين فيها .

لقد استبشرت خلال ما مضى من أيام بتلك المشاعر الوطنية وبفكرة الهوية التي غابت فكان غيابها تشظيا وحركة انقسامات شهدناها واقعا ، لقد رأيت يقظة اليمن في الذات وهي

الجامع المشترك بين كل الأطراف، فالذي كان في أقصى اليمين أو كان في أقصى اليسار أو كان في ما بين أولئك يدرك أن اليمن هي الجامع المشترك وهي نقطة الالتقاء الوحيدة التي يفترض بنا الاتفاق أو الاختلاف حولها .

لا يختلف اثنان حول نقطة مهمة وهي أن كل المشاريع السياسية ذات الحضور والفاعلية في المشهد السياسي والاجتماعي والثقافي الوطني هي مشاريع مغتربة جاءت من خارج النسق الحضاري والثقافي والاجتماعي الوطني وظلت تلك المشاريع طوال عقود من الزمن تمتاز بالجمود وكل مشروع من تلك المشاريع يقف عند نقطة مضيئة في تاريخه ولا يكاد يتجاوزها , ونحن لا نقول بضرورة العزلة ونفي التفاعل مع الآخر لكننا نقول بضرورة الاشتغال على الخصوصية الوطنية وضرورة التمدد في النسق الحضاري والثقافي والاجتماعي الوطني , ذلك أن الذات اليمنية ذات عvisية على التماهي في مشاريع الغير , ولا يمكنها التفاعل إلا مع المشروع الذي تجد نفسها فيه، ولعل المتأمل للزمن التاريخي المعاصر يصل إلى قناعة بفشل كل تلك المشاريع في الوصول إلى نتائج إيجابية أو تحقيق القدر المؤمل من التمكين في البناءات الوطنية المختلفة .

اليمن بلد حضاري , وبلد يمتد في العمق التاريخي , وقد مرت به التجارب العديدة وما نحن غافلون عنه هو الاشتغال على البعد المادي والبعد الروحي في تلك الحضارة , وهو أمر لم يكن في كثير من الحضارات الأخرى ما عدا الحضارة الكنعانية وما سوى ذلك فقد كان اشتغالا مادياً , ورمزية ذلك كائنة في التلازم بين الروحي والمادي في الحضارة اليمنية , إذ كان النبي هود والنبي صالح - عليهما السلام - هما التمهيد الأمثل للزبورية التي اشتغلت على ذلك التلازم وقد جاءت الزبورية اليمن وسبأ في أوج قوتها وتمكنها , ولم تذهب بلقيس إلى خيار المقاومة كما ذهب إلى ذلك أسلافها حين الغزو الروماني , لأنها وجدت تناغماً مع المشروع الثقافي الجديد القائم على ذات الخصوصية التي امتاز بها شعب سبأ في ذلك الحين , ولذلك تغلغت الثقافة الزبورية في الوجدان الوطني إلى درجة الهوس والتماهي وهي ما تزال حاضرة بقوة في حياتنا المعاصرة من خلال الموروث الصناعي التقليدي , والمعارف التقليدية لحركة النجوم ومنازل الزراعة والأثر المترتب في العلاقة التبادلية بين الإنسان والطبيعة من حوله .

وحين بزوغ الإسلام في سماء العرب ذهب أهل اليمن إليه طواعية ولم يؤثر أن اليمن دخلت الإسلام بقوة السيف، بل

ذهبت إليه بقوة الفطرة وبقوة هيمنة البعد الروحي الذي يمتد في الوجدان الشعبي منذ البدايات الأولى للتمدن الحضاري على تراب هذه الأرض وهو البعد نفسه الذي عمل على التمكين لليهودية ومن بعدها النصرانية .

وفي الدولة الإسلامية قاومت الذات اليمنية كل مشروع لا يتسق وطبيعتها الحضارية وقد تحدث التاريخ عن القيل الهيصم بن عبدالرحيم الحميري وعن غيره ممن قادوا حركة مقاومة في فترات مختلفة من التاريخ.. ودلائل التاريخ متعددة في هذا الباب وهي كلها ترمز إلى ذات عصية على الآخر وطبيعة لذاتها أو لما يتسق مع سياقها الحضاري وطبيعتها الثقافية .

ومجمل القول: أن الأحزاب السياسية في اليمن مطالبة في هذا الوقت الفارق بمراجعة ذاتها وايدئولوجيتها المغترية ومطالبة أكثر بالاشتغال على البعد المعرفي والخصوصية الوطنية حتى تتمكن من الانتصار لليمن في البعد الموضوعي والحضاري والثقافي الذي يتجرد من «الأنا» المظلمة، إذ الملاحظ من خلال تفاعلات القوى السياسية في سماء المشهد أنها تنتصر لذاتها ولا تنتصر لليمن .

في اليمن يمكن أن يقال أن المؤسسة المدنية بكل طيفها وكل تموجها مؤسسة هلامية وشكلية لا جوهر لها وهو أمر يتناقض مع طبيعة الحياة المدنية الحقة، إذ يفترض بالمجتمع المدني أن يكون فاعلاً ويمتاز بقدر من التجرد من الذاتية المفرطة فالمجتمع المدني هو في حقيقته سلطة موازية لسلطة الدولة ومحتك بها ومن خلال ذلك الاحتكاك يحدث التمايز ونشdan الأفضل والأرغد، ومن خلاله أيضاً يحدث الانزياح والتطور والانتقال والتغيير في البناءات العامة .

ومن الغريب في اليمن أننا بعد كل هذا الزمن من الانتقال إلى المجتمع المدني لم نجد مؤسسة مدنية نقابية أو حقوقية أو ثقافية أو سياسية يمكننا التعويل عليها وعلى تجاربها أو على تجردها وانحيازها للأهداف الكبيرة التي تشتغل عليها أو تدعي الاشتغال عليها إذ الثابت أن تلك المؤسسات تدار بمزاجية وذاتية مفرطة ويكاد هيكلها أن يكون فارغاً إلا من الصف الأول في القيادة فالتعطيل في البناء الهيكلي قضية شائعة حتى في الأحزاب وبسبب ذلك تحضر مصالـح «الأنا» وتغيب اليمن .

ولذلك ندعو الى الاشتغال على الهوية في شمول معناها لا في خصوصية الفكرة.

من المستفيد من ثورات الشعوب العربية؟

ما الذي يحدث في المنطقة العربية؟

سؤال لا بد أن يحفر في الذاكرة، وهو يبحث عن إجابة منذ اندلعت ثورات الربيع العربي، وثمة ما يماثله من علامات الاستفهام.

هل الثورات حققت للشعوب ما كانت تنشده من أمن وحرية وعدل ورخاء؟

هل الشعوب هي من يتحكم في المسار الثوري، ومسار الأحداث؟

الى أين تتجه سفن المنطقة؟

أصبح الواقع مسؤولاً عن هذه الأسئلة وعن الإجابة عليها , وهو في كل تفاصيله يتحدث عن انحراف في المسارات العامة الثقافية , والاجتماعية , والسياسية , ويتحدث عن غبن الشعوب , وعن استغلالها , فهي خارج سياق الأحداث وفي السياق هي الوقود للحدث , دون أن تصل الى غاية , أو تبلغ هدفا , وكل حركة الواقع من حولنا تتحدث عن حركة مضطربة في اليمن , وفي ليبيا, وفي سوريا , وفي العراق , ومعاناة في مصر , وقلق في تونس , ومسار الأحداث يتجه

الى السيطرة على طرق الملاحة , فالقواعد الأمريكية تحط رحالها في البحر الاحمر والبحر العربي , وتسيطر على الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية , وتم انتزاع جزيرة صنافير وجزيرة تيران من السلطة المصرية , والسيطرة على جزيرة ميون وسقطرة , وحنيش الصغرى وحنيش الكبرى , واكتمل المشهد بإحكام السيطرة على خط الملاحة البحري في البحر الاحمر والعربي , ويبدو في المشهد الظاهر أمريكا وادواتها من العرب , لكن كل هذا المهاد العسكري تديره المؤسسة اليهودية التي تحلم بالدولة الموعودة الممتدة من النيل الى الفرات .

الصراع الاقليمي الذي نلاحظ كل يوم تفاصيله بين السعودية وايران في النشاط العسكري والسياسي , هو في جوهره صراع على الدولة الاقليمية ومركز الدولة الاقليمية لكن الصورة الباطنة هذا الصراع هو بين اسرائيل وايران في التنافس وليس بين السعودية وايران كما يبدو في ظاهره , فحركة التبدلات تقول أن السعودية التي تمعن في العداوات لدول الطوق المحيطة بها, لن تكون هي الدولة القادرة على التنافس على مركز الدولة الاقليمية , لعدم قدرتها على التأثير في المسارات بحكم نمو المشاعر السلبية نحوها , عند شعوب دول الطوق الجغرافي , بالإضافة الى حالة التوحش التي بدت عليها في حربها على اليمن , وغضب الكثير من الفرق والجماعات الدينية منها , وبذلك فهي تزرع لغيرها , وتمهد

لفنائها من حيث تظن أنها تحسن صنعا , فحالة الانتقال في نظام الحكم السعودي من الاسرية والعشائرية , الى الجماهيرية بالتركيز على الجيل الجديد محكوم عليها بالفشل , فالمستبد الذي يحاول أن يكون شعبويا في الغالب يكون مصيره الفشل ويفقد سلطته , فالمملكة منذ التأسيس تقوم على حالة تناقض وهذا التناقض في التركيب كانت تنظم عقده المؤسسة الدينية , فالتحول من العصبية العشائرية الى العصبية الدينية كان سببا في استقرار المملكة طوال كل العقود التي مضت , واعلان الخروج على سلطة المؤسسة الدينية والحد من دورها وفعاليتها بالانتقال الى الشعبوية , يفسح المجال لعودة العصبيات العشائرية , وخاصة بعد حركة التوقيف والاعتقالات , واعلان الاصلاحات الاقتصادية , وتحرير الحياة الاجتماعية , واعتماد سياسة خارجية جديدة في المواجهة , والقيام بتغيير الرؤية الاسلامية في البلاد , وتحجيم دور رجال الدين , وتغيير منظومة الحكم التقليدية , بروح المستبد الذي يريد تجميع خيوط اللعبة السياسية بيده فيفقد كل شيء بعد ذلك .

كل المؤشرات اليوم تقول برغبة النظام العالمي في تفكيك النظام السعودي وتقليل تأثيره على العالم الاسلامي ولعل في إشارة مؤتمر كوالامبور إشارة واضحة فهم يرون أن السياسة العالمية الجديدة تتطلب أسلمة منخفضة الكثافة , ولذلك رأينا في العشرية الاولى من الألفية بزوغ فكرة

الشرق الأوسط الجديد ثم تلاشت هذه الفكرة بعد نتائج حرب تموز ٢٠٠٦م بلبنان , وطرأت فكرة الاسلامة المنخفضة مع بزوغ فجر ٢٠٠٧م وكان من نتائجها حركة الشارع العربي في عام ٢٠١١م وهي ما تزال ممتدة الى اليوم مع اقترابنا من عام ٢٠٢٠م .

مع فكرة الاسلام المعتدل طرأت للنظام العالمي استبدال فكرة الشرق الاوسط الجديد بفكرة الخلافة باعتبارها أكثر تقبلا من حركة الاسلام السياسي، ولذلك سارع الاخوان في احتفال مهيب في تركيا على مبايعة رجب طيب أردوغان خليفة، واشتغلت ماكنة تركيا الاستخبارية في تعميم الفكرة عن طريق الفن فكان مسلسل "أرطغرل" هو الأكثر تأثيرا في تعميم الفكرة وهو الأكثر مشاهدة وأصبح مكان تصويره مزارا لمعظم رموز السياسية ومسلسل " وادي الذئاب " يحمل في طيه ومضمونه موجهها سياسيا بأسلوب استخباري أكثر تقنية وتطورا.

اليوم تركيا تتحرك في المنطقة العربية , تدخلت عسكريا في سوريا وهي تستعد للتدخل في ليبيا وتدخل في العراق , وتتواجد في البحر الاحمر ولها قواعد عسكرية في قطر وجزيرة سواكن السودانية على البحر الاحمر كل ذلك وغيره لم يحدث عفو خاطر بل كان استراتيجيات واضحة المعالم والابعاد , وهي تحدث بمال العرب ودمائهم لخدمة المستعمر

الجديد , فتقريب تركيا من العالم هدفه عودة السيطرة عليه وتمكينها من مراتب الدولة الاقليمية بعد التمهيد لها بإزاحة السعودية من الواجهة من خلال ما تقوم به من جرائم حرب في اليمن ومن خلال حركة تفكيك البنية الثقافية والاجتماعية التي سوف تساهم في التقليل من تأثيرها وشيوع الضعف في جسدها .

عرب الخليج والسعودية انكشف أمرهم اليوم ولذلك تخطط أمريكا أن تكون تركيا هي واجهة سيطرتها على المنطقة العربية وقد لا حظنا كيف عمل النظام التركي على تعديل نفسه حتى يتسق ومهامه في المستقبل كما ان تقوية حزب العدالة لم يكن عفويا بل بدعم من أمريكا وحين فشل الانقلاب وعمل كل العمليات في تطهير جهاز الحكم سكتت أمريكا وسكت العالم وحين انسحبت امريكا من شمال شرق سوريا وضعت تركيا يدها وفي ذلك اشارات واضحة لمن القى السمع او كان بصيرا.

اليمن والتأسيس لقيم جديدة

أجد نفسي مصطفاً مع البعض الذي يرى في المناسبات محطة للمراجعة وجلد الذات، ترميماً للمتصدع، وسداً للثغرات، وفتحاً لنافذة تستشرف المستقبل، لأن الماضي أصبح تاريخاً، والحاضر يفرض شروطاً علينا، والمستقبل هو الأمل والنتيجة التي يمكن أن نصل إليها من خلال المقدمات التي يضعها الحاضر الذي نحن فيه ونصنع تفاعلاته.

وقد أصبح من الضرورة القول - وقد تكرر معنا كثيراً- إن التنظيم والتحليل والانتقال من عصر الصناعة الى عصر المعلومات، وإعادة تعريف الأشياء ومراجعة النظم وتحديثها ، والاستمرار في تأسيس قيم اجتماعية وثقافية وسياسية جديدة ، من متطلبات الحاضر الذي نحن فيه والذي تصنع مقدماته المستقبل ، باعتبار المستقبل نتيجة للمقدمات التي يصنعها الحاضر، ولذلك فالاحتفال الحقيقي الذي يجب الاهتمام به - الى جانب التظاهرات السياسية وال جماهيرية باعتبارها ضرورات تفرضها اللحظة السياسية - هو التقييم الحقيقي للتجربة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والتفاعل مع الزمن، وإحداث الانتقال الحقيقي في البنية التنظيمية الى مميزات الزمن الجديد، إذ أن الاستغراق في

ذات البنية بكل ترهلاتها ونتاجاتها ووظائفها التي فرضتها الظروف الموضوعية التاريخية في المراحل والتحويلات التاريخية المختلفة التي مرَّ بها الوطن خلال العقود التي مضت أصبح دوراً في تيّه الدائرة المغلقة الذي لن يفضي الى شيء، ولذلك يكون التحليل للظواهر التي تنشأ وإعادة التنظيم وتفعيل دور القدرات الذهنية النقدية والإبداعية والابتكارية من الخصائص التي تفرضها اللحظة الزمنية التي نحن فيها، فالقضية الوطنية لم تعد ترفاً ذهنياً، ولا هي حالة عابرة والتفاعل مع الزمن الجديد يتطلب شروطاً جديدة غير تلك التي كان عليها الحال في الماضي .

وإذا كان الوطن شهد حركة التحويلات التاريخية في المراحل السابقة بكل تجلياتها وملامحها وبكل انكساراتها ونكوصها، فهو المعني بالتحليل والتقييم في مرحلة التحويلات والتأسيس لقيم الانتقال الجديدة بعد موجة العنف التي شهدناها وعشنا تفاصيلها المرّة ولا يزال الزمن يكشف عن نابه من خلال ما نشهده من حالات التآمر الاقليمي والدولي على مقدرات اليمن وأمنها واستقرارها.

والاستعداد لقيادة المرحلة الجديدة لا يكون بنفس المفردات والأدوات التي تم استخدامها في المرحلة التاريخية التي مضت، بل لابد من التفاعل مع الزمن الجديد الذي فرضته حركة التطورات في المجتمع، والتفاعل مع الزمن الجديد يبدأ

من الوعي به، والوعي بالزمن الجديد يفرض انتقالاً في الوظائف والبنى التنظيمية وتجديداً وتأطيراً وتحديثاً، ومثل ذلك لا يمكن معالجة مظاهره إلاً بالاشتغال الواعي، والاستراتيجيات الوطنية التي تعي حركة الزمن وقوانين التاريخ وضوابطه، وتدرك تمام الإدراك أهمية البعد القيمي والاخلاقي في التأسيس لعدالة الانتقال، وفي السياق نفسه تدرك حساسيات التداخل في المصالح ، وتعني جوهرية المعرفة في حسن القيادة لإحداث التوازن المطلوب ، وبما يكفل قدراً كافياً من الاستقرار النفسي والثقافي والاجتماعي، ولن يتحقق ذلك طالما والمجتمع الذي يستجيب للحالة الانفعالية المؤقتة هو الذي يفرض شروطه، وأعني بذلك ما يشهده الواقع من اختلال في البناء التنظيمي والثقافي دون وعي أو إدراك لأثر ذلك على الحاضر والمستقبل بعد زوال المؤثر، فالحالة الانفعالية التي حكمت لابد لها من الخضوع لحركة الواقع وحركة الانتقال .

وحين نتحدث عن تأسيس قيم جديدة فنحن بالضرورة نتحدث عن أهمية التنظيم، فالتنظيم يحمل في مضمونه عدالة الانتقال، وعدالة الانتقال في معناها العام أو الخاص تحدُّ من ظواهر الصراع والتفكيك وتحافظ على الهوية الجزئية أو الكلية للوطن، كما أن شروط القيادة للمرحلة الجديدة تتطلب تأسيساً جديداً لقيم جديدة.

فمشروع بناء الدولة الذي نشتغل عليه اليوم لابد أن يستوعب ضرورات المرحلة، وضرورات التأسيس لقيم جديدة ليكون منارا للمستقبل، تقل عند أعتابه حركة الصراع، وتغيب بين أوراقه وحفيفه أنات المظلومين.

لا يمكن القفز على الظاهرة الثقافية الحضارية لليمن، ولا يمكننا الخروج من عباءة الموروث الحضاري لأن هويتنا تتشكل به ومن خلاله، ولذلك كانت الدعوة واضحة لتأصيل فكرة الهوية، ومثل ذلك يقودنا الى إحداث حركة تتناغم مع التشريع العرفي حتى نعيد ترتيب نسق العلاقة بين الذات وواقعها ونحدث القدر الكافي من التناغم كما نسهم في التخفيف من حدة الصراع.

اليمن اليوم على أعتاب مرحلة جديدة وهي بالغة التعقيد والصعوبة ولا تشبه أية مراحل مرت في تاريخها، وهي إما أن تحدث انتقالا واضحا وجليا يؤسس لمراحل أكثر تفاعلا وحيوية، وإما أن تؤسس لمراحل تعمل على تهيئة المناخات اللازمة لتكرار التاريخ في صورة هزلية بعد أن مرت مرحلته المأساوية في صورة العدوان وبشاعة ما أحدثه من تدمير وفساد في الارض وفي النسل.

نحن معنيون اليوم بالإنصات والتأمل وتقبل الآراء وبالقراءة والتحليل والتقييم لنصل الى جوهر المشكل الحضاري الذي نحن فيه حتى نتمكن من فض اشكالاته والتحكم في مساراته

من خلال فرض مجموعة من الشروط الموضوعية في
الحاضر التي سيكون لها أثرها الايجابي في المستقبل.

الفصل الخامس

قضايا

التعبيرات السياسية في اليمن

مع كل لحظة ألم تنشأ لحظة مقاومة، ومع كل حالة قهرية تنشأ حالة وجودية تظل في حالة تكون وتشكل الى أن تبلغ ذروتها الوجودية، فقانون الفيزياء الذي يحكم مسار الطبيعة هو ذاته، فالأفعال لها أفعال مضادة وهي بالضرورة تصب في بوتقة التدافع بين الأنا والآخر خوف الفساد في الأرض والتضخم.

لذلك فكل مسارات التأريخ وسياقاته كانت دالة على أن وجود الآخر أو التالي كان يرتبط سببياً بالأول أو السابق.

فالأُمويون مثلاً كانوا سبباً في وجود العباسيين من خلال الحالات القهرية التي خلقوها فصنعت روح المقاومة للفناء القهري وهكذا دواليك في كل الحركات الاجتماعية السياسية في التأريخ، وصولاً الى العصر الحديث الذي شهدنا فيه بزوغ القومية من تحت نيران الاستعمار وبزوغ الاشتراكية من تحت قبعات الاستغلال والغبن، بيد أن الذي يمتاز به

العصر الحديث عن العصور التي سبقته هو تطور البعد الثقافي من الشخصية والفردانية الى الشعار.

فالقوميون التفوا حول شعار «أمة عربية واحدة.. ذات رسالة خالدة» والايوان المسلمون حول شعارهم «الله غايتنا.. والرسول قدوتنا.. والقرآن منهجنا.. والجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..» والاشتراكيون التفوا حول شعارهم «حرية، اشتراكية، عدالة اجتماعية»، وما يؤخذ على تلك الشعارات أنها تظل ثابتة وثباتها يجعلها في قائمة المقدس عند أتباع الحركة الاجتماعية أو السياسية ولذلك تعجز كل حركة اجتماعية أو سياسية عن التطور وتعجز عن تفاعلها مع الشروط الموضوعية للتحول والانتقال والتغيير وهو الأمر الذي يمكننا قراءته تحت سماء ومناخات الربيع العربي وفي اليمن على وجه الخصوص، فالحركة القومية متمترسة حول رموزها التاريخيين وعجزت عن مقاومة الحالات القهرية التي واجهتها وعجزت عن التحديث والتجديد في بنيتها العامة فكيف لها أن تحدث انتقالاً هي عاجزة عن تحقيقه لذاتها، وكذلك الحركة الاشتراكية التي تقف على أطلال الامجاد القديمة دون أن تبذل واقعاً جديداً يتوافق مع لحظتها التاريخية المعاصرة ويتفاعل مع قيم العصر البديلة، أما حركة الاخوان فقد كانت تخلق أسئلة العصر الحضارية دون أن تتمكن من الاجابة عليها وحين تشعر بالعجز تعود

الى نقاط مضيئة في التاريخ لتبرير عجزها أو تتمترس وراء التأويلات، ولذلك فهي لا تملك مشروعا نهضوياً أو حضارياً ومن لا يملك مشروعا لا يمكن للجماهير أن تعول عليه في إحداث التغيير والانتقال.

ف"الاخوان" كحركة اجتماعية وسياسية منظمة مالت الى تحريض الفقراء وإثارة عاطفتهم الدينية على الحرب ضد الفقر والجوع.. وعملت على تنظيم المظاهرات التي تنادي بالتغيير وبتحويل الاوضاع القائمة عن مجراها الذي هي عليه في واقعها خلال عام ٢٠١١م في ظل مناخات الربيع العربي وفي الاوطان التي حدثت فيها موجة الربيع العربي «تونس، مصر، ليبيا، اليمن» لم تكن على إدراك تام بطبيعة الفروق والاختلافات في حركات المقاومة الايجابية ضد المجتمع في وضعه القائم، ولذلك خاب ظن المجتمع بها لأنها لم تحقق الدور الذي توقعه المجتمع منها وقد وقع خطابها في التناقض وبالتالي فقد فقدت تأثيرها من خلال اختلال المنظور الوظيفي، فرجل الدين في تصورات المجتمع، رجل فاضل عادل خير يقوم بواجبه في الدور الذي وجد ذاته فيه، ويجسد في العادة الدور الذي يتوقعه المجتمع منه، ولم يكن في مقدور التصورات الذهنية الوظيفية أن تتخيله خارج مستلزمات دوره الاجتماعي مبرراً ومتناقضاً في مواقفه وفتاواه، ومثل ذلك الاختلال الوظيفي كان سبباً مباشراً في

ظهور "حركة انصار الله" وهو ظهور قاومته حركة
الاخوان والحركة السلفية بالنار والدم ولم تزل في أكثر من
مكان من اليمن، فمقاومة الاخوان والسلفية لانصار الله
ليست عقائدية كما يبدو في ظاهرها ولكنها مقاومة وجودية،
فشعور الفناء خوف ظهور الآخر هو من يقاوم وهو من
يقاتل وليس البعد العقائدي الذي ينص على الاعتناء بتكامل
إيمان الذات ولا يرى في الآخر ضرراً عليها إذا اكتمل
إيمانها كما ينص القرآن على ذلك في الآية (١٠٥) من سورة
المائدة، فالصراع الحوثي/ السلفي في اليمن كان صراعاً
وجودياً له طابعه السياسي الصرف، إذ أن التعايش بين
المذاهب في اليمن ظل بعداً ثقافياً متأصلاً ولم يشهد صراعاً
دامياً طوال مراحل التاريخ المختلفة، وتكاد ان تكون كل
المذاهب في اليمن متناغمة - وبعض تلك المذاهب وصل الى
الحكم - والمآسي الدامية في التاريخ كانت بدوافع سياسية ولم
تكن بمبررات مذهبية قط، حتى "مطرفية" الإمام عبدالله بن
حمزة فقد كان الدافع السياسي حاضراً فيها لكونه جاء السلطة
من باب الاحتساب ولم يدع لنفسه لعدم اكتمال الشروط
الهادوية فيه، فالمبرر كان سياسياً وجودياً أكثر منه مذهبياً أو
عقائدياً، وقد أنكر فعله جل علماء عصره ومذهبه.

ولذلك كانت الزيدية - وفق الكثير من المعطيات التاريخية -
تتعايش مع الآخر المختلف ولا تحاول طمس وجوده ، وهو
أمر كان ممتداً في مواقف انصار الله وفي خطابهم ، لذلك

فالقوى الاستخبارية العالمية حاولت أن تستغل الفراغات وتتحرك فيها , فكان العدوان تعبيراً عن صراع وجودي بين اليمن والسعودية وفي معناه العميق تعبير عن حركة استعمارية جديدة تجتاح الوطن العربي تحت عباءة الاعراب , فالغرب ينفق الكثير على الدراسات وهو يحاول توظيف المعرفة لخدمة اجنداته , وغاياته من كل ذلك التحكم بمصادر الطاقة والغذاء لتحقيق ثنائية الهيمنة والخضوع على الشعوب والحكومات .

التكفير.. الأهداف والدوافع

ندرك أن موضوع التكفير ليس جديداً فقد حضر بجلاء في فترات تاريخية مختلفة من حقب التاريخ الإسلامي وكانت تفرضه الضرورة السياسية الرامية إلى استمرار ثنائية الهيمنة والخضوع وتتبع تلك الحالات في كل حقبة التاريخ من الصعوبة بالمكان الذي لا يحتمله المقام ولكني سأبدأ من القرن الماضي وتحديدًا من مطلعته حين بدأت النواة الأولى للحركة الإسلامية السياسية "الإخوان المسلمون" إذ مع هذه الحركة ظهرت كثير من الفرق "كالهجرة والتكفير" وجماعة الجهاد والجماعات القطبية وغير أولئك من الجماعات التي اشتغلت على مبادئ جاهلية المجتمعات والتكفير والحسبة.

ومشكلة تلك الجماعات هي في ثنائية النقل/ والعقل وما يترتب على ذلك من العلائق النصية في المستويات المتعددة، وفي الغايات القائمة على مبدأ تحقيق حاكمية الله، وتلك الغايات تتناقض تناقضاً كلياً في وسائلها وأساليبها الإجرائية مع الكليات الخمس التي حددها علماء الفقه الإسلامي، وعند تلك النقطة تبرز إشكالية المثقف الديني في العصر الحديث

في التفاعل مع تطورات الحياة، إذ وقف عاجزاً العجز كل حين عمل على تعطيل قدراته الذهنية والابتكارية والإبداعية.

ولم يسعه إلا الوقوف عند التراث بكل تناقضاته وطيفه المتعدد ليسقطه على إشكالات اللحظة الحضارية الجديدة، فلم يكن إلا غريباً عنها، وظل عاجزاً في التعبير عنها فقال بجاهلية المجتمع المعاصر وقال بضرورة جهاده حتى يعود إلى فطرته الأولى التي كان عليها في صدر الإسلام عند الرعيل الأول من المسلمين.

وتداخل البعد العقائدي مع البعد السياسي في أربعينيات القرن الماضي وكان أكثر ظهوراً بعد اصطدام حركة "الإخوان" مع قيادة (ثورة ٢٣ يوليو) بمصر وبالتحديد مع جمال عبد الناصر وقد نتج عن ذلك ظهور أول فتوى تكفيرية في مطلع الستينات من القرن الماضي في مؤتمر دعت إليه السعودية بعد موسم حج عام ٦١م ، وصدر بيانه بتكفير عبد الناصر بإعلانه تطبيق الاشتراكية وقوله بالعدالة الاجتماعية وكان ذلك المؤتمر بداية الاتصال المباشر بين الحركة الوهابية في نجد وحركة الإخوان في مصر ، وهو الاتصال الذي كانت نتائجه نشوء الجماعات التكفيرية والجهادية والجماعات

القطبية وكان محور نشاطها ومركزه هي جمهورية مصر العربية ووصل بها الحال إلى تهديد حياة الأبرياء العزل بعد أن كان مركزاً على القيادات السياسية وقادة الرأي من المفكرين والأدباء ومتقفي الأمة الطلائعيين .

ظل يقين الإخوان يتمحور حول مبدأ : "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " لذلك ظل نشاطهم يتركز حول هدف واحد وهو السلطة وعملوا على تسخير كل إمكانياتهم الذهنية والمادية لتحقيق مثل ذلك الهدف وعلى أسس مبدأ الغاية تبرر الوسيلة الميكافيلي لذلك ظل تعاملهم مع النص المقدس تعاملًا انتقائياً ، فمثلاً نجد القرآن يؤكد حرية الاعتقاد في كثير من النصوص الواضحة وبدلالات قطعية غير قابلة للتأويل ، ويدعون كل تلك النصوص وراء ظهورهم ولا يقولون إلا بما ورد في التراث الثقافي والفقهى الذي كان نتاج ظروف سياسية محددة كما في موضوع الردة الذي أودى بحياة كثير من المفكرين والكتاب كفرج فوده وغيره ، ويلتبس لديهم مفهوم الردة بين السياسي كما حدث في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) والاعتقادي الذي كفله وضمن حريته النص المقدس (القرآن الكريم) كما نجد ذلك في الآية (١٠٥) من سورة المائدة التي تنص على قوله تعالى : -

((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ظل إذا
اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبكم بما كنتم تعملون))
وفي الآية (٩٩) من سورة يونس يقول تعالى : (ولو شاء
ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، فأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين) فالقرآن قضيته في قدرة الذات
التفاعلية وتكاملها الإيماني ولم يقل بإكراه الناس على
خيارات محددة سلفاً بل قال بضرورة البيان والبلاغ والجدال
الحسن وبما يفضي إلى حياة سوية وإلى روح التكامل
والتطور والتحديث لا الثبات والاستقرار عند نقطة مضيئة
من التاريخ دون القدرة على الانتقال والتفاعل الثقافي
والحضاري وبما يساعد على تجاوز طبيعة الهدم والتوحش
وهي طبيعة متأصلة في الإنسان العربي حسب مقدمة ابن
خلدون - ونحن نلاحظ في تفاصيل الواقع مظاهرها العامة في
العمليات الانتحارية والتفجيرات.

علينا الاعتراف أن المثقف الديني وقع تحت تأثير الحالات
القهرية من الأنظمة السياسية فكتاب " معالم في الطريق"
للسيد قطب خرج من بين جدران السجن وهو يشكل
المرجعية الفكرية لكل الجماعات الجهادية والإرهابية وجل
الحركات كالقبطية والجهادية والتكفيرية كانت نتاج حالات
قهرية ، وقد ساعدت الضرورات السياسية على تنمية تلك

الروح المتمردة والمستغرقة حتى النخاع في تراثها كما في حرب أفغانستان في الثمانينات وكما في موضوع " القاعدة " التي أصبحت ذريعة أمريكا والمجتمع الدولي في بسط سيطرتهم وهيمنتها على منابع النفط وخط الملاحة والتجارة الدولي.

وليس بغريب على المجتمع الدولي أن يدرك أن تأثيراً لخطاب الديني في السيطرة والهيمنة على الوجدان العام في المجتمعات العربية كبير فطبيعتها مائلة إلى العصبية العرقية ولا يمكنها الانتظام إلا بعصبية دينية لذلك نرى الجنسيات المتعددة المنتمية إلى القاعدة مثلاً - باعتبار القاعدة هي الإطار التنظيمي الجامع لكل الجماعات الجهادية والتكفيرية التي ظهرت منذ القرن الماضي - ولذلك نلاحظ أن هذا المجتمع الدولي الذي أملت ضرورته السياسية عليه تنمية المنظومة الإرهابية في المجتمعات المسلمة يضغط جاهداً في سبيل إضعاف الفكر التنويري المناهض بل أحياناً يجعله هدفاً لتلك الجماعات تكفيراً واغتيالاً والشواهد كثيرة وأساليبه في ذلك كثيرة قد تدركها تلك الجماعات أو لا تدركها لكنها تعتبرها ضرورة جهادية.

ولعل استهداف الفكر القومي وضربه في عمقه هو تمكين للجماعات الإرهابية وهو المبرر الأساسي لنا في القول

بضغط المجتمع الدولي بإضعاف الفكر التنويري المساند لقيم الخير والحق والعدل والسلام ، ولعل الظاهرة الأخطر التي تهدد أمن واستقرار المجتمع المسلم في الحاضر والمستقبل القريب هي نشوء ما يسمى فقه الواقع ، وفقه الثورات فالمثقف الديني يعمل تحت غطاء فقه الواقع لتصدير فتاوى تخل بالقيم الأخلاقية للمجتمع المسلم كزواج المسيار والزواج السياحي وسمعنا مؤخراً تحت غطاء فقه الثورات فتوى "جهاد المناكحة" ومثل ذلك كما لا يخفى لا يخلو من استهداف البنية الاجتماعية والعمل على تفكيكها كما أنها تعمل على تشويه الصورة المثالية للمنظومة الدينية في تصورات عامة الناس ، فالإسلام في بعده العقائدي وبعده الأخلاقي لا يقر ذلك التوحش والهيمنة على خيارات الناس ويرفض الإكراه ، كما أنه يحترم إنسانية الإنسان ويقول أنه مكرّم ومخلوق في أحسن تقويم ويأنف أن تغتصب الحرائر تحت مبرر جهاد المناكحة ، وما يندى له الجبين أن مواقع التواصل الاجتماعي تناقلت صورة امرأة من القطر السوري اغتصبت تحت مبرر تلك الفتوى فأقدمت على إحراق نفسها إذن ما يحدث في سوريا اشتغال ديني في بعدين هما البعد العقائدي حيث ترى الفتاوى وجوب جهاد طاغية الشام نصرة لأولئك المستضعفين واشتغال في البعد الأخلاقي ويتمثل في جهاد المناكحة والمعاملات اللادينية واللاإنسانية التي تواجه النازحين السوريين ومثل هذا الاشتغال حدث ما يماثله في

العراق في مطلع الألفية وهو يحدث بذات الآلية والأدوات في سوريا ، والأغرب في جل الفتاوى هو التناقض فالذين أفتوا بكفر صدام حسين تراجعوا وقالوا بإيمانه حسب كثير من المدونات والمواقع الالكترونية ، وما وجده الإنسان العراقي من انتهاكات يجده الإنسان السوري والذين يقولون بالجهاد في سوريا تتحدث وسائل الإعلام عن ممارساتهم اللا إنسانية فالجرحى يؤخذون إلى مزارع في تركيا وتؤخذ منهم أعضاء قابلة للمتاجرة وما تبقى من أجسادهم يتم حرقها والمتأمل في الحالتين العراقية ومن بعدها السورية يجد أن الخطاب الديني خرج من مقاصده النبيلة وأصبحت الفتاوى الصادرة عنه تعبيراً عن حالة دنيوية أكثر انحداراً وابتذالاً وما نخلص إليه خوف الإسهاب أن الفتاوى لها ضوابطها في الفكر الديني العربي ولكنها أصبحت في حاضرتنا تأخذ صيغة انفلاتية ولسبب ذلك أحدثت تدميراً في البنية العقائدية والأخلاقية والمنظومة الثقافية وأحدثت تشوهاً عاماً في المجتمع وفي القيمة والمعنى الحضاري والثقافي للإنسان العربي المسلم.

لقد هدف المثقف الديني من خلال العصبية الدينية أن يفرض هيمنته ويحقق غاياته وأهدافه ولكنه وقع تحت حوافر السياسي الذي جعل منه أداة سيطرة ومبرراً لاستمرار ثنائية التسلط والخضوع.

ما نحمده للربيع العربي أنه استطاع التقليل من تأثير الفتاوى ولو بشكل نسبي وكشف لنا حقيقة ما يجري وما يعتمل في الخطاب الديني ، إلى الدرجة التي أدركنا فيها أن الفتاوى لم تكن إلا تعبيراً عن ضرورات سياسية دنيوية كفتاوى حرب صيف ٩٤م وفتاوى الانفصال وفتاوى الجهاد والتكفير التي صدرت مؤخراً في مناخات الربيع وجل تلك الفتاوى وقعت في التناقض ذلك لأن مقاصدها دنيوية فالذين أفتوا مثلاً بضرورة الجهاد في حرب صيف ٩٤م في اليمن هم أنفسهم من أفتوا بعدم جواز الوحدة مع الشيوعي الملحد في ٩٠م والذين أفتوا بالقول ان الدعوة إلى الانفصال كمن يدعو إلى الكفر هم أنفسهم من كان يقولون بمشروعية مطالب الحراك وبحقهم وحريتهم في تقرير مصيرهم كنوع من المناكفة في أيام النظام السابق .

ومثل ذلك التناقض وقع ما يماثله في العراق وفي لبنان في حرب تموز ٢٠٠٦م مع إسرائيل وفي فلسطين مع حركة حماس.

وزبدة القول أن الفتاوى الرائجة في الخطاب الديني عند بعض الجماعات لم تكن إلا سلاحاً فتاكاً تستخدمه تلك الجماعات لتصفية حساباتها السياسية مع الآخر ولتحقيق أهدافها السياسية في ذاتها وبعد قدرتها على الهيمنة على

السياق الثقافي وعلى الوجدان العام استطاع الربيع العربي أن يكشف مقاصدها المبتذلة ويحد من فاعليتها وعلى المثقف الفرد والمثقف العضوي الطلائعي أن يستشعر دوره في هذا المنعطف الخطير من تاريخ الأمة ويعيد الاعتبار للقيمة الثقافية والحضارية للإسلام ولمقاصده الإنسانية النبيلة.

الجدل الحضاري الجديد

ما يزال الجدل التاريخي بين الحضارتين الفارسية والرومية يمتد إلى عصرنا بالرغم من تطور الأدوات وتشعب المصالح وتداخل الشركات العالمية العابرة للقارات وبالرغم من الانزياح الكبير في المستويات الحضارية التي وصل الإنسان إليها، ويبدو أن التاريخ يسير وفق قانون واحد لا يمكنه التبدل والتغير، فالذي يحدث بالأمس أو بالماضي البعيد يكاد أن يحدث اليوم فالتشابه في البواعث والأحداث يكاد يكون واحدا وإن تغيرت الأدوات والأساليب.

في الماضي البعيد حاول الرومان أن يكون اليمن جزءا من الإمبراطورية الرومانية، وأن تخضع لنفوذهم وقد حاول القائد الروماني ديقيانوس غزو اليمن، فالتهمت صحراء صيهده جنوده وعتاده وعاد خائب الرجاء يجر أذيال الخيبة وما يزال هاجس الهيمنة وقتئذ يراود حكام تلك الحقب التاريخية أملاً في السيطرة على طريق البخور والتحكم في طرق التجارة، وفي المقابل لم تكن فارس تطمع في جنوب جزيرة العرب وجل اهتمام الفرس في الحقب التي شهدت الصراع - بين الروم والفرس - كان مركزاً على الشام وفق

مفهومه الجغرافي القديم وكان الفرس من الزاهدين في جنوب الجزيرة أي في العربية السعيدة , فلم يتحدث التاريخ عن أطماعهم ولكن تحدث عن زهدهم حتى أن كسرى لم يرسل جندياً واحداً مع سيف بن ذي يزن ولكن أرسل معه نزلأء سجنه , وما يزال أحفاد الفرس من الزاهدين في اليمن فقد تواترت التسريبات الخبرية - قبل زمن طبعاً - عن مفاوضات قامت بها الدبلوماسية الإيرانية في صنعاء تطرح التسليم للعدوان وتمكين من يسمون أنفسهم بالشرعية من دخول صنعاء , في مقابل أن يكف عرب الصحراء أيديهم عن سوريا , وكأن اليمن أصفهان , وليس بلداً يمتد عميقاً في التاريخ الحضاري للبشرية , وإيران بمثل هكذا طرح وضعت نفسها في المكان الذي يتسق مع المسار التاريخي , فهي لم تقدم لليمن شيئاً يمكن القول عليه أنه كان فضلاً , ولكن اليمن قدمت لإيران شيئاً لم تكن تحلم به في المدى القريب والبعيد وقدمته لها على طبق من ذهب , فالدم اليمني المراق كان سبباً مباشراً في التسوية التي تمكنت منها إيران في زمن العدوان على اليمن مع المجتمع الدولي , ولعل تسوية الملف النووي في لوزان هو أبرز انتصارات السياسة الإيرانية التي تجاوزت به ومن خلاله منظومة الحضر الدولية حتى وإن بدا أن الحضر عاد لكن من طرف أمريكا دوت سائر الأمم , وبه ومن خلاله سيبدأ الانتعاش الحقيقي للمنظومة الاقتصادية الإيرانية وقد تداعت إلى إيران كبريات

الشركات العالمية للتجارة والاستثمار وما كان لمثل ذلك الانتعاش أن يحدث لو لم تظاهر إيران المجتمع الدولي بالوقوف وراء القضية اليمنية وتستثمر غباء سكان الصحراء والخليج وحكامهم لتبدع لنفسها واقعاً جديداً سوف يتجاوزهم ويترك أثره المادي والنفسي والثقافي على اقتصادهم وعلى استقرارهم الاجتماعي والوطني ، فالنزاع على الخليج العربي قضية شائكة لم تصل إلى رؤية محددة وواضحة فإيران لا تعترف بشيء اسمه الخليج العربي ولكنها تصر على تسميته بالخليج الفارسي وموضوع الحدود البحرية ، وموضوع الجزر لم يحسم بعد ، وحين تجد الإمارات نفسها وحيدة في صراع الوجود الذي سيفرز زمن ما بعد العدوان على اليمن ، بعد أن تصبح المملكة دويلات متناثرة وشظايا ، وبعد أن تصبح البحرين جمهورية إسلامية بدون ملوك ، وتصبح قطر في خبر كان باعتبارها جغرافيا لا تملك مقومات دولة حقيقية وقد تصبح وحدة إدارية لدولة قادمة هي في ظهر الغيب – أقول قد تجد الإمارات نفسها خارج التاريخ وخارج الجغرافيا - ولا يظن ظان منهم أن سقطرى هي الجغرافيا الموعودة لدولة آل نهيان القادمة فقد أصبح التاريخ لا يعير أمثالهم بالاً ، بعد أن تمادى بهم الطغيان إلى الحد الذي عشنا تفاصيله اليومية في زمن العدوان ومازلنا .

لقد دل الجدل الحضاري التاريخي بين الحضارتين الفارسية والرومانية على ثبوت اليمن ورسوخها وعلى وجودها الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي وعلى زهد الفرس وطمع الرومان، كما دل على أن اليمن أرض لا تقبل غريباً، وأن صحراء صيهده ومارب والجوف تلتهم الغزاة والطامعين، فإذا كان ذلك هو حظ الرومان قديماً فماذا عساهم أن يجدوا اليوم فاليمن تستنهض مقوماتها الحضارية، ولعل العدوان الدولي قد صهرها فأيقظها.. وهي تنهياً للزوغ وما هو كائن في التاريخ سيكون ولا بقاء للطارئین على التاريخ.

ولا عزاء للمتشدقين الذين سلب المال عقولهم فهرعوا وراء بريقه وباعوا اليمن إلا ما كان من عزاء لأمثالهم في التاريخ، فالعميل المندس لا شرف له ولا قيمة له وقد دلت مسارات التاريخ وتموجات الاحداث على تراجعديا مآلاتهم وها هي السعودية تطردهم من الفنادق بعد أن قضت منه حاجة كانت تضمرها.

اليمن ليس حضارة طارئة ولكنه بلد يمتد في عمق التاريخ ويلزمه في زمنه هذا أن يقوم بتفكيك بنيته الحضارية والتاريخية والثقافية والاجتماعية ليستعيد مقوماته الحضارية والسياسية والثقافية ويستعيد مركزيته الاقليمية وصدارته التي كانت في غابر زمنه ولن يصل الى مبتغاه حتى يصنع من

فكرته الدينية مشروعا سياسيا واعيا وقادرا على احداث
التحولات وتحريك عجلتها.

تفكير الحالة السياسية اليمنية

المتأمل في الحالة السياسية اليمنية يجدها لا تخرج عن جذرها التاريخي، ومتواليات انكساراتها دالة على الفراغ الحضاري الذي حدث قبل انهيار السد، ولم يكن «العزم» وفجوته الحضارية ألا تتويجاً لمرحلة انكسارية كانت قد سبقته.

والثابت أنّ الذات اليمنية كثيرة الاعتزاز بذاتها لذلك فإن ما أبدعته سبأ وحمير في غابر الايام لم يكن الا تفجيراً لكوامن الذات وتوظيفاً واعياً لطاقتها، الأمر الذي عزز الشعور بالقوة والبأس الشديد- كما تجلّى ذلك في حديث بلقيس وهذا الشعور لم يمنعها من ثنائية «الخضوع والتسلط» الخضوع لسليمان والتسلط على قومها، ومثل ذلك التسلط في الغالب كان يفضي الى التشظي والانقسامات كما أنّ الخضوع عمل على التأسيس لبداية الفجوة الحضارية التي حدثت في الذات الحضارية اليمنية.

ويمكن أن يقال أن روح الانقسام بين الكيانات التي تكوّن قوام الدولة المركزية التي تحكمها بلقيس هي سبب مباشر في ذلك الخضوع، ذلك أن الدولة المركزية كانت

تتكون من كيانات جزئية كل كيان كان له قيل، وبتحالف مجموع الكيانات والأقوال تتكون الدولة المركزية فإذا غضب قيل من الأقوال انفصل عن الدولة المركزية، وأعلن نفسه كياناً مستقلاً كما نقرأ عن قتيبان، وأوسان وحضرموت وغير أولئك الذين تشكلوا في إطار الدولة المركزية.. فالتنظيم كان حاضراً عند الدولة التاريخية اليمنية.

كما أن التناقض كان أساساً محورياً في الأشكال البسيطة والمعقدة للحركة، وهو بين من خلال حالة التشاور في التفاعل مع رسالة النبي سليمان عليه السلام.

وظل الفراغ الثقافي هو الفجوة الأكثر تأثيراً في المسار الحضاري للذات اليمنية.. فالثابت أن كتب الاخبار تحدثت عن أنبياء ورسلا الى عرب الجنوب ولم تشتهر إلا قصة ملكة سبأ مع سليمان وقصص اليهودية والنصرانية، وقد ظل أثر ذلك كنوع من تطور التناقضات الداخلية في البنية الثقافية التراكمية للمجتمع اليمني كما ظل الفراغ الحضاري والثقافي فاغرا فيه يلتهم كل قادم بعد حادثة الاخدود في نجران وغرق الملك ذي نواس في البحر.

ذلك أن خروج ذي ثعلبان النجراني إلى الحبشة للاستعانة بهم كان بمثابة ذروة النكوص الحضاري الذي بدأت ملامحه مع قصة الهدهد والعرش للملكة بلقيس ثم توالى الأحداث من بعد ذلك في ذات المربع الذي رواه

الهمداني في الأكليل نقلاً عن الزبور حيث قال إنه ورد في
الزبور ما نصه:

- «لمن ملك دمار»؟

- لحمير الأخيار

- لمن ملك دمار؟

- للحبشة الأشرار.

- لمن ملك دمار؟

- لفارس الأحرار.

- لمن ملك دمار؟

- لقريش التجار.

إذ شهدت المراحل التاريخية المسار عينه الذي رسمه
الزبور في غابر الايام، فسيف انتهج ذات المسلك لـ«ذي
ثعلبان» ثم شهدت المرحلة الاسلامية نفياً حضارياً للذات
اليمنية بدءاً من السقيفة وانتهاءً بما وصفه البردوني بتصيب
النائب رئيساً.. ولعل الممعن في التاريخ الاسلامي يجد
حضوراً فاغراً للبعد الحضاري الذي ظل طوال تاريخه
وحتى اللحظة يشتهي الامتلاء.

فالحظة التاريخية الوحيدة التي يمكن وصفها بلحظة الوعي بالذات كانت مع القيل الهيصم بن عبدالرحيم الحميري ولم يمتد عمرها لأكثر من عشرة أعوام حتى صرخ المكان على لسان هارون الرشيد بقوله لأحد قواده:

«أسمعني أنين أهل اليمن» ومثل تلك الصرخة لم تتكرر مع الحركات التي كان لها أصرة تمتد الى الجذر المكاني الذي كان يومئ من بغداد أو من القاهرة الى نجد وقريش كمتواليه تاريخية تنبأ بها كتاب الزبور وظلت كصيرورة في كتاب الزمن.. وبمثل ذلك يمكننا تفسير موقف السعودية من ثورة سبتمبر ١٩٦٢م.

إذ أن التباين الواضح «بين الزيدية والسلفية» كان يحتم عليها الوقوف مع صف الثورة لكنها ساندت النظام الملكي الى لحظة التصالح الاخيرة في الخرطوم، فتلك المساندة كان العامل المكاني التاريخي هو الفاعل فيها ولم يكن للمصلحة السياسية الا دور المبرر فقط لانتفاء عناصرها وموجباتها.

فالدور السعودي في الستينيات والسبعينيات لم يكن الا بهدف تدعيم بنية الخضوع والهيمنة وتكريس عوامل التخلف التاريخي الذي يعمل على فقدان المجتمع لشروط تجديد إنتاجه، وهو ذاته الذي ظل فاعلاً خلال العقود التي تلت وما تزال حتى اللحظة التي شهدت التوقيع على المبادرة الخليجية فالقضية لا تبرح مربع إفراغ الذات الحضارية اليمنية من

محتواها الثقافي والتاريخي من خلال طمس المعالم الاثرية الذي تنتهجه الحركة الوهابية في اليمن واستهداف المخطوطات بالممكنات المتاحة كإغراءات البيع والتهريب وتعطيل القدرات الابداعية والتقليل من فاعليتها وذلك عن طريق قوة تأثيرها في حصر الصراع بين طبقتين في اليمن هما طبقة المشائخ وطبقة الرأسماليين وأضحت بقية الطبقات خارج دائرة الصراع الاجتماعي وهو الأمر الذي عزز من حزمة المفاهيم التاريخية البغيضة كالاستغلال والغبن والغش الامر الذي يتضاد مع نعوت وأحوال الحالات الثورية كالنقاء الثوري وشرف النضال الثوري، مع إضمار رفض استمرارية الثورة ورفض التطور الجدلي للمجتمع.

وقد ساهم نظام علي عبدالله صالح في ذلك، إذ عمل عن طريق المشائخ على تسخير قوى الشعب العامل لصالح مؤسسة الحكم / الحزب ذلك أن تحالفهم مع طبقة المشائخ كان تحالفاً وقتياً أو عرضياً فرضته الضرورة السياسية الضاغطة وهو في جوهره تعبير عن التناقض التاريخي، الذي بالضرورة لا يدل على النفي أو الاحتواء، بل قد دل على بداية ولدت مع النهاية التي رسمت ملامحها احداث ٢٠١١م.

إذ رأينا في ٢٠١١م إمكانية تحالف الاضداد على أرض

الواقع، «تحالف رأس المال وقوة العمل»، فقد نهضت التيارات في حركتها الاجتماعية المتعددية والمتناقضة حتى تؤدي دور البطولة المطلقة من خلال وهم الانتصارات، ذلك أن خلاصة صورة ٢٠١١م نوجزها في القول إنها كانت صراعاً بين قوة العمل والسلطة، قوة العمل المتحالف مع رأس المال والمتناقضة معه في ذات الوقت وبين النظام المعبر عن الجماهير ومصالحها، فرأس المال السياسي كان يجاهد في سبيل مصلحته عن وعي متفاوت الدرجة كي يحافظ على الأساس الاقتصادي والبنيان العلوي وهو بذلك قد يزيد من العقبات في وجه أي ميل الى التغيير والانتقال، ذلك أن تغيير المجتمعات يعود بالأساس الى تطور التناقضات الداخلية فيها.

ومن هنا يمكننا القول إن اليمن بعد فبراير ٢٠١٢م لا يواجه عناصر مستقلة ممثلة في رأس المال السياسي وقوة العمل - كتحالف أنتج حالة ثورية - فحسب ولكنه يواجه علاقات متناقضة بين رأس المال وقوة العمل..

فرأس المال السياسي من مصلحته ضمان علاقات إنتاج مستمرة وامتيازات في امتلاك وسائل إنتاج بما يضمن له استمرار علاقات الإنتاج القديمة وبحيث يدعم بوجه خاص النظام الراسخ في ملكية وسائل الإنتاج، وثمة مؤشر على ذلك الحال تناقلته الصحافة السيارة يومذاك.

إن القضية الوطنية اليمنية تعود بجذورها إلى الأشكال التاريخية التي لم يتعرض لها المفكرون لفض إشكالاتها المتوالية ولذلك فإن النتائج المتوالية نتائج مؤلمة لكل حركات التحول والانتقال التي اشتغل عليها السياسي وأهم تلك الأشكال تتمثل في الصراع الاجتماعي وتناقض علاقات الإنتاج، فاليمين الأسفل يمتاز بقيم وعلاقات متناقضة مع غيرها من المناطق ذات البنى الاجتماعية الأكثر استغراقاً في النظام القبلي كما أن الجنوب الذي حكمته النظرية الاشتراكية لمدة (٢٣) عاماً قد تركت في تصوراتهِ نظاماً ربما كانت متصارعة مع الثقافة الرأسمالية للمستعمر البريطاني الذي حكم المحافظات الجنوبية لما يقارب قرن ونصف من الزمان ومتصارعة مع الإشكالات التاريخية في السياق الثقافي الوطني ومثل ذلك التناقض ترك أثراً في المسار التاريخي الثوري تتوّج بحركة (١٣ يناير ١٩٨٦م) الدامية فاليسار في الجنوب لم يتمكن من فض الإشكال التاريخي ولم يتمكن من تصفيته من محتواه المتأجج والعدائي، كما أن الثورة اليمنية لم تتمكن من فض الإشكال في اليمن الأسفل وهو إشكال تركه قائمو مقام الدولة العثمانية وما تزال آثاره تهدّد السلام الاجتماعي وتعزّز من الروح العدائية والمتأججة في تلك المناطق، فالنظام الإقطاعي في تلك المناطق ترك أثراً نفسياً مدمراً وشعوراً بالدونية والنقص والفراغ ويكاد مثل ذلك يمتد

إلى الشريط الساحلي كنتيجة لبعض الممارسات الخاطئة التي تنامت بعد حرب صيف ٩٤م التي شكلت منعطفاً خطيراً في اليمن الحديث فالذين خاضوا الحرب لم يكن هاجسهم إلا البحث عن الثروة والسلطة والمكانة الاجتماعية المرموقة، ولم يكن الاستقرار هدفاً في ذاته فوعي الغنيمة كان حاضراً بقوة من خلال نهب المؤسسات الرسمية والاستئثار ببعض المقدرات ومن خلال نهب الأراضي التي اقتطعوها لأنفسهم واكتسبت شرعيتها القانونية من خلال الهبات الرئاسية وتحت هذا المناخ برزت الإقطاعيات العسكرية والدينية والمشيعية على حساب الطبقات الاجتماعية الأخرى وجموع الجماهير التي كانت تشرئب أعناقها إلى غدٍ أكثر رخاءً ورغداً، ولم يكن حظ الجماهير من تلك الحرب (حرب صيف ٩٤م) سوى يقظة حزمة المفاهيم التاريخية البغيضة كالاستغلال والغبن والغش وهي مفردات تكوّنت صورتها الحقيقية في الحراك الجنوبي بكل فصائله، لذلك فالانفصال بما يعنيه من تناقض ليس نفيّاً للآخر كما أنه ليس احتواءً له ولكنه بداية سوف تظهر مع نهاية هذه المرحلة (مرحلة الحرب وبقايا النظام القديم).

ونحن الآن نشهد مخاضها وهي في مظهرها العام صراع بين شمال وجنوب وفي غدٍ يتحول إلى صراع بين الجنوب والجنوب، ذلك أن الحالات القهرية التي عاشها الوطن

قد أيقظت الهويات التاريخية، وعمر اليمين الديمقراطية لم يتجاوز (٢٣) عاماً ولم يكن في واقعه الاجتماعي والسياسي مستقراً إذ أن حركة الزمن بين الكر والفر، والإقدام والإحجام، والهجوم والدفاع، والنصر والهزيمة، والعداء والمصالحة، والتحالف والانفصال، لم تحمل على تطوير التناقضات الداخلية فيه ولم تحدث تغييراً مشهوداً في الحركة البسيطة والمعقدة للمجتمع ومع استمرار الصراع نأمل أن يبدأ التطور الواعي للعملية التاريخية حتى يتمكن المجتمع من تجديد شروط العملية الإنتاجية وبما يخفف من حدة الصراع، فالتعويل على محاكاة الآخر (النموذج) مثل "تركيا" عند الإخوان، ودول شرق آسيا أو أوروبا عند بقية القوى السياسية، لن يجدي شيئاً فالمحاكاة في البعد الثقافي دون وعي كبير بالبعد الاقتصادي وبعلاقات الإنتاج في ظني ستكون عبئاً لا طائل منه وقد دلت التجارب الوطنية الحديثة على مثل ذلك العبث ذلك أن فقدان تجديد شروط الإنتاج قد يطيل من أمد الارتهان للآخر المتقدم وهو ارتهان تأريخي كما أوضحنا في السياق.

فالتجربة الوطنية الحديثة لم تستطع الخروج من هيمنة الاقتصاد المعاشي أي الإنتاج من أجل الحياة وهو النمط الذي كان سائداً قبل الثورة في نصف القرن الماضي وما يزال عدا بعض الاستثناءات التي لا يمكن التعويل عليها، كما أن علاقات الإنتاج شابها من الثبات ما شاب غيرها من الأنماط الثقافية والاجتماعية والقيمية فالتجديد ظل غائباً وظلت المعيارية

الاجتماعية لوسائل الإنتاج أيضاً ثابتة، فسكان الهضبة من صعدة إلى هضبة يريم يمتازون بقيم وعلاقات تختلف عن تلك التي يمتاز بها اليمن الأسفل (تعز، إب..) إلى امتدادات السهل الساحلي وتهامة وهي أكثر تناقضاً واختلافاً في المحافظات الجنوبية فمربع الصراع الجنوبي (عدن، لحج، أبين، الضالع) يمتاز بقيم أكثر مدنية وتلك القيم تمتد إلى تعز فالتشابه في التأثير والمؤثر الثقافي بين تعز وعدن يكاد يصل إلى حد التوحد والتطابق، وبالنسبة لحضرموت فهي نسيج وحدها بتفاعلها الجاد مع البعد الاقتصادي واشتغالها به، وباعتزازها بذاتها الثقافية المستقلة، ومن هنا يمكن القول أن تطوير التناقضات في المجتمع بالضرورة سوف تفضي إلى تجديد شروط إنتاجه، ذلك أن الانتقال إلى الدولة المدنية يتطلب مهاداً ثقافياً يعمل على تفكيك البنى الثابتة تمهيداً لإعادة بناءها بما يتوافق واللحظة الحضارية المعاصرة بعيداً عن أولئك المشدودين إلى النقاط المضيئة في الماضي والذين لا يؤمنون بحركة الزمن ولا بتطور إيقاع الحياة .

في ظني أن اليمن في مرحلتها الراهنة بحاجة أكثر إلى إثارة سؤالات الحضاري، وسؤالات الثقافي، وسؤالات الاجتماعي، والاقتصادي حتى تتمكن من استعادة وعيها بذاتها وتجتاز دوائر الفراغ الحضارية التي وقعت فيها في مسارها التاريخي.

الدولة المدنية الحديثة

اصبح الحديث عن الدولة المدنية الحديثة هو حديث المناخ الثوري الذي انبلجت تباشيره عام ٢٠١١م تحت ظروف ومناخات الربيع العربي وأخذ كل تيار يفلسف الدولة المدنية وفق مفهومه ورؤيته هو، إلى درجة أن الاجماع عليها يكاد يكون تبايناً واضحاً في الرؤى فالقوى الدينية وأخص منها القوى ذات التوجه السلفي والسني ترى فيها خروجاً على الفطرة، فالمساواة في المواطنة لا تعني في مفهومها إلا المثلية أي زواج الذكر بالذكر والانثى بالأنثى وذلك هو مستوى تفكيرها إذ أنها طوال تاريخها الممتد عبر الأزمنة لم تنتج إلا فقهاً مشوهاً أو حالة مشوهة للإسلام والمسلمين ، فهي إذا أعملت تفكيرها في قضايا الناس فلن يتجاوز باب النكاح وكأن قضية المسلمين في هذا العصر هي زواج «المسيار» وزواج «فرند» والزواج «السياحي» والغريب أن جماعة أهل السنة ظلت تأخذ على بعض فرق أهل الشيعة زواج المتعة ثم تمخض الجبل فلم يتجاوز ذات المربع، وحين واجهها سؤال العصر الحضاري- أي جماعة أهل السنة- لماذا استهدفنا؟ لم يكن ردها إلا بذات الصيغة الاعرابية الفجة «أخذوا الأبل

فأوسعتهم سباً» على الغرب أن يأخذ ثروات الأمة ويطور في بنيته الحضارية وعلينا أن نفرغ شحنات الغضب على منابر المساجد وان عظمت وتكاثر غيضا نفرغها بالأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة التي تستهدف المسلم الموالي للغرب ولا تستهدف الغرب ذاته.

والفرق بين السنة والشيعية هو الفرق ذاته بين الأشعرية والمعتزلة من حيث تعطيل العقل أو تفعيل قدراته وهو ذاته الذي نلمسه في البعد الحضاري المعاصر «فحزب الله» في لبنان حين أعلن عن إنتاج طائرة بدون طيار تجوب أجواء فلسطين المحتلة في رحلة استطلاعية، وجدنا جماعة أهل السنة تعلن عن رسالة دكتوراه في مسألة جواز أو تحريم زواج الانس بالجان، وهي لا تحسن ألا التدمير وتنمية العداوات وتغذية الحروب لما يخدم أعداء المسلمين لا المسلمين كما يوحي الحال في العدوان علي اليمن في ظل الصمت المريب لها.

وعوداً على بدء.. كموضع أساس لنا نقول أن جماعة أهل السنة حين عطلت قدراتها العقلية غاب عنها أن الإسلام مدني بطبعه وفطرته وأنه وضع حداً موضوعياً فاصلاً بين القروية والمدنية وأن وثيقة المؤاخاة بين المسلمين في المدينة

كانت بمثابة أول دستور ينظم الحياة المدنية في التاريخ وأن روح المساواة يمكننا استنباطها من حركة التاريخ , فأبو بكر في أول خطاب له يؤسس للتعدد والمعارضة حين قال: لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، وتلك هي العلاقة الجدلية بين السلطة والمعارضة، وعمر يقف على المنبر قائلاً للناس: اسمعوا وأطيعوا فيقوم له سلمان الفارسي قائلاً: له لا سمع ولا طاعة، كيف لك تستأثر لنفسك بثوبين وتهب الناس من ثوب واحد.. عدالة اجتماعية ومساواة وعدل.. والإمام علي- كرم الله وجهه- يقف على قدم المساواة أمام القاضي شريح وهو أمير المؤمنين وخصمه يهودي مثل ذلك- وغيره كثر ماثوث في كتب الاخبار والسير والتاريخ- هو مظاهر وقيم الدولة المدنية الحديثة التي فلسفها الفكر الإنساني عبر مسار تطوره حتى وصل إلى مظهرها الحديث أما المثالية فهي مظهر أخلاقي تنبذ الفطرة السليمة وقد ضبطه النص الشرعي ولا معنى للقول به أو الخوض فيه فقيمة الإسلام الإضافية تكمن في اشتغاله على البعد الأخلاقي وضبط معياريته بالنص المقدس بعكس الأديان الأخرى التي كان اشتغالها على البعد الروحي فقط لذلك شاعت في مجتمعاتها المظاهر الأخلاقية غير السوية وغيرها من السلوكيات الشاذة التي تتنافى مع الفطرة وطبيعة الإنسان العربي على وجه الخصوص.

ومن خلال هذا السرد المقتضب نكون قد وصلنا إلى يقين أن الذين يقولون بالتضاد بين الإسلام وبين الدولة المدنية الحديثة إنما يحاولون التشبث بالهالات والقداسات التي صادفت هوى في أنفسهم ولم تكن من الإسلام في شيء من مثل تحريم نقد الحاكم أو العالم الديني من حيث تسفيهه أو تفنيده الفعل أو الرأي، وبالعودة إلى صفوة العلماء والمفكرين المسلمين كأبي حنيفة والشافعي والإمام زيد وغيرهم لا نجد إلا روحاً عالية صفاء واشتغالاً معرفياً دون تعصب لرأي ودون هالة أو قداسة فالقضية لديهم أن الرأي يحتمل الصواب والخطأ والعالم يظل بشراً ولا قداسة له ولحمه غير مسموم، فالكهنوتية التي تسلت إلى فراغاتنا الحضارية والثقافية عبر حقب التاريخ وفجواته ليست من الدين في شيء والذين يدعونها اليوم ليسوا من الإسلام في شيء ولكنهم يبحثون عن عرض من الدنيا زائل (بهرج وسلطان وقداسة) وقد رأينا كيف تناقضت مواقف بعض الجماعات من موضوع الإساءة للرسول عليه الصلاة والسلام بين أمس واليوم .

فالقضية الدينية وفكرتها لا تكاد تتجاوز عتبة الذاتية وظلالها القاتم وفي مقابلها نجد الانبهار بالنمط الغربي وهو ذلك النمط الذي يتقبل الفكرة في كلياتها ولا يعمل على تحريك وظائفه العقلية في التجزئة والتحليل والمقارنة ونقل

التجارب لا يعني مطلقاً التقدم والعصرنة والتحديث فالقضية المدنية قضية معقدة ولا يمكنها أن تتحقق بمنأى عن العوامل الجوهرية المساندة وبمنأى عن المعوقات الموضوعية وخصوصية المجتمعات، لذلك فالقول بالدولة المدنية كشعار فضفاض تفاعلاً مع المرحلة السياسية لا يعني مطلقاً قدرتنا على التأسيس لها، ومن هذا المنطلق يتوجب على كل القوى إدارة الندوات وحلقات النقاش وتفعيل دور الأوراق البحثية بالاستعانة بالكوادر العلمية والبحثية حتى نتمكن من صياغة مشروع سياسي ناهض يكون هو العلامة الأبرز في تجليات المرحلة القادمة.

والاشتغال الثقافي على ملامح المرحلة القادمة ضرورة جوهرية وأية قوة وطنية أو سياسية ترغب في البقاء في معادلة المرحلة لابد لها من مشروع ويتوجب عليها الاشتغال عليه بما يكفل له النفاذ إلى وجدان ووعي الجماهير فالضرورة الاجتماعية الجماهيرية هي التي ترسم نفسها على معالم المرحلة ولن تستطيع فعل ذلك إلا بالوعي وبالالتفاف الجماهيري حول مشروع حضاري واضح الأبعاد والرؤى بعيداً عن المزايدات والشعارات الزائفة.

ولعل طبيعة المرحلة وإفرازاتها تضع القوى السياسية الوطنية أمام قضية وجود، ووجودهم لا يتحقق إلا من خلال قدرتهم التفاعلية وقدرتهم الديناميكية في التجدد والتحديث

والاشتغال الثقافي المستند على مشروع حضاري تكون المدنية ومظاهرها أبرز تجلياته.

فاليمن اليوم أمام منعطف تاريخي مهم في تحقيق وجوده وقدراته وفاعليته أمام القوى التي ترى في تفكيك منظومته وجوداً حيويّاً وفاعلاً لها كالسعودية وبعض دول الاقليم ، ومواجهة مثل تلك التحديات دون مشروع واضح الأهداف والمعالم والأبعاد لن يجدي ، ذلك أن مهمة اليمن - بالنظر الى تبدل حركة التوازن الذي فرضه الواقع العسكري - الأنية والمستقبلية لابد أن تسير في خطين متآزرين هما خط التفكيك النظري والثقافي وخط البناء وتوسيع دائرة الوعي والالتفاف الجماهيري بالطرق والوسائل الفنية الحديثة، فالفنون والآداب حياة مكرّسة قادرة على فتح عوالم المستقبل في الوجدان الجمعي وقادرة على صناعة موقف جمعي ، فبقاء فاعلية اليمن رهن قدرته على اقتناص اللحظة التاريخية للتحويل والتحديث والانتقال، فعبثية الماضي التي شاعت في مكوناته التنظيمية لن تكون إلا فناءً مؤجلاً إذا استمرت في هذا المفترق التاريخي الذي نمر

الزمن الجديد

أصبحنا نعيش زمناً جديداً تعدد فيه الواحد ليصبح أكثر من واحد، وتعددت فيه الكليات لتصبح أكثر من كيان، وتبعاً لذلك التعدد في الواحد تعدد المفهوم ليصبح أكثر شمولاً وأكثر اتساعاً، فضيق المفهوم والحضارة لم يعد مقبولاً في واقع يعيش تموجاً ثقافياً منفتحاً على الكون المعرفي وعلى الأبعاد الفلسفية للعلومة، لذلك فالقول بالبقاء في النقاط المضئية للماضي فناء وفناء مضاعف، والذين هم واقعون تحت تأثير المتغيرات الجديدة لن يسعفهم هول اللحظة ودهشتها من النقاط الأنفاس والدخول في دائرة الوعي بالمتغير، فالإيقاع أكثر سرعة ويسير بسرعة البرق ومواكبة ذلك الإيقاع لن يكون إلا بالتهيئة النفسية والثقافية والأخلاقية لضرورات الزمن المتسارع الجديد، وحين يتعلق الفرد أو الجماعة أو الحزب في المحددات الثقافية والاخلاقية التي أنتجها الماضي فتلك المقدمة المنطقية ستكون هي الشعور بالاغتراب والشعور بالغياب كنتيجة منطقية في الزمن الآتي من بين غيوم الغيب.

فالثورات تحدث تبديلاً في شكل العلاقة بين الدولة

والمؤسسات الاجتماعية والثقافية وبين فرق وطوائف المجتمع, فالتبدل والتغيير من خاصية الثورات والهزات الاجتماعية العنيفة التي حدثت في دول ما يسمى بالربيع العربي ولذلك لا تكف الأخبار في تناولاتها اليومية عن الحديث عن دول الربيع العربي, فالتدافع الذي يحدث هو صراع بين ماضٍ يتشبث بالوجود وحاضر متبدل يرغب في الوجود, ومثل ذلك التدافع من سنن الله في كونه, ويحدث خوف الفساد وخوف الثبات وتبعاً لذلك التدافع يتميز الناس إلى جماعات وأحزاب ويحدث أن يطغى الأقوى ويستبد, والطغيان والاستبداد من طبائع المنتصر في أي تجمع بشري ولن تحد منه إلا الفنون التي تجهد في تكثيف موضوعها في صناعة حيوات وبحيث تجعل من فردية الفرد كلية, فهي عن طريق الفن تعمل على زيادة الوعي باللحظة والوعي بالذات في إطار المجموع الوطني أو الاقليمي أو العالمي.

وبرز في الآونة الأخيرة الحديث عن التطورات الاجتماعية والثقافية وجدلية الاندماج الاجتماعي والاندماج السياسي للجماعات والأحزاب والطوائف, وما يزال العقل الاجتماعي والعقل الفلسفي يخوض في تفاصيل الحركة الاجتماعية التي تعيد إنتاج نفسها من خلال الاشتغال على التفكيك في البنى التقليدية وذلك بحثاً عن وسائل مثلى لدعم التسامح وقبول الآخر والاعتراف بوجوده والتعايش معه واحترام معتقداته

وثقافته, ولعل البحث عن تلك العلاقات الشكلية بين مكونات المجتمع المختلفة والدولة وفق المفهوم الجديد الذي أفرزته وتفرزه حركة المجتمع يقود إلى الحديث عن دمج كل الفرق والجماعات والأحزاب في إطار المفهوم الجامع الشامل الذي تستظله عبارة “المواطنة المتساوية”.

ولعل إشباع مفهوم “المواطنة” تنظيراً وجدلاً وتكثيفاً وتشريعاً وممارسة هو الباب الذي نلج منه إلى البناء الصحيح في توطيد الروابط الاجتماعية والمشاركة في النشاط الاجتماعية المتنوع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وبحيث نصل إلى حقيقة الاستقرار والشعور بالوجود لكل أطراف المجتمع ومكونه العام, فالتعدد ظاهرة محمودة تمنع الاستبداد وتحد من الطغيان من خلال التدافع الصامت الذي يحدث بين مؤسسات الدولة المختلفة وبين المؤسسات المدنية والذي يحدث بشكل غير مباشر وبصورة بينية, فالفصل, بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية يعمل على تفعيل خاصية التدافع الصامت من خلال المواجهة والاحتكاك بين السلطات فالسلطات الثلاث تحتك وتتضاد مع الأخرى وبما يفضي إلى القول أن الدولة من خلال تعدد سلطاتها ستحد الدولة.

ذلك أن السلطة في ظل التعدد والتنوع وفي ظل الأنظمة

الديمقراطية الحديثة لها شكلان، شكل داخل الدولة والآخر خارجها، فالسلطة داخل الدولة - كما يرى ذلك فقهاء القانون - هي للقانون، فالدولة تكون طرفاً دستورياً محايداً ومسؤولو الصف الأول لن يكونوا إلا موظفين ترتبط سلطتهم بالقانون وبالفترة الزمنية التي ينص عليها الدستور وبحيث لن يكون بوسع أي جماعة أو حزب أو طائفة أن يتجاوزوا ذلك السقف الزمني.

أما الشكل الذي خارج الدولة فيتمثل في إعادة توزيع السلطة /النفوذ بالطريقة التي تحفظ التوازن بين المجتمع الرسمي أي مجتمع الدولة وبين المجتمع المدني من أحزاب ونقابات ومراكز ومراجع دينية وهذا الشكل يخلق لحظته المتفاعلة مع الزمن ويجد من الصراع ويقلل من ظواهر الطغيان والاستبداد والفساد وبما يتوافق مع المصالح المرسله للجماعات والكتل التاريخية التي تعمل حركة المجتمع على خلقها في لحظات التحول والتبدل.

وكما قلنا آنفاً في السياق إن المفهوم يتغير تبعا لما هو كائن من حركة وتغير وتبدل وتعدد، فالوعي الاجتماعي كان في زمن ما قبل ٢٠١١م ضحية تعسف رسمي متعدد الجوانب والآليات عمل على إخضاع مشاعر الناس وعقولهم على التصور بأن مفهوم الدولة لا يتجاوز الهيمنة السياسية

ومجموعة الرموز التي يخضعون لها كالرئيس والوزير والمحافظ والشيخ، ولكنه ومن خلال ما تشهده من حركة بدأ يعي وبدأ يقرأ الفروق اللازمة بين مفهوم سلطة الدولة ودولة السلطة فسلطة الدولة تعني أن جميع أجهزة الحكم فيها من مؤسسات ودستور وقوانين وقيادات تعمل في منظومة متكاملة لتحقيق الغايات الوطنية، ودولة السلطة تعني أن أجهزة الدولة ومؤسساتها وأدواتها القانونية والدستورية تعمل في منظومة واحدة لتحقيق مصالح السلطة الحاكمة ويصبح الوطن وثرواته ومواطنيه ملكاً لها.

وطبقاً لما سبق نذهب إلى القول أن ما يحدث في واقعنا هو عملية انتقالية وتبدل في المفهوم، ومثل ذلك يضعنا في مواجهة زمن جديد يتوجب التفاعل مع متغيرات ومظاهره العامة.

الفساد الظاهرة والمعالجة

الفساد في معاجم اللغة العربية، من الفعل فسد ضد صلح، وهو البطلان فيقال فُسِدَ الشيء أي بطل واضمحل.

واصطلاحاً هو انحراف أو تدمير النزاهة في أداء الوظائف العامة من خلال الرشوة والمحابة.

ويرى البنك الدولي أنّ الفساد هو استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص غير المشروع (ليس له أي مبرر قانوني).

ويرى صندوق النقد الدولي، أن الفساد هو علاقة الأيدي الطويلة المتعمدة التي تهدف لاستنتاج الفوائد من هذا السلوك، لشخص واحد أو لمجموعة ذات علاقة بالآخرين.

ومن هنا يصبح الفساد علاقة وسلوك اجتماعي، يسعى رموزه إلى انتهاك قواعد السلوك الاجتماعي فيما يمثل عند المجتمع المصلحة العامة، لهذا يصنف المختصون في قضايا الفساد أنواعه إلى واسع وضيق.

فالفساد الواسع ينمو من خلال الحصول على تسهيلات خدمية تنتزع على شكل معلومات، تراخيص، إعفاءات.

أما الفساد الضيق فهو قبض الرشوة، مقابل خدمة اعتيادية بسيطة؟، أي عندما يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز (رشوة) لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمناقصة عامة مثلاً.

كما يمكن للفساد أن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة من دون اللجوء إلى الرشوة وذلك بتعيين الأقارب ضمن منطق (المحسوبية والمنسوبية) أو سرقة أموال الدول مباشرة.

- أنواع الفساد:

هناك أنواع متعددة للفساد، فمنها الفساد المالي، والفساد الإداري، والفساد الأخلاقي، وأشدّها خطورة وتأثيراً الفساد السياسي.

١. فالفساد السياسي: يعرف بأنه إساءة استخدام السلطة العامة (الحكومية) لأهداف غير مشروعة وعادة ما تكون سرية لتحقيق مكاسب شخصية، وظواهر تقل أو تكثر حسب جدلية العلاقة بين السلطة والدولة، والتباس المفهوم عند غالبية الناس والوعي بهما- أي السلطة والدولة- إذ أنّ هناك فروق نظرية بين سلطة الدولة ودولة السلطة.

إذ أنّ سلطة الدولة من الناحية النظرية، تعني أن جميع أجهزة الحكم فيها، من مؤسسات، ودستور، وقوانين، وقيادة سياسية، كلها تعمل في منظومة متكاملة، تستهدف تحقيق غايات الوطن وطموحاته، التي تعلي من قيمة المواطن، ومشاعر حب الوطن، وتقوم على مبادئ فلسفية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية

واضحة، يشارك المواطن في صنعها والدفاع عنها من خلال نظام ديمقراطي تعددي، يؤكد مبدأ تداول السلطة واحترام الدستور.

أما دولة السلطة... فإنها من الناحية النظرية تعني، أن أجهزة الحكم فيها من مؤسسات، ودستور، وقوانين، وتشريعات، تعمل في منظومة واحدة لتحقيق مصالح السلطة الحاكمة، ويصبح الوطن وثرواته ومواطنيه ملكاً لها، وفي نظام دولة السلطة، تنعدم مظاهر الديمقراطية، ومشاركة المواطنين في صنع وإدارة مستقبلهم، وتتدنّى مشاعر حب الوطن ومبادئ وقيم العمل، من أجل المصلحة، ويعم الفساد أجهزة الدولة مشكلاً تحدياً خطيراً في وجه التنمية، ومقوضاً للعملية الديمقراطية والحكومة الجيدة، وذلك بتعويم المسار، وقد يقلل من المسائلة، ويشوه التمثيل النيابي في عملية صنع القرار السياسي، ويلقي بظلاله على السلطة القضائية حيث يعرض سيادة القانون للخطر.

وبمعنى أوسع ينخر الفساد في القدرة المؤسساتية للحكومة، لأنه يؤدي إلى إهمال إجراءاتها واستنزاف مصادرها، فبسببه تباع المناصب وتشتري، كما يؤدي إلى تقويض شرعية الحكومة، وبالتالي القيم الديمقراطية للمجتمع كالثقة والتسامح.

ويرى الباحثون أن الفساد السياسي يقوض التنمية الاقتصادية، لتسببه في حدوث تشوهات وحالات عجز ضخمة، ويؤدي انتشار الفساد في القطاع الخاص إلى زيادة كلفة العمل التجاري من خلال زيادة سعر المدفوعات غير

المشروعة، وكذلك لازدياد النفقات الإدارية الناجمة عن التفاوض مع المسؤولين، ومخاطر انتهاك الاتفاقيات أو الانكشاف.

ويقولون أن الفساد يشوه الملعب التجاري، إذ يحمي الشركات ذات المعارف في الحكومة من المنافسة، مما يعني بالنتيجة استمرار وجود شركات غير كفؤة.

علاوة على ذلك، يولد الفساد تشوهات اقتصادية في القطاع العام، عن طريق تحويل استثمار المال العام إلى مشروعات رأسمالية تكثر فيها الرشى، ويؤدي الفساد السياسي كما يرى الخبراء إلى خفض معدلات الالتزام بضوابط البناء والمحافظة على البيئة والضوابط الأخرى ويؤدي إلى تردي نوعية الخدمات الحكومية، وزيادة الضوابط الأخرى، وزيادة الضغوط على ميزانية الحكومة.

الظروف الملائمة للفساد: يرى الباحثون أن الظروف الملائمة للفساد هي:

١. البنى الحكومية المتناحرة.
٢. تركيز السلطة بيد صناع القرار وهم عملياً غير مسؤولين عن الشعب.
٣. غياب الديمقراطية أو عجزها.
٤. العجز المعلوماتي ويشمل:
 - انعدام الشفافية في الحكومية (حرية المعلومات) في صنع القرار.

• احتقار أو اهمال ممارسة حرية الكلام أو الصحافة.

• ضعف المساءلة له وانعدام الإدارة المالية الملائمة.

الفرص والمحفزات وتشمل:

١. عمليات استثمار كبيرة للأموال العامة.

٢. انخفاض رواتب الموظفين الحكوميين.

الظروف الاجتماعية وتشمل:

١. النخب الأنانية المنغلقة وشبكات المعارف.

٢. كون السكان أميين أو غير مهتمين، وعدم قابلية

الرأي العام على انتقاء الخيارات السياسية،

والتنافس البرامجي الحزبي.

العجز القانوني ويشمل:

١. ضعف سلطة القانون.

٢. ضعف المهن القانونية.

٣. عدم كمال العملية الانتخابية.

٤. حملات انتخابية مكلفة يتجاوز الانفاق فيها

المصادر الاعتيادية للتمويل السياسي.

٥. غياب الرقابة الكافية للحد من الرشى أو التبرع

للكمالات الانتخابية.

معايير قياس الفساد:

المنظمة العالمية للشفافية وهي منظمة رائده في مجال

مكافحة الفساد لها ثلاثة معايير لقياس الفساد هي:

١. مؤشر إدراك الفساد: ويقوم على آراء الخبراء حول أحوال البلدان الفاسدة.
٢. البارو متر العالمي للفساد: ويقوم على استطلاعات مواقف الرأي العام وخبراتهم مع الفساد.
٣. استطلاع رأي دافعي الرشى وهذا المؤشر يبحث في مدى استعداد الشركات لدفع الرشاي.

مكافحة الفساد:

يجب أن ندرك أننا وصلنا إلى مرحلة من الالتباس في المفاهيم، وتفسخ القيم، وتماهيةها، والتحلل الأخلاقي، وكاد مثل ذلك أن يتحول إلى ظاهرة ثقافية في أذهان الكثير، إلى درجة سماعك عبارات التائب واللوم في الوسط الاجتماعي، لأولئك الذين يناون بأنفسهم عن مستنقعات الرذيلة.

وقد أصبح الملتزم قيمياً وأخلاقياً، شاذاً، وعفيف اليد، أحمقاً، وأصبح المنصب غنيمة وفيدا، والتبس مفهوم الدولة والسلطة، وتداخل.. مما تسبب في ضياع قيم الانتماء الوطني، وأضعف مشاعر الولاء والحب للوطن، وضاعف كل ذلك من فقدان الهوية، وأدى إلى شلل الأمانة والمسئولية، فشاع الفساد، وتآصل كثقافة في أذهان المجموع.

هذه الثقافة تماهت مع طبيعة الإنسان العربي التي تميل إلى الفوضى واللاتنظام وهي طبيعة هدامة كما قال

عنها ابن خلدون في مقدمته ولا يمكنها الانتظام الا بعاطفة دينية.

لذا يتوجب في البدء تزكية الروح وإخراجها من درن الفوضى إلى عقد الانتظام، عن طريق أحياء القيم والمثل الدينية، الرامية إلى التهذيب والتزكية والتعليم ونشر العلم والثقافة عن طريق استثمار كل الوسائل والامكانات المتاحة، وأحياء دور المسرح والمنابر، وتجديد الخطاب بما يتواءم ومعطيات العصر، والاهتمام بالدراما والفنون وتوظيفها في إصلاح المسار الأخلاقي.

كما يتوجب تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدنية في مكافحة الفساد وبناء قدراتها في هذا المجال، إذ أن ثمة مؤشرات متنامية لبعض المنظمات غير الحكومية في رصد حالات الفساد والدفاع عن المجتمع ازاءها، قد بدأت تؤتي أكلها، من حيث فضح الممارسات الفاسدة، وتعبئة الرأي العام للضغط في سبيل وضع سياسات قوية لمكافحة الفساد.

ويبقى الوعي والتوعية القانونية ضرورة ملحة في حاضرنا ومثل ذلك مسئولية جماعية وعلينا العمل على استبدال (مشي حالك) بعبارة خذ حَقك وفق نص القانون، ولا بد ان تجاوز فتوى ابن تيمية التي تبرر الانهزام الأخلاقي أمام سطوة الواقع وجبروته.

المصالحة الوطنية

المصالحة الوطنية سؤال وطني أصبح ملحا في الزمن الذي نحن فيه فالذي حدث أظنه كان كافيا في إعادة الأمور إلى نصابها والتفكير بروح السلام والمحبة وبقيم الخير والحق والعدل والسلام لقد قالت لنا الأيام أن أحداث ٢٠١١م وتداعياتها لم تكن إلا نتيجة منطقية لمقدمتها التي بدأت في الفترة من ٩٠م - ٩٤م ووصلت ذروة انفعالها في نتائج الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٦م التي على أثرها تشكل الحراك الجنوبي ومن بعده تداعت مظلة اللجنة الوطنية للحوار الوطني والتي توافقت على مشروع سياسي نهضوي كان يحمل جوابا لسؤال الضرورة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ولم يكن إعراض النظام عن تلك الضرورات وعن قيم الحق والخير والعدل والسلام إلا ما شهدناه من انهيار النظام وإراقة الدماء التي سالت وتسيل على ربوع ووهاد وهضاب اليمن الى اليوم , ولم يكن النظام مسؤولا مسؤولية كاملة عما حدث بل يمكن القول أن الأطراف السياسية الأخرى كانت تتحمل المسؤولية وإن بنسب متفاوتة فالقضية الوطنية كانت في مقامها الأول قضية أخلاقية وقضية ثقافية ومن بعد كل ذلك هي قضية سياسية وقد مرت تلك القضية بفترات زمنية يمكن تحديدها كالتالي:

الفترة الأولى ٩٠م - ٩٤م والفترة الثانية ٩٤م - ٩٧م
والفترة الثالثة ٩٧م - ٢٠٠٦م والرابعة ٢٠٠٦م - ٢٠١١م
والخامسة من ٢٠١٢م الى ٢٠١٤م والسادسة منذ مارس
٢٠١٥م وما يزل أفقها الزمني مفتوحا , وكل فترة كانت لها
أسبابها التي تظهر فيها وحين التأمل نجد أن الجذر هو ذاته
ولم تكن التظاهرات إلا نتائج منطقية متنوعة لقضية جوهرية
ذات جذر موضوعي لا ينفصل عن المحدد الموضوعي
لمفردة "العدل" بكل معاني تلك المفردة من الخير والحق
والسلام ومن الإنسانية فالغبن الذي وجده قادة المعارضة في
الخارج وفي الداخل جعلهم في حالة من التوحش والانتقام
كما شهدنا تفاصيل ذلك في الرموز والاشارات التي بعثت بها
الأحداث في حضرموت وعدن ولحج وفي الضالع وفي تعز
وهي أحداث مؤلمة على غير توافق ولا تناغم مع الأبعاد
الثقافية لأبناء تلك المحافظات , ووصول الإنسان إلى تلك
الحالة المتوحشة كان نتاج حالة عدمية مفرطة يشعر بها ,
وقد تنتهي بمجرد تفاعل المعادل الموضوعي للحالة العدمية
وهو الوجود , فالشعور بالقيمة والمعنى وبالفاعلية يقلل من
النزعة الفطرية للإنسان وهي نزعة التوحش , وما لم يحدث
التوازن بين دوائر التطور التي يقول بها الفلاسفة وهي دائرة
العقل المجرد , ودائرة الدين , ودائرة الفن , فإن الحياة لن
تستقر وبالتالي لن يستقر الوطن وسيظل في حالة التيه ,
يدور في حلقة مفرغة.

ثمة متغيرات قد حدثت وعلى كل الأطراف أن تعي ذلك جيدا فلم يعد للفرد الواحد والحزب الواحد وللرؤية الواحدة مكان, ولا مكان للبطل الأسطورة , والبطل المنقذ في خارطة الاهتمامات , فالواحدية في معناها السياسي والاجتماعي أصبحت تاريخا ننظر إليه بقدر من التحقير والاستخفاف , والتكيف مع الحالة الجديدة القائمة على التعدد والقبول بالآخر والشراكة الوطنية أصبحت ضرورة ثقافية وسياسية واجتماعية , والوصول إلى اليمن الجديد الذي أصبح شعارا للمرحلة لا بد له من الوقوف على الماضي ومن ثم التطهر منه عن طريق النفي التاريخي حتى يمكننا القيام بعملية البناء الحضاري الجديد وقبل البناء الحضاري لابد من الوقوف على تفاصيل المشهد وحقائقه الموضوعية فالذي يتحرك في ديناميكيته هي الحرب والحرب نقيض لشعار السلام , وحين نقول الحرب فنحن نقيس التجليات التي تمظهرت تحت مناخ ٢٠١١م والتداعيات التابعة لها من خلال المحددات الموضوعية التالية:

المحدد الأول: الاستسلام والاعتراف بهزيمة الواقع والإذعان له والشعور بعدم القدرة على المقاومة لبعض الأطراف

السياسية ولتلك الأطراف تكتفي بحالة الانبهار والدهشة وتبحث عن الحلول.

والمحدد الثاني: لجوء بعض القوى إلى الحالة الانكفائية وإلى البنى التقليدية ومن خلالهما تنظم مقاومة مسلحة غير متكافئة وتلك القوى تنسحب من الزمن المعرفي المعاصر وتعود إلى الذاكرة في شكل احتجاج سلبي ومن خلال مرجعيتها تلك تحدد وعيها بالعالم وهي تتجاهل الفجوة الكبيرة بين الحاضر والماضي.

والمحدد الثالث: وهو التكيف – أي تكيف بعض القوى السياسية مع حقائق الهزيمة تكيفا إيجابيا فهي تتحاشى دائرة الاستسلام والانجرار إلى الانتحار وتحاول تنظيم مقاومة مدنية تستنهض عناصر القوة في الذات من أجل توظيفها في معركة تصحيح حالة الضعف التي تقود أو قادت إلى الهزيمة.

وأمام تلك الصورة المشهدية المهتزة والقلقة للمشهد السياسي الوطني والتي يختزلها القول بالشعور بالدونية والانكسار لبعض الأطراف، والخوف الدائم للبعض الآخر، والندية للبعض، فالطرف الذي يشعر بالندية نجده يتجاوز دوائر الذات المغلقة إلى دوائر الانفتاح على الآخر والتفاعل مع الظواهر والمستجدات فهو ممانع إيجابي وصل إلى قناعة ثابتة بعدم قدرته على إلغاء الآخر بل أصبح يعترف بوجوده

, وحتى نتجاوز تلك الحالات الشعورية والخالقة للصراع
لابد للقوى السياسية أن تجنح الى السلم والتصالح حتى
تتجاوز شعورها بالدونية والخوف لتصل الى الشعور بالندية
وتقطع دابر المشاريع الاقليمية التي تستهدف اليمن وأمنه
واستقراره , وبمثل حالة التوازن تلك نستطيع السيطرة على
حالة مقاليد المستقبل , وتعزيز قيم الاستقرار في المجتمع بدل
قيم الصراع الوجودي, ونعيد ترتيب موقعنا في خارطة
السياسية الاقليمية والدولية .

اليوم يشهد الجنوب صراعا بينا بين قوى متجانسة ومثل
ذلك ظاهرة تاريخية دالة على نسقها ومسارها ولن تكون
صنعاء بمنأى عنه إذ ثمة مؤشرات بدأت تفرض نفسها على
الواقع تدل على الماضي أو تشير اليه وهي طبيعة بشرية لا
يمكن الخلاص منها ألا بحالة التوازن النفسي والاجتماعي
والثقافي والاقتصادي مالم يحدث التوازن فالصراع سوف
يستمر وبالتالي يستمر تدفق أنهار الدم على تراب اليمن
وتتعلل حينها اشكال الحياة بكل ابعادها.

العقدة اليزنية في زمن العدوان

شاع في ثقافتنا الوطنية موضوع البطل الأسطوري الذي يحدث التوازن حين نهرب إليه بحثاً عن طموحات (الأنا العليا) في مقابل الشعور المنكسر بالهزائم من الواقع.. وقد كان سيف بن ذي يزن في مفردات الخطاب الثوري الذي قادته الحركات القومية والطلائعية في منتصف القرن الماضي بطلاً أسطورياً بل أصبح رمزا أسطورياً حاضراً في قوة الخطاب وفي مفردات الكلمة الشاعرة التي ترسم تموجات اللحظة وتنشد وهج الغد من بين ظلمات الماضي وضبابيته وهزائمه المتكررة في الذات وفي الآخر وفي الحضور وفي الغياب وفي الوعي الثقافي والإبداعي والاجتماعي.. بل وفي الوعي الوطني كافة.

وبمثل ذلك نكون قد حاولنا التأصيل لقيمة غير وطنية إذ ان سيف لا فضل له في أي تحرر وطني لكونه أخرج مستعمراً ووطن بدلاً عنه آخر وبذلك نرى انتفاء تلك الرمزية عن سيف.

ويبدو لنا من خلال السياق التاريخي لليمن أن تلك اليزنية كانت سبباً في تنافر النسيج الوطني وعدم انسجابه في

مسارات وسياقات التاريخ ونكاد نقرأ تلك العقدة في تحركات وأنشطة القوى السياسية التي صنعت واقعا مأزوما وصل إلى نفق مظلم يتعذر علينا الخروج منه إلا بمصاييح الآخر وقناديله.

إن قضيتنا ليست قضية استبدال حالة بحالة مماثلة لها ولكنها قضية انتقال ذلك أن الاستبدال يتطلب سقوط القائم وإقامة الآخر بدلا عنه أما الانتقال فهو عملية توافقية لا تتسم بالثبات بل بالحركة تحاول أن تلبي طموحات السواد الأعظم من الجماهير بمختلف الطوائف والمذاهب والمشارب التي تنتمي إليها وهو - أي الانتقال - بمثابة صعود تراتبي من مرتبة إلى أخرى تكون أفضل منها وأكثر استيعابا لمتطلبات المرحلة، ويبدو أن بعض القوى الوطنية التقليدية تعمل جاهدة على حالة الاستبدال الذي هو هدم القائم والوقوف عند ذات المرتبة والقيمة، نستبين ذلك من خلال حالة الصراع الذي تشهده الساحة الوطنية وهو صراع يمتد في العمق التاريخي وله عوامله النفسية والاجتماعية والسياسية وهدفه تثبيت القوة وإضعافها وخلق حالة واقعية من حالات الاستغراق في سياسة الأزمات ومبررات الصراع بين الأصوليات العقائدية.

يقول جارودي: "إن الأصوليات كل الأصوليات أكانت تقنوقراطية أم ستالينية مسيحية يهودية أم إسلامية تشكل اليوم

الخطر الأكبر على المستقبل فانتصاراتها في عصر لم يعد لنا فيه الخيار إلا بين "الدمار المتبادل والمضمون" والحوار يمكنها أن تحبس كل المجتمعات في مذاهب متعصبة منغلقة على نفسها وبالتالي متجهة نحو المصادمة."

ويقول البردوني:

"إن الأزمات في بلادنا بلغت حد التآله لانعدام المحاولات أمامها, وقدرتها على الاتساع والامتداد في فراغ من الإنسان وفكر الإنسان.

ويقول في مكان آخر:

عظماء الرجال يبذلون التضحية لوجه التضحية لا لوجه الوصولية وشراء الهتافات الجماهيرية والأنبياء عليهم السلام لاقوا أشد مالاقوا على أيدي الجماهير المغرر بها لكنهم كانوا يجهدون في خدمة هذه الجماهير ولو كابدوا عقوقها لأنها لم تكن تدري من يقودها إلى الهدى أو من يوجهها إلى الضلال.. لكن الجماهير تعرف بعد وقت طويل أو قصير من يستهدف نفعها ومن يبتغي نفع نفسه من توجيهها والتغريب بها.

ويقول البردوني أيضا:

"الشعب لم يعد ذلك القطيع الوديع بعد أن عرف أنه سيد الأرض ومصدر السلطة بل إن كل سلطة مدينة بوجودها للمواطن الذي أنكر سلطة سيئة وبحث عن سلطة أفضل لأن كل زعامة سياسية أو قيادة عسكرية لا بد أن تكون وليدة ظروف لكن هذه الظروف من خلق المواطنين العاديين لكثرتهم وحرارة تجاربهم مع محترفي السياسة

ومن هنا يتجلى الفرق العملي بين من يصنعون الفرص وبين من يستغلونها وبين من يفجرون الأحداث ومن يصعدون على دخانها فالذين ترفعهم أحداث تسقطهم أحداث والذين تخلفهم فرص تعدمهم فرص أخرى والوسيلة الوحيدة في بقاء أي زعامة هو النزول عند رأي الشعب مفجر الأحداث وصانع الفرص."

تلك الومضات للجارودي والبردوني جاءت من ثمار المراس وطول التأمل فحالة التبدل والانتقال والتغاير تفرض صيغة جديدة تتوافق معها ،فالوصول إلى السلام طريقة تبدأ من مدخلاته الأساسية وهي الحوار والوصول إلى الحوار لا يبدأ إلا من مدخلاته الأساسية وهي التعايش والقبول بالآخر واحترام خياراته وقناعاته ولا سبيل إلى الاستقرار إلا بصياغة عقد اجتماعي قائم على التوافق وتكفل مضامينه حق المواطنة والمشاركة وصناعة المستقبل وتضع الأسس والضوابط التي تمكن المجتمع من الانتقال والنهوض وتحـد

من مناخات الفساد وبيئاته وبحيث يكون تعبيراً عن ذات حضارية تتجذر في عمق التاريخ لا تعبيراً شكلياً وافداً من خارج ذلك النسق الثقافي لهذا المجتمع ،وفي ظني أن الاستغراق في الآخر والثوق به الى درجة اليقين المطلق دوران في متاهات العقدة "اليزنية " والعقدة اليزنية تيه لن يفضي إلا الى فراغ .

فالذين يبحثون عن الاستبدال من خلال التذكير بالقوة والوجود والفاعلية وبإمكانية الثأر والانتقام، ومن خلال إضعاف منظومة الحزام الأمني وتبديد القوة في جبهات قتالية شتى إنما يحاولون العبث بعينه، ولا يحملون مشروعاً نهضوياً، وغايتهم السلطة والثروة وقد نالوا منها في زمن العدوان مالم ينله غيرهم في زمن الاستقرار.

الانتقال من الصراع الى الاستقرار والبناء قضية وطنية صرفه وهي توافقية لن تأتي من الخارج ولكنها وليدة الحالة الوطنية وتجلياتها، ولا معنى للعمالة فيها لكون العمالة متاه يزني لابد لنا أن نجتاز عقباته النفسية والثقافية والسياسية وهي عقبات كأداء.

اليمن ينتظر منا أن نصنع ألقاً حضارياً لا نكوصاً واجتراراً لعشرات التاريخ المختلفة والمتعددة سواء في ماضيه أو حاضره.

عن الهوية الحضارية اليمنية

من المحامد حين يعمد الخواص من المثقفين الى تفكيك البنية الحضارية والتاريخية اليمنية ومكونها الثقافي المتنوع التي تتنازعه العوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية.

فالهوية الثقافية التاريخية تتكون من مكونين أساسيين هما: الهوية التوحيدية، والهوية الوثنية التي ترتبط بمظاهر الطبيعة. ولعل الملاحظ في مجمل ذلك أن امتداد الهوية الثقافية الوثنية التي ترتبط بمظاهر الطبيعة والنجوم والشمس والقمر انعكست في مفاهيم الناس كحقائق ترتبط بالعلاقة الجدلية بين الإنسان ومجمل تفاعلاته الحياتية فالذاكرة الشعبية ماتزال تحتفظ بساعات نزول الأمطار ومواعيد زراعة المحاصيل الزراعية وأثر حركة المؤثرات الكونية على السنبلة وعلى كمية الإنتاج وعلى الشجرة التي تتداخل معه في العمران وقد ترك الإنسان التاريخي نصا هو الأقرب إلى الأناشيد المعبدية في الحضارات الأخرى ولكنه ظل نصا شفويا متداولاً تضيف وتحذف منه الذاكرة وتصحفه إلى أن وصل إلى مرحلة التلاشي والاضمحلال في زمننا دون أن تمتد إليه يد العناية والتوثيق ودون أن نستشعر مسؤوليتنا التاريخية والحضارية والانثروبولوجية نحوه وفي مقابل الهوية الثقافية الوثنية كانت هناك هويات توحيدية متعددة

كالزبورية والتوراتية والإنجيلية.. والمتأمل قد يلحظ أن الثقافة الزبورية - من حيث تداخل الظواهر الطبيعية كالريح وأثر النجوم والغيبات والسحر - كانت متناغمة مع الثقافة الوثنية التي ترى في الشمس والقمر والنجوم كقوى مؤثرة يمكن الاستسلام لها وعبادتها كما أن هذه الثقافة - أعني الزبورية - كانت قائمة على قيم الإنتاج والصناعة وبفضلها تحولت اليمن التاريخية إلى مركز إنتاجي وصناعي تقصده القوافل.. وقد دل النص القرآني على مثل تلك المركزية في حديثه عن رحلة قريش الشتائية والصيفية.

ومع بداية الأفول الحضاري واشتداد الصراع بين الأكسومية والحميرية "النصرانية / واليهودية" بعد حادثة الأخدود وغلبة الأكسوم على حكم اليمن ظلت الثقافة الزبورية والتوراتية هي الأكثر تأثيراً في النسق الحضاري والاجتماعي فالنصرانية "الإنجيلية" رغم تحكمها في المفاصل العامة للدولة التاريخية اليمنية إلا أنها لم تترك لها أثراً سوى القليل وظلت البنية الثقافية الحميرية المتناغمة مع الزبورية والتوراتية هي الحامل الطبيعي للثقافة التاريخية والأبعاد الحضارية اليمنية إلى هذا الزمن الذي نعيشه فالصناعات الحرفية والحياسة وفن العمارة وفن الغناء وجل المظاهر الحضارية اليمنية التي تركتها الدولة التاريخية الحضارية اليمنية القديمة والممتدة عبر العصور والحقب المختلفة إلى منتصف القرن الماضي كل تلك المظاهر نجدها في الغالب

ممهورة بالنجمة السليمانية وقد نجدها حتى في المساجد الأثرية والتاريخية ذلك أن الهوية الحميرية تنافست مع الثقافة الإنتاجية والصناعية وظلت الحرفية والمهنية والصناعية الإنتاجية ممتدة فيهم حتى منتصف القرن الماضي.

فالهوية الدينية اليمنية الحميرية - كما يرى ذلك بعض المفكرين - تتكون من قسمين عربي وعبري، فالعربية تمتد في " اليزينة " و" العبرية" تأخذ مسار النواسية كخيار وحيد..، دلالة على أن هذين الاتجاهين الثقافيين أخذوا مسارين تاريخيين متوازيين بعد خروج الإنجيلية الأكسومية من المعادلة الوطنية ولم يلتقيا عند نقطة، إذ ظلت العبرية النواسية ذات القيم الإنتاجية والصناعية «الوعي الإنتاجي الصناعي» على نواصيتها وعبريتها وذهبت الهوية اليزينية إلى الوعي العربي الصحراوي «وعي الغنيمة».

وثمة إشارات في المراجع التاريخية وكتب السير تقول بذهاب وفد من قريش برئاسة عبدالمطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن بانتصاره على الأكسوم وعند هذه النقطة - أي نقطة الاتصال بالثقافة البدوية الصحراوية - توقفت حركة التاريخ الحضاري اليمني وبدأت مرحلة حضارية جديدة خاصة بعد مقتل الملك سيف بن ذي يزن وغلبة الفرس على حكم اليمن،

وقد تنازعت مركزية هذه المرحلة قریش والفرس بدءاً من البعثة , بالإقرار ثم التحالف , أي إقرار الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن بالدين الجديد «الإسلام» , والتحالف مع الدولة المركزية على قمع الحركات المناوئة , بدءاً من حركة الأسود العنسي وانتهاء بحركة الهيصم بن عبدالرحيم الحميري في مسور حجة , لتبدأ بعد ذلك حالة من حالات التضاد والافتراق بين المركزيتين الحجازية والفارسية وظل التنزع مستمراً إلى هذه اللحظة في ظل غياب كلي للهوية الحضارية التاريخية والذات اليمنية الممتلئة بقيم الخير والحق والعدل وبروح البناء والعمران.

وفي تجليات المرحلة الأولى للإسلام التي تنتهي مع بدايات الدولة العباسية كانت اليزنية العربية قد تأثرت بالثقافة الجديدة القائمة على مبدأ الغنيمة والسبي , ولم تكن تلك الثقافة وافدة عليهم ولكنها كانت ذات عمق تاريخي يعود الى سبأ ابن يشجب وقد ساعدت عليها عوامل عدة عوامل منها احتقار العرقية الحجازية للصناعات والقيم الانتاجية الحرفية , إذ تردد قولهم وهل فيهم إلا حائك برد , أو سائس قرد الخ , ونشأت عقدة القيسية واليمينية , وفي هذه المرحلة بلغت السيوف والرماح اليمنية أصقاع الارض في حروب الفتح الاسلامي , ومع بداية الدولة العباسية بدأت الهويات التاريخية تستيقظ بدءاً من تمرد على ابن الفضل على الداعي المهدي بالبحرين وخروجه عن الدعوة , وليس انتهاء

بحركات التملل في كل حقبة التاريخ , فالقضية أصبحت
اشكالية تاريخية ذات جذر وعمق .

وبالوقوف عند عبارة الاشكالية التاريخية نرى أنه من
الضرورة بمكان قراءة التاريخ بمنهجية جدلية وبرؤية
تفكيكية قادرة على بعث الروح في الذات المنهزمة فينا، كي
تستعيد وعيها بمقوماتها التاريخية والحضارية، وبحيث
تتمكن من تسجيل حضورها في العصر الحديث، بوعي أكثر
تطلعا وأكثر تقدما وأكثر انتاجا، بعيدا عن روح الغنمة
والصحراء.

فالبناء الجديد قد يتطلب هدمًا في أحياء كثيرة حتى يكون
البناء الجديد أكثر قوة وأكثر متانة في مقاومة عوامل الطبيعة
وتطورات المراحل التاريخية.

محاولات لشرذمة الكيان الوطني

تجري اليوم محاولات حثيثة لشق الصف الوطني عن طريق الحرب الناعمة التي تجد في التحليل مجالا لدس السم بين الدسم, أو من خلال فرض حالات غير واقعية في السلوكيات والتفاعلات اليومية, أو من خلال ترتيب نسق شللي يحاول أن يمارس أعمالا غير منسجمة مع المبادئ والقيم السماوية, أو إحداث الفرز الطائفي حتى تنفر الطبيعة السليمة وتنقسم النفوس ويحدث التشطي, أو زراعة الأوهام في الازدهان وبالتالي القيام بحركة تضيق لحريات المجتمع حتى يشعر بحالة الغليان وبالتالي الانفجار العظيم الذي سوف يحدث لا محالة إذا استمر الحال على ما هو عليه دون بصيرة ومعالجات .

اليوم تنتشر على شبكة التواصل الاجتماعي رؤى وتحليلات تجد مصداقا لها في الواقع سواء كان عفويا أو تصرفا فرديا من جماعة منسجمة تعمل على أجندات واستراتيجيات ومثل تلك الحوادث العرضية تحتاج الى يقظة وتفاعل يومي يقوم بتصحيح الموقف والمسار لأن الموضوع يكون ملتبسا ومظنة ريبة وشك, فالتوايا لا يمكن القياس عليها, ولذلك لم يحدد الرسول عليه الصلاة والسلام موقفا من المنافقين خوف أن يقع في الظلم أو في منزلة من منزلة, بل ترك الامر

لليقظة في التفاعل وكانت السماء حاضرة في بيان الموقف في القضايا التي يصعب بيانها، أما اليوم فالأمر يختلف اختلافا كبيرا من حيث الفارق الحضاري والثقافي ولذلك فالقول باليقظة لتصحيح المسارات وبيان الموقف من جل الحركات والتفاعلات والحد من الظواهر التي تنشأ سواء كانت بحسن من ظاهر النوايا او بسوء منها فالأمر سيان.

لا يكفي أن نكون غير راضين عن بعض التصرفات أو جها لکن المسارعة في بيان الموقف منها هو الفيصل في الحد منها أو التغلب على مقاصدها التي لا تضر خيرا، وإن كان ظاهر أمرها خلاف باطنه فالأثر والنتائج هو القياس وندع النوايا فحسابها على الله، لأننا لابد من أن نحسن الظن حتى نجد يقينا واضحا يقيم الحجة ولا يدع المرتاب إلا على قلق المضطرب واحساس المذنب في حق الله والمسلمين.

طبيعة التموج السياسي أنه يحاول أن يزرع المعوقات في الطرق والمنعطفات ولذلك فالهزائم التي لحقت بالتحالف يتحمل وزرها في الاطار الوطني حزب الاصلاح وهو في السياق نفسه يشعر بذلها وبمرارتها ولذلك يرى أن انتصاره يكمن في تفعيل كوادر شوقي القاضي – اقصد كوادر التنمية البشرية إذ أنهم مؤهلون في السيطرة على الموجهات وتحديد المسارات – وقد بدأوا في الانتشار في شبكات التواصل الاجتماعي تحت مظلات مقالات الرأي وكتابة التحليلات

وزرع المخاوف وإثارة سؤال المستقبل , وهم يضمرون من الأمر ما لا يظهرون ويجدون في نسيج الواقع الاجتماعي من يتعامل مع أسألتهم بقدر من المسؤولية والقلق من الآخر ومثل ذلك قد بدأت سماته تظهر في الكثير من التفاعلات التي لن تفضي في قابل الايام إلا الى التباين وشق الصف وهو ما لا نحمده وستكون البداية للانكسارات المتوالية التي يحسن حزب الاصلاح صناعتها ويعجز كل العجز عن البناء , فهو وفق طبيعته التاريخية لا يعيش إلا في البيئات الوطنية غير المستقرة التي يحسن النمو والتعامل مع طحالبها وقد دل تاريخه على ذلك ولعل نظرة الى عقد الستينات توحى بهذا التوجه فهو ضد الثورة ومعها في الآن نفسه حتى يحدث حالة القلق والاضطراب ويتمكن من النمو , وقد اعترف بمثل ذلك قيادي بارز فيهم وهو عضو مجلس النواب محمد العديني في فيديو متناقل عبر وسائل التواصل الاجتماعي وهو اليوم ضد التحالف ومعه بنفس السياسة القديمة / الجديدة , فيوما ضد الامارات وحيناً ضد السعودية وتصريحات متناقضة بين قاداته لا هدف لها إلا بقاء الحال قلقلًا ومضطرباً حتى يتغلب على خصومه الذين ينازعونه السيطرة على الفار هادي , ومقاليد الامور في تعز ومارب والجوف وشبوة وحضرموت وفي عدن التي خرج منها مذموماً مدحوراً .

لا يمكن للإصلاح كحزب سياسي - يشكل امتداداً لحركة الاخوان المسلمين - أن يتناغم مع حركة المجتمع اليمني ولا

مع امتداده الحضاري والثقافي والتاريخي فالتباين والتضاد أصبح واضحا وجليا ولذلك فشل في مارب وفشل في عدن وفشل في تعز فشلا ذريعا وهي بيانات قد يجد فيها حواضن ذات تناغم وانسجام مع فكره وعقائده، فكيف به إذا خاض تجاربه وحيدا في صنعاء وذمار وحجه وصعده وغيرها من المناطق التي لا تنسجم ولا تتناغم معه وهي محسوبة على العقيدة الزيدية؟ لا أظن الامر سيكون محققا لأهدافه ولذلك فهو يعي تلك الحقائق فيعمل على الاضطرابات الامنية وتشكيل عصابات في الطرقات لتعطيل الخدمات , ويقوم بالاغتيالات والتفجيرات وصناعة الاحزمة الناسفة من أجل إرهاب خصومه واخضاع المجتمع , فقد فعل ذلك في زمن حكم صالح وفعله في زمن حكم المبادرة الخليجية الى ثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م ونفذ نفس السيناريو بعد سيطرته على مارب وتعز وعدن وتحدث اعلامه عن حركة "الموتر سيكل" التي كانت تمارس حركة اغتيالات في صنعاء وانتقلت الى مارب بذات الآلية بعد أن تمكن من السيطرة عليها ومثل ذلك لم يعد خافيا على المتابع الحصيف .

اليوم يقوم الاصلاح بتفكيك النسيج الاجتماعي عن طريق كوارر التنمية البشرية التي يقودها شوقي القاضي في الاطار الجغرافي الذي تسيطر عليه سلطة المجلس السياسي حتى يعيد انتاج نفسه في المعادلة الوطنية، بعد أن وجد نفسه يتكبد الهزائم العسكرية والسياسية والثقافية والاعلامية.

يمنية اليمن وعزّة الفقر

يبدو أن تدفق الأموال يرتبط بالنوايا المبيتة نحو اليمن وهي حالة تاريخية مازالت تتوالى منذ ذلك الأمد البعيد الضارب بملامحه في عمق التاريخ وحتى اليوم، فالأموال التي تتدفق الى اليمن لا تكون مقرونة أو مصحوبة برغبة الاستقرار بل برغبة زعزعة الاحوال واضطراب السهول والجبال، فالقضية مع مال المترفين قضية شائكة لم تكن بذات الابعاد التي وصلت اليها في الزمن المعاصر، اذ أنها اتسعت اتساعاً مفرطاً مع اتساع دائرة الفقر في البعدين الرأسي والأفقي.

لم تعد اليمن ذات قيمة وجدانية وثقافية في تصورات الناس ولا تشكل عنصراً فاعلاً وقوياً في بيئة الانتماء والهوية الوطنية والحضارية والتاريخية فقد رأينا خلال الأحداث التي عصفت بنا منذ ٢٠١١م وحتى هذه اللحظة التي نعيش فيها كيف تعامل ابناء اليمن مع اليمن فهو لم يتجاوز القيمة العددية.. ثمن بخس دراهم معدودات ومثل ذلك أمر دال على حالة نكوص وجدانية وحالة شلل وتعطيل في البنية الوطنية وفي نسيج الهوية والانتماء، وهو نتاج عقود من الاستهداف والتدمير بأموال المترفين التي كانت وماتزال تتحرك في الجغرافيا اليمنية منطلقة من بعد ثقافي والتزام اخلاقي تجاه

مقولة أو أثر أو وصية قيل إنها انطلقت من لسان أحدهم في لحظة تاريخية فارقة تحسباً أو توقعاً أو استسلاماً لحسابات فلكية، بيد أن مثل ذلك لن يطول به الأمد، فسنن الكون تقول إن المترف الذي تأخذه الأمانى الى أبعد مدى تكون عاقبته هي العظة التي تعظ الغافلين حتى يعودوا الى رشدهم، وهي الآية التي تعيد التوازن الى حركة المجتمع وحركة الحياة، فالله وصف نفسه بالعدل ومن العدل أن يعيد التوازن الى حركة الحياة ولو مدَّ أهل الترف زمناً في طغيانهم يعمهون، فالقضية هنا قضية جوهرية وهي ثابتة في صميم التجربة البشرية من حيث التماذي في الطغيان ومن حيث معالجة الانحراف بالعودة الى التوازن الذي يريده الله تحقيقاً لخاصية العدل والمساواة، والعبرة لمن يتعظ، ولا أرى إلا أن مقادير الله كائنة في الزمن الذي نعيش حتى تتساوى موازينه، وثمة رموز وإشارات يتحدث عنها الواقع تومئ الى قادم جديد، والى حالة أجد لا يكون الغرور حاضراً فيها بقدر الحضور الأمثل لإرادة الله في العدل وفي المساواة وفي الحياة الآمنة والمستقرة.

لقد آن لتلك الذات المغتربة عن بعدها الحضاري والثقافي أن تستعيد وعيها بذاتها ولا أرى ما يحدث اليوم إلا تباشيراً دالة على يقظة تاريخية ويقظة حضارية، ولا أرى أولئك الذين ينالون من اليمن في القنوات الفضائية في مقابل دراهم معدودات إلا امتداداً لما يماثله في التاريخ بدءاً من أبي رغال

ولن يكون انتهاءً بهم، فالزمن ما يزال يحمل لنا الكثير من العجائب والغرائب، كما أن حالة التضليل والفراغ والنكوص التي بدت عند رموز سياسية بعينها كان لها ما يماثلها أيضاً.. فالذين ناشدوا المجتمع الاقليمي والدولي بالتدخل العسكري في اليمن وهم ينتمون الى مشاريع قومية أو تحررية أو مشاريع تطلعيه لم يكونوا إلاّ تعبيراً عن حالة «فراغ» لا يجد امتلاءً إلاّ بتكامله مع الآخر المغاير وهو في السياق ذاته لا يجد نفسه متكيفاً مع شروط واقعه ولا مع الأبعاد الحضارية والثقافية أو التاريخية ذات المساق الوطني.

لقد كشفت الأحداث الغطاء عن كثير من رموز المزايدات في الوطن وقالت الأحداث إن الذين يتحدثون عن مصالح الوطن لم يتجاوز المفهوم في نظرهم مصالحهم الذاتية المستغرقة في ذاتيتها، وحين سالت دماء الأبرياء على تراب هذا الوطن لم تنبت إلاّ الاشجار التي تثمر في مخازنهم وبيوتهم وفي منازلهم الفارحة على شواطئ الثلج، ولم يجد اليمن من كل شعاراتهم إلاّ لحظة الألم أو الموت أو الفاجعة.

فاليساري الذي يقول بالعدالة الاجتماعية أصبح جزءاً من حركة الانكسار في المجتمع، واليميني الذي يقول بالمصلحة المرسله، وبالقضاء على الفقر، حصر المصلحة في ذاته وقضى على الفقر في جماعته دون سائر الناس، والقومي الذي يقول بالتححرر أصبح يدعو القوى الاستعمارية بالعودة

والتدخل وبسط الهيمنة، وكل ذلك يجري تحت ثنائية قديمة جديدة وهي الفقر / اليمينية، فالصراع بين اليمينية وذل الفقر صراع قديم ولن يقف عند حد طالما واستمرت حركة الحياة.

وما يجري تحت سماء الأحداث اليوم لا يخرج عن ثنائية اليمينية وذلك الفقر وفي ظني أن عزة الفقر في يمنية اليمن ستنتصر.

فاليمن يحضر بقوة في الذات ومهما تطاول المتطاول، فالمتطاول في نكوص واليمن في علو مستمر، وقد رأينا زهو أعراب صحراء الخليج وهو ينتفخون فخرا في السنين الخوالي عند معالم مارب وعند سدها التاريخي، كيف تلاشى ذلك الشعور حتى أصبح رذاذا لا تكاد تراه العين؟، ورأينا حركة الافواه على شبكات التواصل الاجتماعي وعلى القنوات الفضائية وهي تلوك الحروف وتمضغها حتى كادت أوداجهم تنفجر ولكن العواقب للمتقين، فلا تكاد ترى لهم اليوم من أثر ولا نكاد نسمع لهم ركزا.

اليمن ذات عمق تاريخي وهي تنتصر لنفسها حتى وإن بدا الواقع كما بدا عليه في بداية العدوان عام ٢٠١٥م إلا أن المقومات الحضارية والثقافية تشكل نسقا دفاعيا ما يبرح يتشكل حتى يصبح الحال كما هو عليه اليوم في عام ٢٠٢٠م من حيث القوة والمنعة، ومن حيث تبدل المعادلة العسكرية لتصبح اليمن كما عهدها تاريخها.

ولعل من أغرب ما تركته الاحداث هو خروج ثلة من الادعياء ينفون حضارة اليمن ويدعونها في حالة هي التعبير الامثل عن الهزيمة النفسية والحضارية والثقافية فضلا عن الهزيمة العسكرية في شتى الجبهات التي يتكبدتها العدوان رغم التفوق في العدة والعتاد وفي المال ورغم الحصار والفقر الذي نحن عليه في اليمن إلا أن فقرنا يشد من عضده الثراء الحضاري والثقافي والتاريخي، وثراء السعودية يفت في عضد فقرهم الثقافي والتاريخي والحضاري ولذلك لاندوا بالتاريخ نفيا وانتقاصا تعويضا عن نكوص نفسي يجدونه في واقعهم.

لقد انتصرت عزة أهل اليمن وانتصرت اليمن فبعدا لقرن الشيطان وأزلامه.

الفصل السادس

إشراقات

عن التحديث.. الثابت والمتغير

- الثابت الذي لا جدال فيه هو أن القرآن كان معجزة الرسالة الخاتمة وطالما وقد حمل صفة الإعجاز فلا بد له أن يحمل صفة الاستمرار والتجدد مع كل الأزمنة والأعصر والأمكنة والحضارات.
 - ونكاد نجمع في جل أحاديثنا.. أن القرآن لا يمل قارئه من تكراره، كما يحدث معنا في غيره لذلك فهو يحمل صفة التجدد في ذاته وموضوعه بما يحفظ معجزته عبر الأزمنة.
 - ونحن نلاحظ في حياتنا المعاصرة الآن أن الاكتشافات العلمية التي وصل إليها العقل العلمي لا تتعارض مع القرآن بل نكاد نكتشفها في آياته، وهذا دليل حيويته وفاعليته ومعجزته الخالدة.
 - إذن دعونا نتحدث عن الثابت والمتغير في حياتنا الثقافية الآن ومن خلال منطق القرآن نفسه.
- فالثابت: لا يكون بكماله إلا في الذات الإلهية
- (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)
- (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)
- وما دون ذلك فهو في منظور المتغير بدليل قوله تعالى (كل يوم هو في شأن).

فالطبيعة والإنسان كلاهما يقعان في التغيير بحيث قد يحدث ذلك التغيير بين السنن والثوابت فيكون تغييراً منضبطاً قائماً على الحركة ذات القوانين الدائمة، فالعلة المباشرة هي السنة التي لا تتغير ظاهراً وأما المعلولات المباشرة وغير المباشرة فهي من ضمن السنن المنظمة للخلق وقد اقتضتها إرادة الله.

- فالقرآن يطلعنا على نوعين من السنن والقوانين التي تحكم الكون والعالم من جهة، وإنسان هذا العالم افراداً ومجتمعات من جهة أخرى.

فالقوانين الأولى والطبيعية حتمية ولا تتبدل:

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

والسنن والقوانين الأخرى شرطية -إذا صح التعبير- أي أن حدوث المسببات معلق على حدوث الأسباب.

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهم أجر غير ممنون).

فالقوانين الأولى فيزيائية أو دائرية لا يداخلها الخل، وتترتب عليها آثارها تلقائياً، أما السنن الإنسانية والاجتماعية فعادية لاتصالها بالإنسان الذي تتجاذبه عدة قوى رأسها الإدراك الواعي والعقل المدبر، وأطرافها الأخرى العواطف

والنزاعات والغرائز وقد ذكرها القرآن تحت مصطلح النفس والروح وما أتصل بهما من إمكانيات ودوافع.

- جاء في القرآن الكريم (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

فقد خلق الله الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وزوده بالعقل الذي تصقله التجارب، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين، فأجتمع للإنسان مرجعتان للتدبر والتصرف.

المرجع الفطري تقوده الدوافع وتعقلها:

والمرجع الإلهي الذي يطمئن ويهدي بالإيمان، وبارادة الخير والتسديد والتغيير لا يكون الا بالاستناد إلى الوعي والإرادة، الوعي باكتشاف المقتضيات بمقتضى الاستخلاف هداية وعمراناً ونظراً للدارين فالآية القرآنية (كل يوم هو في شأن) تشير أن التغيير سنة كونية دائمة ومستمرة في حياة المجتمعات الإنسانية وهو في أوله يحقق ارتباط الأسباب بالمسببات.

وقد رأي بعض العلماء أن الناسخ والمنسوخ في القرآن يحمل دلالة تغير الأحكام طبقاً لمتغيرات الزمان، وقالوا طالما كان الواقع متغيراً فالفكر يتغير بتغيره، وقالوا أن الأحكام مرتبطة بالمكان والزمان أي بالمتغيرات ولا يضير ذلك الثابت في شيء.

واستدلوا بما فعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين ألغى نصيب المؤلفة قلوبهم - وهو نص - كون ظروف المسلمين تغيرت من الضعف إلى القوة ويمكن أن يقال مثل ذلك في نصوص الجزية على غير المسلمين بعد أن ظهر مفهوم الوطن والمواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات.

وقالوا أن الثابت هو مقاصد الشريعة وتختصر في الضرورات الخمس وهي:

- الحياة (النفس)
 - العقل (العلم)
 - والدين (المعيار الثابت)
 - والعرض (الكرامة الفردية والجماعية)
 - والمال (الثروة الوطنية)
- والمتغيرات هي الحاجات والتحسينات طبقاً لظروف كل عصر.

لذلك فعلم القرآن القديمة يمكن أن تأخذ دلالات جديدة، فأسباب النزول مثلاً لا تعني فقط التنجيم بل يمكن أن تعني أولوية الفكر على الوقائع والسؤال على الجواب.

وعلم التفسير لا أظنها من الثوابت بل من المتغيرات فالتفسيرات التاريخية أو اللغوية أو الفقهية أو الكلامية أو الفلسفية أو الصوفية ليست تفسيرات مقدسة بل هي اختيار واجتهاد أهل الاختصاص في هذه العلوم واهتمامهم بها.

ويمكن تفسير القرآن وفقاً للعلوم الإنسانية الحديثة، علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد أو الأخلاق والتربية كما

يمكن تفسير القرآن في نسق واحد من أجل إبراز النظريات الإسلامية في العلوم الحديثة طبقاً لما جرت الدراسات الفلسفية المعاصرة عليه.

وحتى نجتاز عقبة التقليد، وشيوع النقل، وتعطيل العقل، والاتجاه نحو الماضي لا بد من تفعيل العقل الصالح المتغير وفقاً لضوابط أصولية جديدة تأخذ باختيار المالكية للمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب والاستصلاح وكل أشكال الاستدلال الحي، قواعد قد تكون إلى حد ما متوافقة مع معطيات العصر وخاصة إذا ما استوعبنا التراث الفكري وأخذنا من كل اتجاه ما يتوافق معنا وأضفنا إليه.

فالحياة الآن تغيرت من المصالح الفردية إلى المصالح العامة دفاعاً عن أراضى الأمة وثرواتها ووحدتها وهويتها وتنميتها ، وتحقيقاً لمبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية ، وهذا يتطلب مالكية جديدة ، وتغيرت مناهج الاستدلال من القياس الأرسطي القديم إلى قياسات وجدانية أخرى وهذا يتطلب حنفية جديدة ، وتحولت الوسطية إلى أيديولوجية نظم الحكم ، بعد اتهام المعارضة أياً كان توجهها بالعنف مما يتطلب شافعية جديدة ، وأصبح النص الخام عبئاً على الحياة الاجتماعية والسياسية ووقع في الحرفية والشكلية والصورية عند الجماعات السلفية مما يتطلب حنبلية جديدة مدركة وواعية للحظتها الحضارية الجديدة والمتغيرة عن الماضي .

خلاصة القول أن القرآن معجزة كل العصور والأزمنة ولا بد من قراءته وفق مفردات كل عصر وكل زمان فهو قادر

على تفسير كل الظواهر من حولنا كونه يحمل صفة الإعجاز
في ذاته.

وما أشد حاجتنا إلى التغيير والتجديد حتى ننفذ غبار
الأزمة ونعيش زمننا الذي نحن فيه.

عن الهوية الحضارية اليمنية

من المحامد حين يعمد الخواص من المثقفين الى تفكيك البنية الحضارية والتاريخية اليمنية ومكونها الثقافي المتنوع التي تتنازعه العوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية.

فالهوية الثقافية التاريخية تتكون من مكونين أساسيين هما: الهوية التوحيدية، والهوية الوثنية التي ترتبط بمظاهر الطبيعة. ولعل الملاحظ في مجمل ذلك أن امتداد الهوية الثقافية الوثنية التي ترتبط بمظاهر الطبيعة والنجوم والشمس والقمر انعكست في مفاهيم الناس كحقائق ترتبط بالعلاقة الجدلية بين الإنسان ومجمل تفاعلاته الحياتية فالذاكرة الشعبية ماتزال تحتفظ بساعات نزول الأمطار ومواعيد زراعة المحاصيل الزراعية وأثر حركة المؤثرات الكونية على السنبلة وعلى كمية الإنتاج وعلى الشجرة التي تتداخل معه في العمران وقد ترك الإنسان التاريخي نصا هو الأقرب إلى الأناشيد المعبدية في الحضارات الأخرى ولكنه ظل نصا شفويا متداولاً تضيف وتحذف منه الذاكرة وتصحفه إلى أن وصل إلى مرحلة التلاشي والاضمحلال في زمننا دون أن تمتد إليه يد العناية والتوثيق ودون أن نستشعر مسؤوليتنا التاريخية والحضارية والانثروبولوجية نحوه وفي مقابل

الهوية الثقافية الوثنية كانت هناك هويات توحيدية متعددة كالزبورية والتوراتية والإنجيلية.. والمتأمل قد يلحظ أن الثقافة الزبورية - من حيث تداخل الظواهر الطبيعية كالريح وأثر النجوم والغيبيات والسحر - كانت متناغمة مع الثقافة الوثنية التي ترى في الشمس والقمر والنجوم كقوى مؤثرة يمكن الاستسلام لها وعبادتها كما أن هذه الثقافة - أعني الزبورية - كانت قائمة على قيم الإنتاج والصناعة وبفضلها تحولت اليمن التاريخية إلى مركز إنتاجي وصناعي تقصده القوافل.. وقد دل النص القرآني على مثل تلك المركزية في حديثه عن رحلة قريش الشتائية والصيفية.

ومع بداية الأفول الحضاري واشتداد الصراع بين الأكسومية والحميرية "النصرانية / واليهودية" بعد حادثة الأخدود وغلبة الأكسوم على حكم اليمن ظلت الثقافة الزبورية والتوراتية هي الأكثر تأثيراً في النسق الحضاري والاجتماعي فالنصرانية "الإنجيلية" رغم تحكمها في المفاصل العامة للدولة التاريخية اليمنية إلا أنها لم تترك لها أثراً سوى القليل وظلت البنية الثقافية الحميرية المتناغمة مع الزبورية والتوراتية هي الحامل الطبيعي للثقافة التاريخية والأبعاد الحضارية اليمنية إلى هذا الزمن الذي نعيشه فالصناعات الحرفية والحياسة وفن العمارة وفن الغناء وجل المظاهر الحضارية اليمنية التي تركتها الدولة التاريخية الحضارية اليمنية القديمة والممتدة عبر العصور والحقب المختلفة إلى

منتصف القرن الماضي كل تلك المظاهر نجدها في الغالب ممهورة بالنجمة السليمانية وقد نجدها حتى في المساجد الأثرية والتاريخية ذلك أن الهوية الحميرية تناغمت مع الثقافة الإنتاجية والصناعية وظلت الحرفية والمهنية والصناعية الإنتاجية ممتدة فيهم حتى منتصف القرن الماضي.

فالهوية الدينية اليمنية الحميرية - كما يرى ذلك بعض المفكرين - تتكون من قسمين عربي وعبري، فالعربية تمتد في " اليزينة " و" العبرية" تأخذ مسار النواسية كخيار وحيد..، دلالة على أن هذين الاتجاهين الثقافيين أخذوا مسارين تاريخيين متوازيين بعد خروج الإنجيلية الأكسومية من المعادلة الوطنية ولم يلتقيا عند نقطة، إذ ظلت العبرية النواسية ذات القيم الإنتاجية والصناعية «الوعي الإنتاجي الصناعي» على نواصيتها وعبريتها وذهبت الهوية اليزينية إلى الوعي العربي الصحراوي «وعي الغنيمة».

وثمة إشارات في المراجع التاريخية وكتب السير تقول بذهاب وفد من قريش برئاسة عبدالمطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن بانتصاره على الأكسوم وعند هذه النقطة - أي نقطة الاتصال بالثقافة البدوية الصحراوية - توقفت حركة التاريخ الحضاري اليمني وبدأت مرحلة حضارية جديدة خاصة بعد

مقتل الملك سيف بن ذي يزن وغلبة الفرس على حكم اليمن, وقد تنازعت مركزية هذه المرحلة قریش والفرس بدءا من البعثة , بالإقرار ثم التحالف , أي إقرار الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن بالدين الجديد «الإسلام» , والتحالف مع الدولة المركزية على قمع الحركات المناوئة , بدءا من حركة الأسود العنسي وانتهاء بحركة الهيصم بن عبدالرحيم الحميري في مسور حجة , لتبدأ بعد ذلك حالة من حالات التضاد والافتراق بين المركزيتين الحجازية والفارسية وظل التنزع مستمرا إلى هذه اللحظة في ظل غياب كلي للهوية الحضارية التاريخية والذات اليمنية الممتلئة بقيم الخير والحق والعدل وبروح البناء والعمران.

وفي تجليات المرحلة الأولى للإسلام التي تنتهي مع بدايات الدولة العباسية كانت اليزنية العربية قد تأثرت بالثقافة الجديدة القائمة على مبدأ الغنيمة والسبي , ولم تكن تلك الثقافة وافدة عليهم ولكنها كانت ذات عمق تاريخي يعود الى سبأ ابن يشجب وقد ساعدت عليها عوامل عدة عوامل منها احتقار العرقية الحجازية للصناعات والقيم الانتاجية الحرفية , إذ تردد قولهم وهل فيهم إلا حائك برد , أو سائس قرد الخ , ونشأت عقدة القيسية واليمينية , وفي هذه المرحلة بلغت السيوف والرماح اليمنية أصقاع الارض في حروب الفتح الاسلامي , ومع بداية الدولة العباسية بدأت الهويات التاريخية تستيقظ بدءا من تمرد على ابن الفضل على الداعي

المهدي بالبحرين وخروجه عن الدعوة , وليس انتهاء بحركات التملل في كل حقبة التاريخ , فالقضية أصبحت اشكالية تاريخية ذات تجذر وعمق .

وبالوقوف عند عبارة الاشكالية التاريخية نرى أنه من الضرورة بمكان قراءة التاريخ بمنهجية جدلية وبرؤية تفكيكية قادرة على بعث الروح في الذات المنهزمة فينا، كي تستعيد وعيها بمقوماتها التاريخية والحضارية، وبحيث تتمكن من تسجيل حضورها في العصر الحديث، بوعي أكثر تطلعا وأكثر تقدما وأكثر انتاجا، بعيدا عن روح الغنمة والصحراء.

فالبناء الجديد قد يتطلب هدمًا في أحايين كثيرة حتى يكون البناء الجديد أكثر قوة وأكثر متانة في مقاومة عوامل الطبيعة وتطورات المراحل التاريخية.

ضرورة بناء الاستراتيجيات الوطنية

تشكلت المملكة العربية بصيغتها الحالية التي هي عليها اليوم عام ١٩٣٢م , بعد أن تمكن عبدالعزيز آل سعود من القضاء على منظومة متكاملة من النظم العشائرية , التي كانت تحكم المساحة الجغرافية للمملكة في صورتها الحالية , ففي نجد كانت هناك إمارة يحكمها آل الرشيد وكانت عاصمتهم حائل , وفي الجنوب قضى على دولة الإدريسي وتنازعها مع الأمام يحيى وتمت له السيطرة بموجب اتفاقية الطائف عام ١٩٣٤م , وفي الحجاز استطاع هزيمة الشريف حسين وبسط نفوذه علي مكة والمدينة وجدة , وكانت بريطانيا تحركه وتموله لإدارة لعبة التوازنات في الجزيرة العربية , وكان عبدالعزيز ابنا طائعا لها الى درجة - وفق الوثائق التاريخية - تنازله عن فلسطين لتكون وطنا لليهود المساكين الذين عملت النازية على قتلهم وتشريدهم .

أنشأ عبدالعزيز نظامه على اسس عشائرية , وبالتعاقد مع التيار الديني الوهابي , الذي أصبح شريكا في الحكم , وبدير الشأن الديني , ويتحكم في مساره , وتمتد السلطة الدينية في سلالة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب مؤسس المذهب الوهابي , وايدولوجية هذا المذهب تقوم على النصية التي تعطل المدركات والعقل والتفكير , وتخلق لنفسها فضاء نصيا

تتحرك في مداره , وتدير من خلاله شأنها السياسي , لذلك كانت فكرة عدم جواز الخروج على الحاكم المستبد "وإن أخذ مالك , وجلد ظهرك " فكرة رائجة تبرر للمستبد استبداده , وللطاغي طغيانه , وهي فكرة تهيأ لها المناخ البدوي العشائري لتصبح بعدا عقائديا راسخا في وجدان الناس , وفي المقابل وجد فيها العربي الصحراوي ضالته التي يبحث عنها لتبرير سلطته , وتبرير طول الأمد في البقاء فيها , في مقابل الحركة الحضارية والثقافية وتطوراتها في العالم الحضاري الذي يترك أثره علينا بشكل مباشر أو غير مباشر .

ظلت مملكة آل سعود منذ فجر تأسيسها تتحو هذا المنحى , وتمنح البعد الديني حضورا مكثفا , باعتباره سلطة مهيمنة على وجدان الناس وموجهة له , وتصد أي تفكير يخل بالبنیان الثقافي الذي تم تحديده سلفا , وتحضر الفتوى متى اقتضت الضرورة لتعيد المسار الذي ينحرف في البعد الحضاري المعاصر الى سياقه المرسوم له بلا عوج ولا إمته.

اليوم ومنذ جاء سلمان الى سدة حكم المملكة يحدث في المملكة انقلاب على كل تلك القواعد وهو انقلاب في ظاهره تحديث وتجديد , وفي باطنه بعث لعوامل التفكيك التي سوف تصيب بنية المملكة في صميم البقاء , وقد تذهب بها الى الفناء , بحكم التناقضات التي يمتاز بها العامل التاريخي

والذي كان الجامع له هو العصبية العقائدية , وحين يعمد ابن سلمان الى خيار اصلاح البنية الاقتصادية , وينزع التمايز الاجتماعي من خلال تحرير الحياة الاجتماعية , واعتماد سياسة العدوات الخارجية مع كل المحيط الاقليمي فالنشاط الامني القلق في العراق , والعسكري المباشر في اليمن , وغير المباشر في سوريا , واشعال فتيل الازمات في المنطقة العربية مثل لبنان , وقطر , والصراع مع ايران في التنافس على المركزية الاقليمية , هذا كله بالإضافة الى قيام ابن سلمان بهيكله الحكام التقليديين وتحجيم دورهم , ودور المؤسسة الدينية التي يستند نظام آل سعود اليها كمرجعية ايدولوجية تبرر شرعية وجوده , مثل ذلك يفضي الى نتائج سوف نشهد ملامحها في المستقبل المنظور, من خلال نقطة الهويات التاريخية, وصراع الوجود, وتقاطع المصالح , وهو الامر الذي يقود الى النهايات المحتومة للمستبد الذي يحاول أن يقفز على حقائق الواقع دون التدرج في التعامل معها , فقد دلّ التاريخ أن المستبد الذي يحاول أن يكون شعبويا وفق النظريات الجماهيرية الاجتماعية الحديثة يفشل ويفقد سلطته , وهذا هو الحال الذي سوف يصل اليه محمد ابن سلمان في قابل ايامه .

ما يجب ان ندركه أن نظام آل سعود شكل حركة سياسية معيقة لليمن منذ تم تأسيس هذا النظام مطلع عقد الثلاثينات من القرن الماضي، ولذلك فنهوض اليمن يرتبط بفشل هذا

النظام، وتفكيكه، وعلى القوى الوطنية أن تعي هذا المنحى وتولييه اهتماما خاصا وذلك بالاشتغال على تناقضات هذا النظام وتغذية عوامل تفكيكه، فالحرب المعلنة على اليمن هي الناقوس الذي يفترض أن يدق في الذاكرة الحضارية كي تستعيد دورها ومكانتها في خارطة الحضارية الجديدة.

لا يمكن لليمن النهوض طالما وقد زرع المستعمر كيانا معيقا للبعد الحضاري والثقافي والحضاري , ولذلك فالقوى التي فرضها العدوان وحاول استغلالها تحت غطاء الشرعية عليها أن تعي المرحلة , وعلى القوى الوطنية المقاومة لمشروع الهيمنة أن تعي ضرورة التحرك وفق استراتيجيات واضحة المعالم والافكار والرؤى حتى تستعيد زمام السيطرة على مقاليد اللحظة والمستقبل , فالنظام السعودي اليوم في أسوأ مراحله وهو آيل للسقوط من خلال حركة التفكيك التي يقوم بها هو ذاته في بناء الثقافية والاجتماعية وقد بدأت تؤتي أكلها وسيكون واقعها أكثر وضوحا في المستقبل المنظور بعد أن تضع الحرب أوزارها فالحرب أجلت فكرة السقوط بسبب الخوف وتنمية مشاعر الكراهية لليمنيين , وعلينا أن نعد الاستراتيجيات للتعامل مع المرحلة المقبلة بحكمة السياسي الطموح الذي يحمل مشروعا لا بغباء المفرط الجهول الذي لا يحمل مشروعا ويدور حول الذات وملذاتها وترفها .

لقد أسلم العدوان مقاليد صناعة المستقبل الى اليد التي عانت
من الظلم ولا بد لهذه اليد أن تكون حريصة على القيام
بواجبها من خلال رسم الخطط والاستراتيجيات وفق منهجية
علمية تقوم على التحليل والتخطيط والتنظيم لتبلغ الغايات.

رؤية البناء لما بعد الحرب البيولوجية

وفق قانون التاريخ أن الحرب تقود الى السلام والسلام في مجمل حالاته مهما طال مكوثه، يقود الى الحرب وتلك من سنن الله في كونه بالمعنى الاقرب أن السلام هو ما سيؤول اليه المشهد السياسي اليمني في قابل أيامه ومهوده ورموزه يبعثها الواقع اليوم ولن يطول بنا الزمن حتى نراه حقيقة واقعه بأي شكل من أشكاله سواء كان بالتوافق أم بالحسم العسكري لكن سيكون بالتوافق وعلى مثله جرت سنن التاريخ اليمني.

فاليمن التي صهرتها الحرب أصبحت أكبر حجما من مستوى تفكير رجال الحرب والصراع والتدمير من قادة الشرعية والتحالف، ولذلك سيصعب عليهم اليوم فهم المستوى المتقدم للحالة السياسية اليمنية وفي مجمل الاحوال كل رموز الحرب اليوم من الذين وقفوا في صف العدوان سيطويهم التاريخ في صفحات صفراء بائسة من كتابه، ومثلما كان للحرب والصراع والتدمير رجال سيكون لليمن الجديد رجال آخرون وتلك هي سنن الله في كونه.

ما تشهده اليمن اليوم من انقسام وتشظي له مماثل في تاريخها فهو حالة ملازمة لكل حالات التحول التي نشهدها في حقب

التاريخ المختلفة، ولذلك سيمتد الماضي في صميم التجربة التحولية الجديدة ويحد من أثرها في المستويات الحضارية المتعددة وقد سارع قادة المرحلة الى التوافق على رؤية وطنية للبناء إدراكا منهم لعثرات التاريخ وتموجاته وتبعاته خوف الوقوع في حفرها.

لقد جاءت الرؤية الوطنية لبناء الدولة الحديثة تعبيراً عن ضرورات المرحلة ، وتطلعا في تجاوز العثرات ، وبلوغا للمستويات الحضارية التي وصلت اليها المجتمعات المتقدمة في العالم المتقدم من حولنا ، لسنا في اليمن أقل شأناً من أي بلد يمتد عميقا في التاريخ ، فلنا حضورنا الحضاري المؤثر في المجتمعات الحضارية القديمة ونحن قادرون اليوم أن نسجل ذات الحضور وبذات الفاعلية التي كنا عليها وأكثر إذا تمكنا في تفعيل الدور التاريخي والحضاري والثقافي في مساراتنا الجديدة ، فثمة مقومات نحن نملكها اليوم بها ومن خلالها سوف نستعيد وعينا بذاتنا وبقيمنتنا وبأثرنا في رسم السياسات للخارطة الدولية .

لا يمكن للتتين الصيني أن يستعيد طريق الحرير دون أن يكون اليمن حاضرا في مسار ذلك الطريق بل وفاعلا بقوة حضوره الجغرافي والحضاري والتاريخي فالتفكير في هذا الاتجاه سوف يجعل الحسابات مرتبكة لبعض دول التحالف كما أنه سيفتح أفقا حضاريا متفاعلا مع المستقبل من حيث

البناء والتحكم بمسارات المستقبل ومن حيث استعادة مركزية اليمن في البعد الاقتصادي الدولي وأثرها فيه وحيويتها التفاعلية في رسم مساراته والتحكم ببعض خيوط اللعبة في السياسات الدولية , فالحضور التفاعلي في رسم السياسات الدولية يجعلك تنتقل من حالة المستقبل الذي يتقبل الواقع الى حالة الصناعة من خلال حضورك وتأثيرك .

علاقة الصين في ظل مشروعها الاقتصادي العملاق "طريق الحرير " باليمن علاقة ضرورة وعلاقتنا بها في ظل ما لحق البنية التحتية من أضرار جراء الحرب والعدوان علاقة احتياج , لذلك فمبادرة الصين " الحزام والطريق " يمكن التفكير بها وبما يخدم المصلحة الوطنية والبنى التنموية المدمرة , ومثل ذلك قد يجد من كلفة الاعمار والبناء الذي يحتاج جهدا ووقتا ومالا , فالتعاقد بين الحضارتين اليمنية والصينية تعاضد تاريخي ولا يمكن الفصل بينهما عبر حقب التاريخ المختلفة , كما أن الصين قد تشكل بديلا اقتصاديا فاعلا يحفظ لليمن حالة التوازن بعكس المشاريع التي تريد فرض هيمنتها الاقتصادية والسياسية .

يفترض بنا الوقوف عند فكرة البناء كرديف لفكرة النصر كدال يرشد ويهدي الى المستقبل وبمثل ذلك نملك مقومات الاستمرار والتكامل إذا كثفنا الدراسات حول الآفاق والمقدرات والمعضلات ولا يمكن لذلك أن يتحقق دون

استنفار العقول والقيام بالدراسات التي تعين صناع القرار في هذا البلد على اتخاذ القرار اللازم في الزمن الفارق.

لقد قال التاريخ أن الحرب قد تصنع واقعا جديدا لمن يحمل مشروعا وطنيا للبناء، وليست مشروعا تدميريا إلا عند الذين يقتاتون من نزيهاها أما صاحب المشروع فالانتصار هو محور ارتكازه لبناء المستقبل.

ومن محاسن الحروب والصراعات أنها تحدث فرزا وتمايزا فيمتاز أهل الخير والبناء ويمتاز أهل الشر والبغي وتكون الصورة أكثر وضوحا للناس، وهذا هو عين ما قالت به الحرب في اليمن على مدى السنوات التي سلفت، فالذين يدعون الشرعية اتضح أنهم لا يملكون قرارا وأنهم ليسوا أحرارا والذين وقفوا الى صف الوطن دفاعا وذودا عن حياضه رفعوا شعارا مضمونه " يد تحمي.. ويد تبني " وقد دل الواقع أنهم عند مستوى الشعار من حيث الدفاع وهمّ البناء.

كل مؤشرات الواقع اليوم تقول أن فيروس كورونا هو حرب بيولوجية وهو يدير الحرب العالمية الثالثة التي سوف تسفر عن واقع يتغاير كل التغاير عما قبله , فالتراجع في الدور الأمريكي في إدارة النظام العالمي وفرض مضامين الهيمنة سجل تراجعاً مذهلاً مع الوباء العالمي في حين تقفز الصين وروسيا الى الواجهة بقوة الأثر والتأثير , ولذلك لن

يطول بما الامد حتى نرى التنين الصيني يقود العالم الجديد
متفردا كما تفردت من قبله أمريكا , ومثل ذلك يفرض علينا
تفكيراً استراتيجياً بما يخدم أمتنا ووطننا ومجتمعنا واقتصادنا
, فلدينا مع الصين مصالح مشتركة إذا أحسنّا إدارة تلك
المصالح في بداية التكوين أفضل لنا من بعده , لأننا في
البداية نملك القدرة على فرض الشروط المناسبة .

ليكن شعارنا القديم / الجديد حاضراً بقوة " يد تدافع.. ويد
تبني " حتى نخرج بمعادلة سياسية جديدة لنشعر أن الدم
المسال لم يذهب عبثاً بل فرض حضوراً قوياً ومؤثراً في
إدارة مصالح الأمة وبما يحفظ لنا العزة والكرامة والقوة
والحرية والسيادة.

حركة العمالة الجديدة في اليمن

يمرُّ اليوم الذين آثروا بيع الوطن على الانتصار له في ظروف حربه مع عدوه التاريخي في أسوأ حالاتهم النفسية والوجودية , فقد وصل بهم الحال الى ذات النقطة التي وصل اليها اسلافهم من الذين يختانون الله والرسول والاطوان في كل مراحل التاريخ المختلفة العربية وغير العربية, فالتاب في التاريخ العربي أن أبا رغال- الذي نبذته الذائقة القيمية اليمنية لتعاونه مع أبرهة الذي أراد هدم الكعبة – ظل محط سخرية أهل اليمن وكان قبره مرجوما الى زمن قريب , ومثله وزير آخر خلفاء بني العباس على ابن العلقم الذي أراد أن يحفظ لنفسه يدا عند هولاكو فكان مصيره الموت , وفق الكثير من الروايات التاريخية , على يد هولاكو نفسه الذي أنكر علي ابن العلقمي خيانتة لخليفته ولوطنه , ولم يستبعد منه أن يقوم بذات الدور إذا أستخدمه في شأن من شؤون الدولة , وفي التاريخ العالمي ثمة رواية منسوبة الى هتلر تقول

" أن خائنا ساعد هتلر على غزو بلده وحين مثل بين يدي هتلر أراد ذلك الخائن تقبيل يد هتلر فرفض هتلر ذلك قائلا مقولته المشهورة:

"يد هتلر لا يقبلها خائن ساعدني على احتلال بلده ولكن لمثلك المال".

ووهبه حفنة منه , وخرج مدحورا مكسورا , وهذا هو الحال الذي أصبح فيه مرتزقة اليمن في الرياض, فقد تحدثت المصادر الاعلامية عن ضيق سلطة الرياض بهم , ومنحتهم تعويضا ماديا مقابل خدمتهم , وطلبت منهم مغادرة الرياض والبحث عن أماكن بديلة لهم , وقيل أن الرياض فرضت الإقامة الجبرية على الفار هادي وطغمته , والزندانى وبعض عترته , ولعل المتأمل لمنشور اليدومي الذي نشره على صفحته بشبكة التواصل الاجتماعي "الفييس بوك " - قبل زمن - يدرك حالة الانكسار , وكميات القهر التي تخزنها حروف ومفردات المنشور , وفي خاتمة منشوره- التي كانت تعبيراً عن معادل موضوعي للمال الذي أصبح فيه - قال اليدومي أن حزبه لن يجلس على قارعة الطريق ولكنه سيكون معنيا بصناعة التأريخ , ولا أدري عن أي تأريخ يتحدث بعد أن أصبح هو وحزبه خارج دائرة التأريخ ودائرة الصناعة .

كنت كتبت مرات عديدة متحدثاً عن أثر الحس الأمني القلق لليدومي , وأثر التقية والمسكنة التي يبديها عبدالوهاب الانسي على حزب الإصلاح , وعلى مستقبله , ولكن لم يستتب الرشد أحد من قادة الإصلاح , ولعل الموقف الأخير الذي أصبح الإصلاح فيه يدعوهم للمراجعة والوقوف أمام المحطات والاحداث ومراجعة الحسابات والسياسات , وهي دعوة كنت أطلققتها قبل زمن , وأخذتهم العزة بالإثم الى هذه المآلات , واليوم يتحدث عن ضرورة هذا المبدأ بعضهم كالحزمي , وبعض شركائهم , كياسين سعيد نعمان , الذي ناله منهم أذى كثيراً فكتب دفاعاً عن نفسه كلاماً ناقداً في غاية الحدة

والصرامة وهدد بكشف بعض الملفات ,وقد أثر الاخوان
التهدئة خوف الفضيحة التي يملك ياسين الكثير من الحقائق
عنها .

زبدة القول أن اليمن لا يمكن أن تقبل خائنا ساعد محتلا على
احتلالها وتدميرها، ومهما كانت التسوية السياسية التي
ستكون في قابل الزمن إلا أن حقائق التاريخ القريب والبعيد
تقول: باستحالة بقاء الخائن على ترابها، فضلا عن قدرته
على التفاعل السياسي مع الاستحقاقات السياسية، فالذين
يقتاتون سحت البيع والخيانة يدركون هذه الحقائق ولذلك
شاعت في نفوسهم وصفاتهم الطمع والنهب والفساد وقد بدأت
المؤسسات المالية الدولية تتحدث عن فسادهم، وعدم قدرتهم
على إدارة المؤسسة المالية، وتتحدث عن خطأ اجراء نقل
البنك الى عدن.

صناعة التأريخ لا يصنعها خائن مهما كانت المبررات ولكن
يصنعها الذين يدافعون عن كرامة الوطن وعرض ابنائه، وقد
سطروا بدمائهم ملحمة تاريخية سيقف التاريخ خاشعا عند
قدمها المقدس.

وما حدث في نهم خلال الايام الخوالي من مطلع العام الجديد
٢٠٢٠م قد يفصح عن الحالة النفسية والاخلاقية التي تنتاب
خونة العرض والارض، ومن شاهد ما بثه الاعلام الحربي
للجيش واللجان الشعبية يدرك أن الذيم يقاتلون من أجل المال
ومن أجل الدنيا قلوبهم خواء ترهقهم الذلة والمسكنة وقد باعوا
بغضب من الله ومن الناس اجمعين، مشاهد " نهم " كافية –
رغم توفر الامكانيات ورغم التفوق في العدة والعتاد – أن

تقول أبلغ الرسائل للذين يتاجرون بدماء الناس وبمصير شعبهم ووطنهم.

وعملية "البنيان المرصوص " ومن قبلها " نصر من الله " قد تصبحان مادة تاريخية في المعادلة الايمانية والمادية , وجدلية القوة في الفكر العسكري وربما في الدلالة العقائدية , فالباطل قد يبدو كثيرا وقويا ويملك القدرات لكنه ضعيف أمام قدرات الذات وامكاناتها النفسية والايمانية , لقد قالت العمليتان أن القدرة الايمانية هي الأقوى , وقالتا أن الفرد قادر على قلب الحسابات المادية وتفكيكها وعكس توجهاتها الفيزيائية وهي حالة لا يمكن القياس عليها إلا في اليمن وفي رجال اليمن وهم من وصفهم القرآن بأولي البأس الشديد في أكثر من موضع من كتابه الكريم , حتى كاد أن يذهب بعض مفسري القرآن الكريم الى تأويل النصوص التي تتحدث عن البأس كصفة ملازمة لأهل اليمن , وقد أفصح الواقع عن ذلك بما لا يدع مجالا للشك والريبة .

لقد امتلك الجيش واللجان الشعبية - بعد خمسة أعوام من العدوان الغاشم بكل ما ابتكره الانسان من اسلحة دمار شامل ومن حصار - زمام المبادرة فهم الأقوى اليوم وهم الأقدر , وتلك معادلة لا تصنعها حسابات بشرية مطلقا وربما يعيد العقل البشري ترتيب نسقه ليفهم ما يحدث في اليمن اليوم , وعلى السعودية أن تدرك هذه الحقائق وتعيد بناء نفسها وعلاقاتها الجيوسياسية بما يتسق وواقع الحال قبل فوات أوانها , فأمريكا كشفت عن أوراقها وهي ذاهبة الى الزوال ولن تحميها لأنها سوف تبحث عن نفسها في قابل الايام.

تداعيات النسق التاريخي

قراءة في أثر ثورة ٤٨م

شهدت حجة الجغرافيا والمكان في مسارات التاريخ المختلفة نشاطا ثقافيا نوعيا جعل منها مركزا موازيا لصعدة ومتكاملا معها , فإذا كانت صعدة تشكل مرجعية ثقافية لكل حركة سياسية أو نشاط اجتماعي إلا أن بداية الفكرة تخرج في الغالب من بين جبال ووهاد وهضاب حجه , فالتاريخ وسير الأئمة الزيدية تتحدث عن دعوة كل إمام لنفسه وتحدد المكان الذي دعا لنفسه فيه وقد تجد أن الكثير من الأئمة بدأت دعوتهم من حجة على امتدادها الجغرافي , وغالب الأئمة الذين انتزعت الاحداث السياسية والصراعات منهم سلطانهم كانوا يرون في حجة ملاذا آمنا فيعودن للتدريس في هجرها ومساجدها , وقد أفردت السير مساحة واسعة كشواهد على هذا الحال وكمثال على ذلك الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى الذي توفى (٨٤٠ هـ) بعد فقدانه للسلطة عاد الى ظفير حجه وانقطع فيها للتدريس والتأليف حتى بلغت

مؤلفاته أكثر من ثلاثة وثلاثين مؤلفاً توزعت بين الفقه وعلم الكلام والأصول واللغة والتاريخ والزهد والمنطق والحديث وأشهر كتبه كتاب (متن الأزهار في فقه الأئمة الاطهار) المرجع الفقهي للمذهب الزيدي وقد اشتمل على ٢٨ ألف مسألة من مسائل الفقه وهو علم من أعلام اليمين المشهورين وكتبه مطبوعة ومتداولة .

ومن الذين دعا لنفسه الإمام الهادي شرف الدين بن محمد بن عبد الرحمن عشيّش (١٢٤٥ - ١٣٠٧) هـ الذي دعا لنفسه من الظفير في شهر صفر عام ١٢٩٦ هـ ثم غادرها إلى الأهنوم وهناك بايعه علماء صعدة بعد أن انتدبا إليه اثنين من علمائهم هما محمد عبد الله الغالبي وأحمد بن إبراهيم الهاشمي ونظرا في علمه ومدى توافق الشروط عليه و عندما تأكدا من سلامة الشروط وتوافقها بايعاه والزموا الناس بطاعته وعلى أثر ذلك انتقل إلى مدينة صعدة في شهر ذي الحجة من عام ١٢٩٨ ونزل حصن سناره وجعله مقر حكمه ودار مملكته .

والكثير من الشواهد التاريخية تؤكد التلازم السياسي والثقافي بين حبه وصعدة في حقب التاريخ الاسلامي المختلفة، ونشأت في البناء الاجتماعي فكرة الهجر- بكسر

الهاء وفتح الجيم – وهي بناء ثقافي واجتماعي كانت تشكل مرجعية ثقافية وقانونية – فقهية – ومرجعية عقائدية دينية ولها نظامها في بنية القبيلة وبنائها العام ولها أثرها في المسار السياسي.

والهجرة قد تكون شخصا منتما لآل بيت الرسول الاكرم وقد تكون مؤسسة تعليمية لها نظامها وهي منتشرة في عموم الجغرافيا منها هجرة الظفير وهجر بشهارة وهجر بالشرفين وقد تخرج منها علماء اعلام من مثل لطف بن محمد الظفيري صاحب (الإيجاز في علم الإعجاز) و (أرجوزة الفرائض) والحسن بن محمد الزريقي الهمداني صاحب كتاب (حاشية على الأثمار) (وسيرة الإمام شرف الدين) وغير أولئك كثر ممن تحدثت عنهم كتب التراجم.

نظام الهجر العلمية والفردية شكلا بعدا سياسيا في كل الأحداث والمسارات السياسية التي حدثت في التاريخ وماتزال تحدث الى اليوم , وكانت سببا مباشرا وراء تبدل المعادلة العسكرية والسياسية في ثورة فبراير ١٩٤٨م التي يراها الكثير من الكتاب ومن ضمنهم البردوني أنها كانت انقلابا لأنها لم تحمل شروط الثورة ويراها البعض ثورة وسواء كانت ثورة أم انقلابا إلا أنها أحدثت تبديلا وأثرا وكان

لها عواقب في حركة الاحداث التي شهدها تاريخ المرحلة السياسي في عقد الخمسينات من القرن العشرين الذي ماج فيه الشارع العربي في حركات يقظة من أقصاه الى اقصاه.

جاء الامام أحمد الى حجه وجيش الجيوش واستعاد السلطة بصنعاء في ظرف زمني وجيز لم يتجاوز ٢٦ يوما حيث تم الاعلان عن الثورة الدستورية في ١٧ فبراير ١٩٤٨م وجاء الاعلان المضاد للقضاء عليها في ١٣ مارس ١٩٤٨م , وهو ظرف زمني قصير جدا بالقياس على طبيعة المرحلة وعلى الزمن , وقد استغل الامام أحمد نظام الهجر في الحشد والتأييد وكانت حجه هي الظهير المساند وهي الرقم الأصعب في دخول صنعاء وعودة سلطة بيت حميد الدين والقضاء على ثورة الاحرار الدستوريين الذين استقبلتهم سجونها وشهدت ساحاتها وميادينها اعدامهم وعلى رأس أولئك قائد الثورة الدستورية عبدالله الوزير .

كما أن نظام الهجر القائم على مبدأ الولاء لآل بيت الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام كان وراء فشل مشروع النظام الجمهوري الذي استمر في صراع دائم لمدة ثمانية أعوام حتى أفرغته الصراعات من محتواه العام وأصبحت الثورة فراغا يدور في فراغ من غير مضمون ثوري قادر

على أحداث متغير حضاري , وقد استمر الصراع الى عام ١٩٧٥م وكانت حجه هي موطنه والحامل الحقيقي له , إذ ظلت تقاوم المشروع الجمهوري الذي حملته البيادة المصرية والحركة القومية ولم تحمله الضرورة الاجتماعية والثقافية , فكان جرف المحابشة هو الحاضن للإمام البدر ثم جرف قارة وقد تداعت حجه ونظامها الاجتماعي للدفاع عن النظام القديم الى عام ١٩٧٥م بعد أن أطمأنت نفوسهم لمشروع حركة ١٣ يونيو ٧٤م وظل البعض على ذات الولاء لا يعترف بالنظام الجمهوري الى عقد الثمانينات كالشيخ الأدبي الذي كان يرفض حتى الخدمات العامة كالطرق وقيل أن صالح استدعاه الى حجه وأهداه سيارة فأضطر بعد ذلك أن يسمح للنظام بشق الطرق حتى تنفذ الى بلاده .

هذا الموقف كانت له تداعياته على حجه وأهلها وظلت حجه وأبنائها يدفعون ثمنها باهضا الى عام ٢٠١٤م بعد أن ماجت الأرض واضطربت وعادت الامور الى مسارها التاريخي.

خلال العقود التي حكم فيها نظام صالح لم تكن حجه تشكل حضورا مهما في النظام بل كان يتم التعامل مع أبنائها بالإقصاء كما أن الذين يديرون شأنها من غير أبنائها حتى

بعد صدور قانون السلطة المحلية، وقد خضنا صراعا مريرا مع السلطات يوم ذلك إلا أن النظام كان مصرا على موقفه، وفرض فريد مجور محافظا على حجة قفزا على نصوص القانون الذي صاغه بنفسه.

وقد صرخنا يومذاك في كل وسائل الاعلام بالقول أن حجة تدفع ثمن موقفها من ٤٨م، وهو أنين ماتزال الشبكة العنكبوتية تحتفظ بالكثير من تفاصيله.

بعد الثورة الدستورية حدث حراك ثقافي وأدبي في حجه الى درجة القول في بعض الدراسات النقدية بمدرسة حجة الشعرية لتي كانت لها خصائصها الفنية والموضوعية، ومثل ذلك كان من ثمار الثورة الدستورية في بعض جوانبها إذ لكل حدث أثر قد يكون مشرقا في جانب ومظلما في آخر وفق طبيعة حركة التاريخ.

ولذلك يمكن القول وفق دلائل التاريخ وأحداثه أن حجه تمثل عمقا ثقافيا وتحمل مشروعا سياسيا في تعاضد تاريخي مع صعدة وهي ملاذ كل مبعد سياسي إذا جار عليه الزمن وضاق به الحال فجغرافيا حجه الثقافية تسعه فله فيها

حواضن تقوم على أسس وقيم وأعراف يمكن الوثوق بها إذ
لم يحدثنا التاريخ أنها خذلت أحدا.

حاجتنا الى المعرفة في البناء

القارئ لحركة التاريخ اليمني يلمح نزعة الذات اليمنية إلى التسلط أو إلى التصدر، وبسبب تلك النزعة كانت تحدث الصراعات والانقسامات ولم تزل تلك النزعة أكثر بروزاً في تاريخنا المعاصر، وهي ذات تجذر تاريخي، واستمرارها في الذات اليمنية لا يعني أكثر من استمرار حركة التاريخ كمتواليات تفاعلية ذات تشابه في الاحداث والوقائع.

وحين نتحدث عن التغيير والانتقال في ظل غياب البعد المعرفي للجذر التكويني وغياب الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية فنحن نتحدث عن أمانى، والأمانى هي تعبير عن حالة تطلعيه في ظل معوقات واقعية موضوعية، لم نملك القدرة المعرفية على تفكيكها حتى نتمكن من ابتكار البدائل وبما يساهم في العملية الانحرافية في المساق التاريخي.

مشكلة اليمن منذ بدء نشأة الدولة الحديثة في مطلع الستينيات في القرن الماضي أنها تنفق جل الموازنة العامة على مفردات القوة وإدارة الصراع ولم تفكر يوماً في أهمية البحث العلمي في التخفيف من حدة الصراع وقدرته على إحداث عمليات الانتقال , فالتعبيرات السياسية المتعددة التي وصلت

إلى سدة الحكم تستغرق ذاتها في صراعها مع الآخر وفق حالات انفعالية , وهي بذلك تستسلم بكل إرادتها لقانون التاريخ وتفسح له المجال كي يكرر نفسه وأحداثه ووقائعه إلى درجة تعطيل حركة المجتمع في التحديث والانتقال , فالحرب والصراعات والنزاعات تعمل على يقظة الهويات التاريخية بكل تشوهراتها ونتوءاتها التي لا تتناغم مع روح العصر الذي نعيش , لذلك فكل الحروب التي حدثت بعد عام ١٩٩٠م لم تترك إلا مجتمعا مختلفا , وثقافة تقليدية , واقتصادا راكدا , حتى تلك التحولات التي ظننا انها تحولات , لم تكن تحولات بنيوية عميقة فقد تركت , وراءها مجتمعا مغتربا وثقافة مستلبة , وشخصية منقسمة على نفسها . فالحرب هي بمثابة الانقطاع الحضاري المتجدد في المكان الجغرافي، والزمان التاريخي بما تتركه من أثر في النسيج الاجتماعي والثقافي والاخلاقي، ومثل ذلك يكون سببا مباشرا في ازدواج الشخصية، وتنافر السلوك، بل يكاد يشكل تعارضا بين الفكر والممارسة.

وأمام مثل ذلك تصبح حاجتنا إلى المعرفة في البناء المتناغم مع الجذر التكويني والمتفاعل مع المتغيرات العصرية أكثر ضرورة وأشد إلحاحا في ظل ما شهدناه من حالات جدل واسع حول بناء الدولة في مؤتمر الحوار الوطني , فالقوالب الجاهزة والنماذج العالمية في شكل الحكم ونمطه لم تتأثر بها الدولة اليمنية التاريخية بل ابتكرت نموذجها الخاص وشكلها

المعبر عن تكوينها وابعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية ,
ولذلك رأينا التناقض بين النماذج والاشكال التي خضنا
تجربتها في تاريخنا المعاصر بين حاجات المجتمع الذي
نسوس ضروراته التحديثية , إذ نشأت حالات تصادمية بين
مكونات المجتمع والتعبيرات السياسية مثل حالات الصدام
بين المؤسسة الدينية والقوى الطلائعية , والصدام بين الرموز
الاجتماعية والدولة , فالصدام مع المؤسسة الدينية اوقعنا في
حفرة الفراغ الحضاري والثقافي , الذي عمل على إنتاج
ازدواج الشخصية , وتنافر السلوك شكل تعارضاً بين الفكر
والممارسة , والصدام مع الرموز الاجتماعية عمل على
تعطيل سلطة القانون وغياب الدولة واغتراب المجتمع ,
وسيادة الثقافة التقليدية , وبسبب ذلك ظلت كل العمليات
التحويلية في ذات المربع الذي بدأته إذ كانت مظهراً شكلياً لم
يلامس الأسس البنيوية للمجتمع , فالوحدة اليمنية مثلاً حملت
مشروعاً نهضوياً وتحولياً كاد ان يصل الى كل البنى
المجتمعية بيد أن حرب ١٩٩٤م حولت ذلك المشروع إلى
ظاهرة شكلية , فالثقافة التقليدية تجلت ملامحها من خلال
مشروع الشيخ الذي بدأ بعد ٧ - ٧ - ١٩٩٤م وعلى أثره
كانت منظومة الحكم كلها ذات بعد معياري واحد , فالسلطة
التشريعية كان جل قوامها من الرموز الاجتماعية , والجهاز
التنفيذي والأمني والعسكري خضع للمعيارية الاجتماعية
وغاب القانون والاستحقاق الوظيفي فالعرف كان اقوى من

القانون حتى في معيارية الوظيفة العامة , تلك المقدمات كانت سبباً مباشراً وغير مباشر في شعار الحراكين باستعادة الدولة , كرمزية على غيابها وطغيان مشروع الشيخ الاجتماعي الذي تماهى مع مشروع الشيخ الديني كان عاملاً مهماً في غياب الدولة واغتراب إنسان المحافظات الجنوبية أكثر من اغتراب إنسان المحافظات الشمالية بسبب الحضور المكثف للدولة في الجنوب إبان فترة حكم الحزب الاشتراكي في حين كان حضورها حضوراً جزئياً في المحافظات الشمالية وايضاً متفاوتاً بين الفينة والاخرى .

ما نخلص إليه هو القول أن ثمة خصوصية يمنية يجب أن تجد تعبيراً عنها في شكل وبنية الدولة القادمة حتى تمتد بصيغة تفاعلية مع الماضي لتبدع الحاضر والمستقبل، فالشعور بالقيمة الثقافية والحضارية هو الامتلاء الذي يبحث عن الأجد والاروع ويحض على الابتكار والابداع ويعمق من قيمة الانتماء للفرد والجماعة ويوثق من عرى الأسرة الوطنية ويعزز من قيمة يمنية اليمن.

اليمن ذات عمق تاريخي ولذلك يستحيل عليها أن تتقبل قوالب الانظمة التي ابتكرها الانسان ولا القانون الذي تنافر مع منظومتها التشريعية الحضارية والتاريخية، وقد فشلت تجارب الماضي في صوغ دولة حديثة متناغمة ومستقرة لأنها تجارب لم تبتكر ولم تمتد بل جاءت من تجارب الغير

فبالأنظمة قوالب جاهزة ابتكرها الانسان في بيئة غير بيئتنا،
والقانون لم يكن متناغما مع التشريع الوطني والحضاري "
العرف " بل نقلناه عن مصر ومصر نقلته من فرنسا ولذلك
كان مغتربا ولم يلامس الواقع اليمني.

ومن هنا تتجلى حاجتنا الى معرفة ثقافة اليمن الحضارية
والتاريخية والاشتغال على تراثنا اللامادي لصوع واقعنا
المتناغم والمستقر منطلقين من خصائصنا وثقافتنا لا من
ثقافة وتجارب غيرنا وتلك مهمة سهلة لو أخلصنا النوايا
وأدركنا أهمية المعرفة في البناء.

تركيا والدور المشبوه

تهدف الاستراتيجيات التي تستهدف العرب والمسلمين الي إطالة أمد الحروب الطائفية - وفق أحدث الدراسات الاستراتيجية طبعاً - وبحيث تكون أبدية أملاً في الوصول الي حالة التدمير الشامل للعرب والمسلمين وبحيث تتحول هذه الأمة بنظر العالم الي محاربين لا يحبون السلام والاستقرار، تحركهم أحقاد وثرارات لا تنسجم مع حالة العالم ومصلحه وبذلك ينشأ توافق عالمي علي أن القضاء علي الاسلام هو الحل الوحيد لإنقاذ العالم من شروره.

"إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمّر الحضارات، وتقوّض المجتمعات، والحلّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية» جاء ذلك بالنص في مقابلة أجرتها وكالة إعلام مع "برنارد لويس"، مستشار البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط في عهدي بوش الأب والابن، وهو مستشرق

بريطاني يهودي الديانة، وصاحب أخطر مشروع في القرن العشرين لتفتيت العالم العربي والإسلامي .

ومشروع التفكيك بدأ في عام ١٩٨٣م وظل يراوح مكانه الى أن ظهر في بداية الألفية بالتمهيد له بأحداث ١١ سبتمبر , وكانت تلك الاحداث مع موجات التفجير التي اجتاحت العالم هي المحرك الأساسي له , إذ طرأت منذ ٢٠٠٤م فكرة الشرق الأوسط الجديد وهي الفكرة التي ولدت بعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م تحت ذرائع قال الواقع فيها القول الفصل وقد تمخض عن ذلك السقوط فكرة الشرق الاوسط الجديد وكان من نتائجها حرب تموز ٢٠٠٦م بلبنان وهي الحرب التي لم تكن نتائجها مرضية للمنظومة الصهيونية العالمية , وللسيطرة على مقاليد الزمن وحركة التاريخ سارعوا الى تبني استراتيجية راند لعام ٢٠٠٧م بهدف انشاء شبكة اسلام معتدل وهي الرؤية الاستراتيجية التي نجحت الى حد ما في بلوغ أهدافها في التحكم بمصائر الشعوب , وفي الاحتلال , وتدمير الثقافة الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية , عن طريق موجة الربيع العربي وتداعياتها التي لن تقف عند حد التدمير فقط بل الى أبعد من ذلك وهو مرحلة اللا الدولة , وهو الامر الذي يحدث بالفعل في جل الدول التي عصف بها ربيعها , وجارٍ التمهيد لدول أخرى هي الان فاعلة لكن تدميرها في قائمة الانتظار .

والسعودية في رأس القائمة من خلال اشتغال الاعلام
الامريكي ضدها والتركيز على استنفار مشاعر المسلمين في
خطين متوازيين هما:

- تدمير التطبيقات الدينية

- والخط الثاني بيان رغبة النظام السعودية في طمس قبر
الرسول والصحابة وهي قضية أثارها الاعلام الامريكي قبل
زمن ولأيام حبلى بالمفاجئات.

لعبة شبكة الاسلام المعتدل تقوده تركيا منذ تبدل المعادلة في
حرب تموز ٢٠٠٦م وهي تخوض غمار المعركة من موقعها
, بعد أن تغير مصطلح الشرق الاوسط الجديد ليصبح أكثر
قبولا من الجمهور السني وهو فكرة الخلافة الجديدة , ولعل
حركة التبدل في النظام التركي من النظام البرلماني الى
الرئاسي وحركة القضاء على رموز النظام التركي القديم في
لعبة الانقلاب المزعومة التي شرعنت حركة الاقصاء التي
تجاوزت الحد المعقول في مثل قضايا مماثلة , وقد صاحبها
صمت دولي مريع من المنظمات الحقوقية وأيضا من
المواقف السياسية , وكأن الأمر كان سيناريو مرسوم سلفا
تمت عملية اعداده وتنفيذه بعناية فائقة .

مارست تركيا دورا مزدوجا ظاهره الانتصار لقضايا العرب
والمسلمين وباطنه التطبيع وتنفيذ الاستراتيجيات، فالمواقف

التي يعلنها رجب طيب أردوغان هدفها لفت الانظار اليه وهو يمتص من خلالها الحالات الانفعالية في الشارع الاسلامي في حين ماتزال مواقفه ثابتة وعلاقاته مطبوعة من الكيان الصهيوني، وهو يسير في ذات المنهج للإدارة الامريكية.

تركيا اليوم تكاد تسيطر على الوجدان العربي والاسلامي من خلال الدراما التي تحتل المرتبة الاولى من حيث المشاهدة والتأثير في ظل تراجع دور الدراما المصرية وغياب السورية , وكل الذي تنتجه ليس عفويا ولن يكون ولكنه يرتبط ارتباطا كليا أو جزئيا بحركة الاقتصاد والسوق وهو موجه بشكل منهجي واضح لإدارة الوجدان العربي , فالقضية لم تعد واقعا أفرزه نشاط عسكري وعمليات عام ٢٠٠٦م , بل تجاوز الفكرة ليصبح حركة تدير الانقسامات وتعمل على تفكيك المجتمعات العربية للوصول الى مرحلة ما قبل الدولة الوطنية أي مرحلة التنشيط والانقسامات والحروب التي أعقبت سقوط بغداد في القرن الثالث عشر ميلادي .

ولعل الذاكرة لم يغيب عنها دور تركيا بعد فبراير ٢٠١٢م في اليمن وحركة الاسلحة والسفن والشحنات التي تورطت بها السفارة التركية في صنعاء كما أن النشاط الثقافي كان

مشهودا من خلال الحركة المنظمة بين كوادر وشباب
والاخوان في الزيارات المنظمة بين أنقرة وصنعاء.

اليوم الصورة أكثر وضوحا من ذي قبل فتركيا تدخل شمال
سوريا بعد انسحاب أمريكا منه، وتذهب الى ليبيا وتتدخل في
العراق ومثل ذلك النشاط قد أفصح عن نفسه وقال للمكابر
عن حقيقة الدور الذي تلعبه تركيا في تفاصيل اللحظة
السياسية العربية وهو دور مشبوه ولا ينم عن نوايا حسنة
لتركيا مهما تظاهرت وعملت على فكرة التضليل.

جذور التآمر على اليمن

من الثابت تاريخياً أن السعودية ترتبط وجودياً بالمستعمر البريطاني فقد تداخل بشكل أو بآخر في ظروف نشأتها وتكوينها الأول وكانت المخابرات البريطانية وراء حركة التوسع والتكوين، والمخابرات البريطانية حينها كانت واقعة تحت هيمنة الحركة الصهيونية وتكوين المملكة العربية السعودية جاء كخيار بديل بعد الصد والممانعة الذي أظهره السلطان العثماني عبدالحميد حين عرض عليه اليهود الأموال والذهب في مقابل اقرارهم على فلسطين كوطن قومي لهم، فكانت الدعوة الوهابية هي المطية التي امتطأها اليهود للوصول إلى غايتهم وقد مدوا هذه الحركة بالأموال والسلاح والذهب حتى تفرض هيمنتها على الحجاز وتكون هي المركزية الإسلامية وتتمكن من خلال تلك المركزية وتلك الرمزية التي تمثلها المقدسات في الحجاز من إقرار اليهود على فلسطين. وقد تم لهم ذلك إذ أقر الملك عبدالعزيز بحق اليهود في فلسطين وكان إقراره الذي أصبح متداولاً بمثابة الصك بيد الحركة الصهيونية وبيد اليهود، ومثل هذا الحدث لم يلتفت إليه مؤرخو الفترة إلا كحدث عابر لكنه كان يحمل حركة تحول وتبدل في المفاهيم وفي الأبعاد الثقافية،

فالسعودية كنظام كانت تقوم بدور الفصل الحضاري بين الأمة وماضيها ولذلك ظلت آلتها التدميرية تعمل في الآثار الإسلامية وغير الإسلامية للوصول إلى حالة فقدان المعنى والوصول إلى حالة فقدان المعنى – كما تكرر معنا قوله – يشير إلى عدم إحساس الفرد بفهم الأحداث التي يرتبط بها وبالتالي الوصول إلى حالة التيه، فالفرد يكون غير متبصر بما يجب عليه أن يعتقد، ويفقد معايير الوضوح في صنع القرار، وبالتالي يكون غير قادر على الاختيار بين البدائل، ولذلك رأينا مذكرة الملك عبدالعزيز التي تعترف بفلسطين كوطن قومي لليهود تمر مرور العابرين في الذاكرة الثقافية والتاريخية إلى أن تنبه لها النظام البعثي في العراق عام ١٩٩٠م بعد تلك الحملة الشرسة التي قادتها السعودية عليه، وظل إمعان السعودية على إحداث حالة الفصل قياماً بدورها المطلوب منها من قبل الصهيونية العالمية عن طريق المخابرات البريطانية يمارس تزيف الوعي العربي إلى درجة عدم تبصر الفرد وعدم قدرته على فهم الأحداث التي يرتبط بها وساعدها في ذلك امبراطورية إعلامية واسعة الانتشار وفي مستويات متعددة ففي حين تجد إعلاماً ملتزماً بقيم الفضيلة تجد إعلاماً موازياً يدعوا للرزيلة وكلاهما لهما مشكاة واحدة في الدعم والتوجيه وهو بيت مال المسلمين في السعودية.

لم تكن اليمن إلا جزءاً من المهام الجوهريّة التي تقوم بها المملكة العربيّة السعوديّة ارضاء للحركة الصهيونيّة العالميّة فقد كان اشتغال النظام السعودي في اليمن اشتغالاً مدمراً منذ النصف الأول من القرن العشرين، فهي التي تقف وراء عصابات تهريب الآثار وعصابات تهريب المخطوطات النفيسة والنادرة، وهي التي تقف وراء الجماعات التي تشتري المخطوطات لتتولى حرقها وإتلافها، وهي التي تدعم الجماعات المتطرفة لهدم الرمزيات الثقافيّة التاريخيّة، وهذه الجماعات تنشط في اليمن منذ عقد الخمسينات من القرن الماضي وهي التي كانت وراء هدم مشهد ابن علوان في يفرس - في خمسينات القرن الماضي - وظل نشاطها متواصلاً إلى هذا الزمن الذي يباشر العدوان وطيرانه الهدم والتدمير للآثار الحضاريّة والتاريخيّة في عموم اليمن.

وفي البعد السياسي التاريخي كانت السعوديّة وراء التمكين للمستعمر البريطاني في التوسع الأفقي واحتلال الضالع , وهي أدواته في احتلال جزيرة كمران وهي أدواته في التخفيف من وطأة الثورة عليه , وتأجيل خروجه من ٦٣م إلى ٦٧م بعد أن أطمأن إلى الأثر النفسي والثقافي الذي ستركه نكسة ٥ حزيران ٦٧م على الشارع العربي واطمئنان الصهيونيّة العالميّة على مستقبلها وقد عملت في ٦٧م على استكمال

حركة التوسع في فلسطين وكانت السعودية تعمل على تقليص
أظافر عبدالناصر في اليمن وتأمين خط الملاحة الدولي في
باب المندب لصالح إسرائيل وبإيعاز من المخابرات
البريطانية الواقعة تحت هيمنة الصهيونية العالمية.

واليوم النظام السعودي يقوم بالدور التاريخي نفسه فعذوانه
على اليمن غير مبرر وثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م لا تشكل
خطراً مباشراً ولا غير مباشر عليه ولكنها من خلال
انحيازها إلى خط المقاومة العربية قد تشكل عمقاً استراتيجياً
لمحور المقاومة وهو الأمر الذي يغضب إسرائيل
والصهيونية العالمية خوفاً أن ينعكس ذلك عليها بشكل سلبي،
ولذلك فالنظام السعودي من خلال عدوانه على اليمن يقوم
بدور وجودي لإسرائيل كما كان في سالف أيامه وتلك هي
وظيفته الحقيقية التي ظل يقوم بها في العقود الماضية.

هذه الحقائق لم يتناولها الكتاب فالصمت عنها وحولها ظل
سيد الموقف في كل الاحوال , ولعل الكثير من الرموز
الثقافية كان واقعا تحت ضغط التسلط , فالسياسي كان
يمارس قمعاً , وإرهاباً فكرياً , ونفسياً , واجتماعياً , توارى على
إثر ضرباته المتقف الحقيقي , ليبحت عن قيمته في ذاته ولم
يجدها , ومن حاول الجهر بتلك الحقائق تغتاله يد الغدر ,
فضلوع السعودية في موضوع مصرع عبد الناصر بالسلم

كان ثابتاً ولكن توارى من يتحدث عنه خوف الارهاب النفسي والفكري , كما أن يد الترغيب والترهيب للكتاب العرب كانت تقودها السعودية وإن لم تجد نفعا مع الكتاب يكون الموساد من خلف الستار ويظهر النظام السعودي أو من يمثله من الجماعات الدينية ذات الارتباط التنظيمي في الواجهة في حوادث الاغتيال والتصفية , ولعل أجد تلك الحوادث مصرع الفنانة التونسية ذكرى في أحد فنادق دبي في ظروف غامضة بعد اطلاقها لأغنياتها الشهيرة عن النظام السعودي والتي كانت بعنوان " من يجرؤ يقول " وهي شهيرة .

للسعودية شبكات اعلامية عنقودية بدأت منذ زمن الجدل الثوري الاشتراكي مع الرأسمالية العالمية التي تقودها الحركة الصهيونية العالمية، تلك الشبكات تمتد من صحيفة " الحياة "و "الشرق الاوسط " ومجلة "المجلة" ومجلة "سيدتي " قبل الفضاء المفتوح الى التوسع الافقي والرأسي في القنوات الفضائية ذات التوجه الرامي للسيطرة على الوعي العربي وتحديد مساره اجتماعيا وثقافيا ووفق استراتيجيات معدة سلفاً.

ولعل الصهيونية العالمية لم تكن غائبة في حركة العدوان على اليمن وبصماتها في نقم وعطان وفي القنبلة الفراغية

التي هزت قلوب اليمنيين قبل بيوتهم وأحدثت هلعاً وفزعاً
كبيراً بين صفوفهم واضحة كل الوضوح.

النظام الملكي السعودي والمشخي الخليجي بذرة شر في
صدر الأمة الاسلامية زرعتهم بريطانيا في القرن العشرين
وترعاهم أمريكا ولا خيار للعرب والمسلمين - إن أرادوا
حضوراً وتمكيناً وتأثيراً في مسار السياسة العالمية - إلا
تفكيك تلك الانظمة وهو خيار صعب بعد أن مورس على
عقولنا الاستلاب والضعف والتبعية لكنه ممكن التحقق.

الرأسمالية من حلم القيادة الى شبخ الانهيار

منذ كتب بريجنسكي كتابه «بين عصرين» والذي تحدث فيه قائلاً: إن الرأسمالية تواجه هزيمة ايدولوجية وفكرية كبيرة جداً، ويقول في سياق كتابه ذلك أن الحل الوحيد هو احياء ما أسماه «الأصوليات الدينية» ودفعها للتصادم مع المنظومة الشيوعية والاشتراكية وحركات التحرر عندها - حسب رؤيته في مضمون كتابه الصادر في مطلع عقد السبعينيات- سوف تهزم الشيوعية والاشتراكية بقوة الأصوليات الدينية، وهزيمة تلك المنظومة سيوفر للرأسمالية الأمريكية فرصاً استراتيجية كبرى لإعادة تنظيم العالم تحت قيادتها.. ووفقاً لهذا المنطلق النظري تبنت السياسة الأمريكية منذ عهد كارتر الذي رأس أمريكا في الفترة من «١٩٧٧م-١٩٨١م» خطة استراتيجية لدعم الأصوليات الدينية، ليس حباً في الدين وإنما من باب كراهية الشيوعية وحركات التحرر، ورغبة في حماية المصالح الاستراتيجية لأمريكا.

والملاحظ أنه في فترة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان والممتدة من «٨١م-١٩٨٩م» تعاظم المد الأصولي وقويت الحركات الأصولية الدينية «الاسلامية واليهودية والمسيحية والهندوسية» في العالم كله، وذلك النشاط المستعر والمحموم

أدى الى تحقيق أهم الخطوات التمهيدية للسيطرة على العالم وتمثلت في تفكيك المنظومة الاشتراكية وإزالة العقبة الشيوعية، وإشعال أو استنزاف وشرذمة حركات التحرر في الأقطار العربية، وفرض شروط الاستسلام للصهيونية في فلسطين.

في نهاية عقد السبعينيات وصل الإمام الخميني للحكم في إيران وبرز في نفس الفترة المجاهدون الأفغان، ويومذاك أصبح الصراع دينياً «ضد الصليبية» واليهود بشكل خاص كما توحى شعارات الثورة الإيرانية التي قادها الإمام الخميني، وتأصلت في المعتقدات الأصولية الدينية الاسلامية فكرة أن انتصار الاسلام مرهون بدحر بقية الديانات وليس عبر التعايش السلمي بينها..

ومن يعود الى مرجعيات تلك الحقبة الزمنية يجد ذلك شائعاً في الخطاب الثقافي والسياسي والاعلامي، ومن نافلة القول إن الهدف من تلك الاستراتيجيات التي كانت تتبناها دوائر صنع القرار الأمريكي «الكونجرس والبننتاجون بكل منظومته الأمنية والعسكرية والاستخبارية» هو تفتيت وتفكيك العرب على أسس ما قبل الدولة الوطنية لتسهيل السيطرة عليهم، وذلك عن طريق العصبية الطائفية والعرقية والحضارية لكون أمريكا وصلت الى مرحلة الشيخوخة وأصبح نظامها الرأسمالي عاجزاً عن توفير

احتياجات إمبراطوريتها ومالم يتم تمزيق العرب لتغذية الخلافات والصراعات بينهم فهي تدرك أنها ستكون عاجزة عن السيطرة على الموارد وبالتالي تزداد أزمته البنيوية اتساعاً، ولذلك سعت على القضاء على محركات الثورة كالحركة القومية «حزب البعث»، وأعلنت حربها على العراق في مطلع عقد التسعينيات وكان حزب البعث هو حركة التحرر التي تهددها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لذلك أشعلت الفتن الطائفية في العراق وحروب الأديان حتى تستطيع فرض نمط يخلصها من الصراعات ويبعدها عن شبح الانهيارات، وهي اليوم كما هو واضح للعيان قد ساهمت في خلق إسلام سني يواجه بكل رباطة جأش الإسلام الشيعي ولم نعد نسمع عن الأزمات الاقتصادية التي كانت تبدو كشبح يهدد بنيتها الإمبراطورية بالفناء والتلاشي والاضمحلال بل كادت أن تتجاوز تلك الأزمات بفضل حركة الدمار الشامل التي يقودها المسلمون ضد بعضهم بعضاً، وبعد أمد لن يطول يصبح التوفيق بين المسلمين مستحيلاً، وتسعى الصهيونية العالمية الى أن تكون المواجهة بين المعسكرين السني والشيعي أبدية لتصل الى مرحلة التدمير الشامل وبحيث يتحول العرب والمسلمون الى كتلة تاريخية محاربة لا تحب السلام والاستقرار تحركهم الاحقاد والعصبية والثارات وهي حالة لا تنسجم مع حالة العالم ولا مع مصالحه، وعند هذه النتيجة قد ينشأ توافق عالمي على

ضرورة القضاء على الإسلام باعتباره الحل الوحيد لإنقاذ العالم من شروره.

مثل هذه الرؤى ليست من نسج الخيال ولكنها استراتيجيات مدركة وواعية، بيد أن العرب قوم لا يفقهون ولا يقرأون وهم يتعرضون لتلك المؤامرات ولكنها سوف تتكسر على صخور جبالهم وتتكسر الموجات على صلابة إرادة قاهرة هي الأقوى وهي إرادة الله.

اليوم أمريكا تشهد ثورة عارمة تكاد تعصف بها، وكل المؤشرات التي ظهرت في الأشهر الأخيرة من حرب فيروس كورونا تقول ثمة تراجع يحدث في مسار النظام العالمي ينذر بتبدل وتغير لم تكن أمريكا ولا نظامها الرأسمالي يحسب حسابا له، هذا التراجع يفسح المجال للصين كي تكون في صدارة النظام العالمي الجديد، وتلك هي سنن الله في كونه بقاء الحال على ما هو عليه من المستحيلات التي لا تتسق مع عقل ولا منطق ولا تاريخ.

أمريكا تشرب من ذات الكأس الذي كانت تذيقه أنظمة العالم التي تسير ضد واقعها ومصالحها وقد هيا الله لها أحماقا بذات المواصفات التي هيا بها للنظام الاشتراكي في بداية عقد التسعينات من القرن الماضي وهي تترنح اليوم وسيكون السقوط مدويا لا محالة.

كشفت أمريكا أوراق لعبتها للعالم، "فترامب " بكل حماقته كان معولا يهدم صخور التبلد في أذهان المخدوعين بأمريكا لتكون كالحقيقة عارية دون خداع وزيف، تجردت من مفردات حقوق الانسان، وتجردت من كلمة الحريات والأقليات، ومن الديمقراطية ومن كل القيم التي لم تكن حقائق بل زيف وخداع تحاول من خلالها فرض هيمنتها على العالم وتفرض من خلالها شروطها لخضوعه.

سقوط النظام الرأسمالي أصبح وشيكا ولن يكون حال العالم ولا النظام العالمي كما كان عليه

قبل كورونا فكورونا أدار حربا عالمية أحدثت تبديلا عميقا في بنية النظام العالمي ما كان للبشر أن يبلغوه، فإذا كان العالم خسر الكثير من الأرواح - وهي طبيعة كل الحروب - فهو يكسب واقعا جديدا ونظاما عالميا جديدا قد يكون هو الأقرب الى الحق والعدل وهما غايتان ظل البشر ينشدونها عبر تاريخهم وثوراتهم القديمة والحديثة.

(٢٢ مايو) في ذكراه الثلاثين

القارئ لحركة التاريخ اليمني يلمح نزعة الذات اليمنية الى التسلط أو الى التصدر، وبسبب تلك النزعة كانت تحدث الصراعات والانقسامات، ولم تزل تلك النزعة أكثر بروزاً في تأريخنا المعاصر وهي ذات تجذر تأريخي واستمرارها في الذات اليمنية لا يعني أكثر من استمرار حركة التأريخ كمتواليات تفاعلية ذات تشابه في الأحداث والوقائع.

وحين نتحدث عن التغيير والانتقال في ظل غياب البعد المعرفي للجزر التكويني وغياب الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجيا فنحن نتحدث عن أماني، والأمني هي تعبير عن حالة تطلعية في ظل معوقات واقعية موضوعية، لم نملك القدرة المعرفية على تفكيكها حتى نتمكن من ابتكار البدائل وبما يساهم في العلمية الانحرافية في المساق التاريخي.

مشكلة اليمن منذ بدء نشأة الدولة الحديثة في مطلع الستينات من القرن الماضي أنها تنفق جل الموازنة العامة على مفردات القوة وإدارة الصراع ولم تفكر يوماً في أهمية البحث العلمي في التخفيف من حدة الصراع وقدرته على إحداث عمليات الانتقال، فالتعبيرات السياسية المتعددة التي وصلت

الى سدة الحكم تستغرق ذاتها في صراعها مع الآخر حالات انفعالية، وهي بذلك تستسلم بكل إرادتها لقانون التاريخ وتفسح له المجال كي يكرر نفسه وأحداثه ووقائعه الى درجة تعطيل حركة المجتمع في التحديث والانتقال، فالحروب والصراعات والنزاعات تعمل على يقظة الهويات التاريخية بكل تشوهراتها ونبوءاتها التي لا تتناغم مع روح العصر الذي نعيش، لذلك فكل الحروب التي حدثت بعد الوحدة عام ٩٠م لم تترك إلا مجتمعا متخلفا وثقافة تقليدية، واقتصادا راكدا، حتى تلك التحولات التي ظننا أنها تحولات لم تكن تحولات بنيوية عميقة، فقد تركت وراءها مجتمعا مغتربا، وثقافة مستلبة، وشخصية منقسمة على نفسها، فالحروب هي بمثابة الانقطاع الحضاري المتجدد في المكان الجغرافي، والزمان التاريخي بما تتركه من أثر في النسيج الاجتماعي والثقافي والأخلاقي، مثل ذلك يكون سببا مباشرا في ازدواج الشخصية، وتنافر السلوك، بل يكاد يشكل تعارضا بين الفكر والممارسة.

وأمام مثل ذلك تصبح حاجتنا الى المعرفة في البناء المتناغم مع الجذر التكويني والمنفاعل مع المتغيرات العصرية اكثر ضرورة وأشد إلحاحا في ظل ما نشهده من حالات جدل واسع حول بناء الدولة ، فالقوالب الجاهزة والنماذج العالمية في شكل الحكم ونمطه لم تتأثر بها الدولة اليمنية التاريخية بل ابتكرت نموذجها الخاص وشكلها المعبر عن تكوينها

وأبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية، ولذلك رأينا التناقض بين النماذج والأشكال التي خضنا تجربتها في تأريخنا المعاصر وبين حاجات المجتمع الذي نسوس وضروراته التحديثية، إذ نشأت حالات تصادمية بين مكونات المجتمع والتعبيرات السياسية مثل حالات الصدام بين المؤسسة الدينية والقوى الطلائعية، والصدام بين الرموز الاجتماعية والدولة، فالصدام مع المؤسسة الدينية أوقعنا في حفرة الفراغ الحضاري والثقافي، الذي عمل على إنتاج ازدواج الشخصية، وتنافر السلوك وشكل تعارضاً بين الفكر والممارسة، والصدام مع الرموز الاجتماعية عمل على تعطيل سلطة القانون وغياب الدولة واغتراب المجتمع، وسيادة الثقافة التقليدية ، وبسبب ذلك ظلت كل العمليات التحويلية في ذات المربع الذي بدأته إذ كانت مظهراً شكلياً لم يلامس الأسس البنيوية للمجتمع، فالوحدة اليمنية حملت مشروعا نهضوياً وتحولياً كاد أن يصل الى كل البنى المجتمعية بيد أن حرب ٩٤م حولت ذلك المشروع الى ظاهرة شكلية، فالثقافة التقليدية تجلّت ملامحها من خلال مشروع الشيخ الذي بدأ بعد ٩٤/٧/٧م وعلى أثره كانت منظومة الحكم كلها ذات بعد معياري واحد، فالسلطة التشريعية كان جلّ قوامها من الرموز الاجتماعية، والجهاز التنفيذي والأمني والعسكري خضع للمعيارية الاجتماعية وغاب القانون والاستحقاق الوظيفي، فالعرف كان أقوى من

القانون حتى في معيارية الوظيفة العامة تلك المقدمات كانت سبباً مباشراً وغير مباشر في شعار الحراكين باستعادة الدولة كرمزية على غيابها وطغيان مشروع الشيخ الاجتماعي الذي تماهى مع مشروع الشيخ الديني فكان ذلك التماهي عاملاً مهماً في غياب الدولة , واغتراب إنسان المحافظات الجنوبية كان أكثر من اغتراب إنسان المحافظات الشمالية بسبب الحضور المكثف للدولة في الجنوب إبان فترة حكم الحزب الاشتراكي في حين كان حضورها حضوراً جزئياً في المحافظات الشمالية وأيضاً متفاوتاً بين الفينة والأخرى.

ثمة خصوصية يمنية يجب أن تجد تعبيراً عنها في شكل وبنية الدولة القادمة حتى تمتد بصيغة تفاعلية مع الماضي لتبدع الحاضر والمستقبل، فالشعور بالقيمة الثقافية والحضارية هو الامتلاء الذي يبحث عن الأجد والأروع ويحضُّ على الابتكار والإبداع ويُعمق من قيمة الانتماء للفرد والجماعة، ويوثق من عُرى الأصرة الوطنية ويعزز من قيمة يمنية اليمن.

ولذلك يفترض بنا أن نضع فكرة الاستقرار على طاولة النقاش والاهتمام وقبل ذلك لابد من استبدال القوى التقليدية العتيقة في المجتمع بطاقات جديدة، فكل الاحزاب بلغت من العمر عتياً وظلت عن سواء السبيل وكانت نتاج مراحل

نضالية قديمة جاءت وفق شروط المراحل وظلت تراوح مكانها لم تتجدد في فكرها وايدولوجيتها فالثبات كان سمتها الغالبة ومن الطبيعي أن تفقد حالة التفاعل مع الواقع لفقدانها لشروط التجدد، ويلزم دعم قوى جديدة تكون تعبيراً عن المرحلة لكي تؤسس للمراحل القادمة وتؤسس للاستقرار.

لقد وصل الوطن الموحد الى مراحل التنشيط والانقسام وتعددت تعبيراته اليوم ولا جامع مشترك للفرقاء - وفق الخطاب المتداول - كما لا مشروع وطني واضح المعالم والاركان والابعاد فالغالب هو الاشتغال على مصالح غير وطنية وتنفيذ أجندات خارجية ولذلك فالتيه هو سمة المرحلة وقد بدأت تتضح حقائقه، وبدأ الناس يفقدون حماسهم للمشاريع الصغيرة في الجنوب على وجه العموم وهو الأمر الذي يفرض علينا بناء المستقبل على أسس الخير والعدل وابتكار واقع جديد يكون تعبير عن اليمن الواحد الجديد.

فالذكرى الثلاثين للوحدة اليمنية التي نحتفل بها اليوم هي لحظة تقييم ومراجعة حتى نستطيع البناء على أسس وطنية متينة ونكون في حالة تجاوز لعثرات الماضي.

اليمن الواحد.. بين التوحد والتشظي

أضحت الوحدة الاندماجية التي حدثت بين شطري الوطن عام ٩٠م، قضية وطنية بالغة التعقيد، فالحديث عن أهميتها واستراتيجيتها وأثرها، لم يعد حديثاً مجدياً، بعد أن تركت الصراعات، وحرب صيف ٩٤م، ظلالاً قاتماً على واقعها، وتصاعدت دعوات فك الارتباط، واتسعت قاعدتها الجماهيرية، ومبرراتها الموضوعية، ذلك أن الحروب لا تترك إلا جرحاً غائراً في العمق النفسي، ولن تخفي بين جذوة انتصاراتها إلا رماداً قد يشتعل في لحظة تاريخية فارقة، كالذي حدث تحت سماء الربيع العربي، حيث أن الشعور بالظلم والانكسار، والهزيمة، شكل دافعاً مهماً في عملية التحول في الموقف التي يشهده الوطن، فالذين كانوا يجرمون القول بالانفصال أصبحوا الآن أكثر تقبلاً له، والذين كانوا يدعمون الحراك ويتعاطفون معه، أصبحوا الآن أكثر ضيقاً بطرحه، الى درجة الصدام الدامي، والمواجهة المسلحة، في أكثر من مكان، ولم يكن مثل ذلك إلا نتائج منطقية لمقدمات كان الاستبداد والاستفراد أبرز مظاهرها.. ويمكن أن يقال إن فقدان القيمة، والمعنى، والشعور بفقدان القوة، عوامل نكوص وانكسار، تعمل على إيقاظ الهويات

التاريخية المتناثرة، وهي عوامل تشظي، تفتت في عضد الوحدة الوطنية، وتساعد على إنتاج كيانات متصارعة، وهو الامر الذي يمكن قراءته في تجليات المرحلة، ومظاهرها، ومناخاتها الثقافية والسياسية، فالقضية الجنوبية أصبحت حقيقة لا يمكن القفز على مفردات وجودها، وهي جزء من قضية وطنية كبرى، ذات أبعاد وأشكال متعددة، تركتها مناخات الصراعات منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، والوقوف أمامها يتطلب نقداً ذاتياً ورؤية تصالحية مع التاريخ.

ما لا يدركه فرقاء العمل السياسي الوطني، أن الربيع العربي عمل على تفكيك الهويات التاريخية والثقافية، وأنتج كيانات في ظاهرها الجدة والعصرنة، وفي كوامن جوهرها الامتدادات التاريخية، وهي امتدادات تحاول إعادة التكيف مع الواقع الجديد، ولن تكون تلك الكيانات الجديدة، إلا كيانات متصارعة تبحث عن الوجود، والبقاء والحفاظ على القيمة والمعنى... وفي ظني أن غياب المشروع الحضاري الجامع سيكون سبباً في ملء الفراغات التي تشتت الامتلاء، فغياب المشروع لا يدل على ربيع عربي، بل دلّ على عدميته، والعدمية لا تنتج إلا عدماً مثلها وتشظياً، يتناثر على إثرها الوطن الى دويلات متعددة.

هناك حقائق تاريخية علينا الوقوف أمامها بمسؤولية وطنية وتاريخية، فاليمين التاريخي لم تحكمه دولة مركزية إلا وكان تحت إبطيها دويلات، فقتبان، وأوسان، مثلاً كانتا في العصر السبئي، وتمرد القيل الحميري الهيصم بن عبدالرحيم كان في زمن الدولة العباسية، ومملكة علي ابن الفضل كانت في زمن العباسيين، وبنو نجاح كانوا في زمن الرسولين، والأباضيين في حضرموت، وبنو زريع في عدن، وهكذا دواليك الى الدولة القاسمية، وامتدادها الدولة المتوكلية كانتا في العهد العثماني، والسلطنات الخمس في المحافظات الجنوبية لم تكن إلا امتداداً تاريخياً..

فالوحدة بالمعنى الجزئي في الجنوب لا يتجاوز عمرها ٢٣ عاماً (١٩٦٧م - ١٩٩٠م) عاماً فقد كانت دويلات وسلطنات ومحميات بريطانية ومثل هذا التراكم لن يحقق استقراراً، لاستحكام العامل التاريخي والثقافي فيه، لذلك فالحكم المحلي واسع الصلاحيات القائم على الشراكة والتجانس التاريخي والثقافي، هي الخيار الأمثل لأمن واستقرار ونماء هذا الوطن، ولن تكون المحلية حلاً في ذاتها، إلا إذا تكاملت مع قيم ومبادئ الدولة المدنية الحديثة، التي تضمن تكافؤ الفرص، وتحقيق عدالة التوزيع، وتعمل على المساواة، وتعزز وتقّس سيادة القانون، وتعمل على تحديث البنى الاجتماعية والثقافية، فالبنى القبلية يجب أن تحل محلها البنى المؤسسية، ووعي الغنيمة يجب أن ينزاح

الى وعي الانتاج، والتراث الفكري يجب أن يُقرأ بوعي الحاضر، ومثل ذلك يتطلب عملاً مضاعفاً وتكاملياً، ونحسب أن المناخات العامة مهياة لقرع نواقيس البداية فيه، فالتعدد في وسائل الاتصال، واتساع الأفق المعرفي، يجعل المهمة أيسر مما كانت عليه في الماضي، فال فراغ الذي تركه هذا الربيع يجب أن يُملأ بمفاهيم مدنية وحداثية، وعلى المثقف الحقيقي أن يستعيد دوره الجماهيري، ويستعيد سلطته التي صادرها عليه السياسي، لتكون الحياة أكثر نمواً وتطلعاً ورغادة عيش.

لقد أظهر المثقف العضوي - الاحزاب والمنظمات - فشلاً ذريعاً في صناعة واقع أجد يتوازي وأحلام وتطلعات الناس، ذلك لأنه يتمحور حول الأيديولوجيا أو حول النص ولم يتجدد، وتبعاً لذلك، فقد عجز عجزاً كاملاً عن ضبط إيقاع المفهوم، وشاعت في ممارسته وتعاطيه وتفاعله مع الاحداث الفوضى (سقوط الأيديولوجيا)، والفوضى لا تصنع مستقبلاً آمناً ومستقراً، ولكنها تمهد الطريق للماضي لكي يتمظهر بمظاهر الثورية والتطلع، ولا تجد نفسها - أي الفوضى الشائعة - إلا في موقف المبرر والمدافع، ومثل ذلك أصبح ملحوظاً ولا يمكن تجاهله، وغياب المثقف الحقيقي والفرد كان نتاج استبداد وإقصاء، ونتاج واقع تمّ تكريسه في الوجدان الجمعي لا يحتفي إلا بالشكل والأدعياء، دون النفاذ الى جوهر الاشياء.

لقد مارس ذلك الواقع، قمعاً، وإرهاباً فكرياً، ونفسياً، واجتماعياً، توارى على إثر ضرباته المثقف الحقيقي، لبحث عن قيمته في ذاته ولم يجدها، ورأينا كيف أنّ ذلك الواقع لم ينتج مثقفاً نوعياً يكون امتداداً للجاي والبردونى والمقالح، وغياب المثقف الحقيقي، دالٌّ على غياب البعد الحضاري، إذ أنّ تلازماً عضوياً بين البعد الحضاري، والنهضة الفكرية والثقافية والإبداعية، وسياقات التاريخ تحدثت عن ذلك التلازم، فالبعد الحضاري لم يكن إلا نتيجة لمقدمات موضوعية ومنطقية، واستقرار الاوطان يظل رهن وعي نخبها، ويقظة الهويات التاريخية لن تكون إلا رهن الممارسات الخاطئة التي تقوم بها الانظمة، لذلك فإن دعوات فك الارتباط ليست إلا نتيجة لمقدمات خاطئة، واتساع دائرة تلك الدعوات سوف يضاعف من الشعور بالتفرد، والاستقلالية، ويضاعف من الاحساس بالضيق بالآخر- ونحن نلاحظ مثل ذلك في الجنوب وفي تعز كما بدأ ينمو في خطاب أهل البيضاء بعد حادثة بنت الاصبحي - وهو الأمر الذي يصطلح عليه - بتجزئة الهوية الوطنية - ومظاهر تجزئة الهوية، دالة على وجود خلل في المنظومة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، لذلك فتفعيل دور المثقف الفرد، والنوعي، وتفاعله الايجابي، ومشاركته، قد تخفف من وطأة الأحداث، وتحدّ من امتدادها، وتساعد في لملة

المتناثر, لوعيه, ولأهميته العضوية, ولإدراكه لنتائج المقدمات.

لقد أضى الوطن على ريشة برق، إما أن يطير الى المستقبل الآمن والمستقر بسرعة البرق، أو ينفجر ويتناثر بالسرعة ذاتها، فالحوار في اعتقادنا صيغة إجماع توافقية , والشراكة الوطنية نضمن من خلالها وجودنا وتفاعلنا المثمر والجاد مع المستقبل الآمن والمستقر الذي يتجاوز أخطاء المراحل ليصنع مرحلته، ومن المعيب أن يكون مرجعية تضمن حل إشكالات الجماعات والافراد التاريخية فمثل ذلك يجب تجاوزه ، ولعل الاشتغال على قانون العدالة الانتقالية والتوافق عليه قد يعمل على حلّ كل الاشكالات التاريخية, وفق رؤية تصالحية لا عقابية- فاللحظة التاريخية عليها أن تجبّ ما قبلها، وقد أثبت هذا النهج نجاحه, وتأثيره المتنامي على الافراد والجماعات, في تحقيق الانسجام, والوئام, والتفاعل مع المستقبل- كما في موضوع الطلقاء في فتح مكة- فالغاء الآخر قضية غير منطقية, لكون الإلغاء يكون خلقاً لقوة مضادة, ومناهضة, لن تترك إلا أثراً مدمراً, يهدد الحياة والسلم والاجتماعي، فكل دولة في التاريخ, خلقتها الدولة التي سبقتها، وعلينا أن نتجاوز هذه الاشكالية التاريخية, بالتأكيد والنص على الدولة المدنية الحديثة، التي تضمن للجماعات, والأفراد, حق الوجود, وحق التعبير,

وتضمن عدالة التوزيع, وتكافؤ الفرص, فالشرارة قد تصبح ناراً, وكل صغير قد يكبر, ودعوات فك الارتباط كانت صغيرة, فتجاهلناها, وما هي تهدد الوطن اليمني بالتشطي والانفصال, ولن يكون غيرها إلا مثلها إذا لم نتداركه من الآن.

ما أرغب في التأكيد عليه, هو أنّ الدولة اليمنية الواحدة , حملت تباشير مشروع حضاري قادر على أن يحدث الانتقال المنشود, لذلك فإصلاح مسارها أصبح ضرورة وطنية كبرى, ومسؤولية الإصلاح لا تخص طرفاً بعينه دون الآخر, ولكنها مسؤولية تكاملية, إذ أن ما تصدّع في جدار الوحدة, لا يمكن رأبه في غياب الروح الوطنية المتكاملة, وعلى الذين أساءوا الى هذا المشروع الحضاري أن يعتذروا لعموم الشعب اليمني لأنه صاحب المصلحة الحقيقية منه... , وعلى دعاة الانفصال أن يستعيدوا وعيهم بمكونهم الثقافي, وأن يجهدوا أنفسهم في البناء لا الهدم, فك الارتباط ليس أكثر من نكوص وتشطّ.

الفصل السابع

الادب وإمكانية تغيير الواقع

سؤال الهوية اليمنية

سؤال الهوية في الرواية اليمنية المعاصرة

ما هو ثابت وفق قانون الصيرورة التاريخية أن الواحد يتعدد، وتتعدد فيه الثقافات والنزعات العرقية وقد تترك العوامل التاريخية ظلالاً مؤثرة في الحيات المستقبلية للأمم.

فالجزيرة العربية في التاريخ القديم كانت وحدة جغرافية مترابطة، وكانت مسرحاً لأحداث تاريخية ذات تعدد وذات تنوع، إذ نشأت فيها ممالك وحضارات كانت تتسع بذاتها وبنفوذها في كل الجزيرة.

وتحدد المعلومات المعتمدة عند المؤرخين القرن العاشر قبل الميلاد كزمن بزوغ الحضارة اليمنية التاريخية , وترى في ذلك التاريخ بداية حركة التاريخ السياسية والثقافية والحضارية ويقترن ذلك الزمن بسبأ كدولة , أو كحركة تاريخية بأبعاد سياسية وثقافية وحضارية إذ يرى فيها كثير من المؤرخين أنها قطب حركة التاريخ اليمني بكل ما يحمله

من أبعاد , فدولة سبأ التاريخية هي أكبر وأهم تكوين سياسي , ولم تكن دولة معين , وقتبان وحضرموت سوى تكوين سياسي تدور في فلكها , فهي قد ترتبط بها – أي بالدولة السبئية أو قد تنفصل , أو قد تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير التي لقب ملوكها بملوك سبأ وذو ريدان , وذو ريدان هم حمير.

وقد ذكرت النقوش ملكة سبأ التي حكمت في القرن العاشر قبل الميلاد وبعدها ذكرت عدداً كبيراً من المكربين والملوك الذين توالوا على الحكم في دولة سبأ , والفرق بين الملك والمكرب هو ان الملك يحكم شعباً واحداً أو قبيلة واحدة بينما المكرب لقب للموحد لعدة شعوب , ووجود المكربين في تاريخ اليمن القديم يوحى بالتعدد ويوحى بنزعة الانتماء للجذر الحضاري والتاريخي , وفي دراسة إحصائية لاحد الباحثين في التاريخ القديم , وجد أن المكربين أي الموحيين لليمن في الدولة اليمنية القديمة , بلغوا خمسين مكرباً , وكانت إحصائية قائمة على التواتر الزمني مبتدئاً من القرن الثامن إلى القرن الأول من قبل الميلاد ومن أولئك كرب إل وتار بن زمار علي, ويرجع المؤرخون أن صاحب نقش صرواح الكبير الذي ورد مضمونة أنه قام بعدة حملات عسكرية داخلية خلال فترة حكمه يهدف منها إلى تثبيت السلطة المركزية لدولته, وتأديب من خرج عنها , وشملت حملاته مناطق أوسان وغيرها من المناطق الجنوبية حتى

باب المنذب , كما شملت حملاته أيضاً مناطق امتدت ما بين نجران والمعافر من بلاد الحجرية وبعض مدن وادي الجوف مثل نشان , ونشق , ويذكر النقش أنه كافاً المناطق التي حافظت على الولاء له مثل حضرموت وقتبان ويذكر المؤرخين أن سبأ ظلت حتى القرن الخامس قبل الميلاد هي الدولة المركزية القوية ثم بدأ يدب الضعف فيها فخرجت عن سيطرتها مناطق عدة واستطاعت تكوين كيانات مستقلة , ودخلت الدولة الناشئة في منافسة مع الدولة المركزية وحاولت مشاركتها النفوذ السياسي والتجاري مثل معين , وقتبان وحضرموت .

ويروي المؤرخون أنه في الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي انتهت حضرموت كدولة على يد شمريهرعش بن ياسر يهنعم، وهو الملك الذي تنسب إليه الاخبار كثيراً من البطولات والأمجاد وهو من أبرز الشخصيات الملحمية في القصص والحكايات وقد استطاع هذا الملك توحيد الكيانيين السياسيين الباقين هما:

سبأ وحمير في كيان واحد، وأقام حكماً مركزياً قوياً وحمل لقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واستبدل مأرب كعاصمة بظفار، وقد عرفت هذه الفترة بحمير، وكان من أبرز تجلياتها بروز أبي كرب أسعد الكامل الذي حكم في مطلع القرن الخامس الميلادي وقد لقب بملك سبأ وذو ريدان

وحضرموت ويمنت وأعرابهم طوداً وتهامة، في زمنه عرفت اليمن الديانة التوحيدية وقيل أنه كان يحكم الجزيرة العربية كلها.

ومع دخول الديانات التوحيدية إلى اليمن حدثت النزاعات والانقسامات على أبعاد ثقافية ودينية، وفي السياق ذاته بدأت التداخلات الخارجية كالأكسومية والفارسية وبغرق أسار يثار المعروف في التداولات العامة بذي نواس، يكتب التاريخ نهاية الدولة الوطنية التاريخية لتبدأ الأكسومية ثم الفارسية ثم يبدأ العصر الإسلامي بدخول اليمن للإسلام.

خضعت اليمن للدولة الإسلامية الجديدة وارتبطت بالمدينة المنورة وبدمشق وببغداد وثمره حركات في التاريخ الإسلامي كانت ترمي إلى استعادة المجد التاريخي وظلت تقاوم روح الفناء والتماهي وقد استطاع الملك علي ابن الفضل أن يحكم كل اليمن , وتمكن الرسوليين بقيادة مؤسس ملكهم الملك المنصور من توحيد اليمن كله من حضرموت جنوباً وحتى مكة شمالاً , وبسطوا سيادتهم الفعلية على كل الجهات بما فيها الجهات الزيدية , وقد جابهوا الكثير من حركات التمرد في أكثر من جهة شأنهم في ذلك شأن الحركات والتعبيرات السياسية الوطنية في حقبة التاريخ المختلفة .

ويتحدث التاريخ الإسلامي انه بخروج الاتراك من اليمن بعد حملتهم الاولى عام ١٦٣٥م استطاع الامام المتوكل على الله

إسماعيل بن القاسم توحيد اليمن، الجغرافيات الطبيعية والامتداد التاريخي، أي من أقاصي الجنوب والشرق، حضرموت وظفار الحبوضي إلى أقاصي الشمال باستثناء مكة، في ذات النسق الذي كان الحال السياسي في اليمن الموحد في العهد الإسلامي في دولة الرسولين ودولة الصليحين.

وبعد حركات الانقسامات التاريخية في القرن الثامن عشر الميلادي ، ينفصل القسم الشمالي اقليم عسير لصالح الدولة الوهابية السعودية الاولى ثم لصالح محمد علي باشا في مصر وينتقل الاقليم من اشراف المخلاف السليماني الى الادارسة ثم إلى الدولة الوهابية السعودية الثانية في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي , ويعود العثمانيون من جديد عن طريق تهامة عام ١٨٤٩م وبدخول محمد علي باشا في المعادلة الوطنية يدخل الانجليز في عدن ثم تبدأ الانقسامات على أسس جهوية وطائفية وعرقية وثقافية , فالسلطنات تنشط في الجنوب والزيدية تنشط في شمال الشمال والهضبة الوسطى إلى يريم والعثمانية تفرض هيمنتها على مفردات الفعل السياسي الوطني في جل جغرافيات الشمال وبريطانيا بوجود قوتين أجنبيتين هما بريطانيا في عدن والعثمانيون (الاتراك) في صنعاء , يضطران تحت ضغط النفوذ أن يوقعا في عام ١٩١٤م معاهدات ترسيم حدود النفوذ بينهما وعند هذا العام شهدت اليمن الانقسام وفق

المعاهدة البريطانية التركية إلى ١٩٩٠م عام إعلان الوحدة الوطنية , ولم يطرأ على ذلك الاتفاق سوى بعض الاستحداثات للبريطانيين في أيام الدولة المتوكلية , منذ تاريخ المعاهدة التي حددت مناطق النفوذ أي منذ ١٩١٤م أطلقت بريطانيا تسمية الجنوب العربي لإعطاء الجزء الذي يسيطرون عليه أهمية اعتبارية مستقلة وتابعة لهم ومنفصلة عن هويتها التاريخية والحضارية حتى يسهل عليها فرض ثنائية الهيمنة والخضوع واستمرارها .

وعند هذه النقطة الفاصلة التي تم تقسيم اليمن إلى دولتين وتم فصل الجنوب عن هويته التاريخية بإطلاق تسمية الجنوب العربي تلقتي التوافقات بين حركات الانقسامات الحديثة حيث يصر الحراك الجنوبي على تسمية الجنوب بالجنوب العربي منفصلاً عن هويته الحضارية والتاريخية وذهبت رؤيتهم إلى نفي يمنية اليمن ومثل ذلك المذهب من القول لا يتسق مع البنية التاريخية التراتبية الممتدة من بدء النشأة للدولة التاريخية اليمنية إلى عام ١٩١٤م وهو العام الذي تم التوافق فيه بين قوتين غير وطنيتين على ترسيم حدود مناطق النفوذ وهما الدولة العثمانية التي كانت تحتل الجزء الشمالي والدولة البريطانية التي كانت تحتل الجزء الجنوبي .

ويتضح من خلال السرد التاريخي المقتضب في سياق هذا الموضوع الذي يعتمد اقوى المصادر التالي:

١- أن حركة الانقسامات في الحركة التاريخية كانت نشطة في حال فقدان القوة والنفوذ، والشعور بعدم قدرة المركز في التعبير عن الكيانات (الأقوال) في حقب التاريخ المختلفة

٢- نزعة التوحد والالتحام بالجزر التاريخي والحضاري والتكويني كانت أيضاً أكثر نشاطاً فوجود أكثر من خمسين ملكاً مكرّباً أي موحداً يجل دلالة كبيرة في واحدة الجغرافيا والهوية التكوينية الحضارية والثقافية

٣- ظلت الهوية الوطنية واحدة طوال حقب التاريخ المختلفة ولم تشهد انقساماً في الجغرافيا إلا ما بين قوتين غير وطنيتين ولم يكن ذلك الانقسام تعبيراً عن حالة وطنية واجتماعية بل تعبيراً عن حالة سياسية لقوتين غير وطنيتين، ولذلك ظل الاشتغال على هاجس الوحدة في النظامين الثوريين في الشمال والجنوب كامتداد لحنين التوحد التاريخي وهاجسه كاستجابة لضرورة تاريخية تفرضها مفردات التكوين وواحدة الهوية والانتماء.

وتأسيساً على كل تلك الاستنتاجات والتموجات التاريخية في التعبير والتأسيس السياسي اليمني نجد أن يمنية اليمن قضية منطقية ثابتة ولا يمكن للقوى السياسية المناهضة المزاييدة بها أو نفيها لأنها بذلك

تضرب الهوية اليمنية في بعديها الحضاري والتاريخي في العمق وتحاول تعطيل حركة التاريخ وقانونه , فتعدد الواحد كصيرورة زمنية لا تستدعي النفي التاريخي ولا التجرد من البعد الحضاري , ولا التنكر للهوية , بإمكان الواحد أن يتعدد مع احتفاظه بكل مكونه الحضاري والتاريخي والثقافي فالشعور بالحالات القهرية لا يبرر العودة إلى نقاط تاريخية بحثاً عن معادل موضوعي كي يحقق قدراً من التوازن النفسي والاجتماعي فالانفصال بالضرورة التاريخية يفضي إلى هاجس التوحد , وهاجس التوحد بالضرورة التاريخية يفضي إلى الانفصال , وهنا تكمن الاشكالية الوطنية , وهي إشكالية تاريخية ذات عمق وتجزر ونظن أن الاستمرار في متوالياتها وحلقات سلسلتها الزمنية لن يحمل عصا سحرية ليبدد كل ذلك الإرث والتراكم في المساقات والسياقات العامة فالتغير الحقيقي يبدأ من تلك اللحظة التي ندرك فيها قانون التاريخ وهي اللحظة التي تجعلنا في تفكير مستمر في كيفية التعامل مع ظلاله العام وكيفية الاشتغال على عملية التحديث في مسارة وبما يحقق قدراً كافياً من الاستقرار والنماء والتجديد والتحديث وبما يحقق قيمة الذات ويجعلها في تناغم كامل مع مكوناتها العام لا في عملية تضاد كما نلاحظ , فشعار

استعادة الدولة يحمل في طياته دلالات غيابها ,
والغياب ليس بدلالة كثافة حضورها في زمن حكم
المنظومة الاشتراكية كما تذهب بعض القوى إلى ذلك
بل هو غياب قيم الحق والخير والعدل والسلام .
لذلك فالانفصال ليس حلاً لإشكالات الانسان كما ان
الوحدة الاندماجية التي سطرته مفردات القوة في
صيف ١٩٩٤م ليست حلاً ايضاً والحل يكمن في قدرة
العقل السياسي على احداث التناغم والانحراف في
السياق التاريخي وهي معادلة صعبة لكنها قابلة
للتحقق.

المتأمل في الحالة السياسية اليمنية يجدها لا تخرج عن
جذرها التاريخي، ومتواليات انكساراتها دالة على الفراغ
الحضاري الذي حدث قبل انهيار السد، ولم يكن «العزم»
وفجوته الحضارية ألا تتويجاً لمرحلة انكسارية كانت قد
سبقتها.

والثابت أنّ الذات اليمنية كثيرة الاعتزاز بذاتها لذلك
فإن ما أبدعته سبأ وحمير في غابر الايام لم يكن الا تفجيراً
لكوامن الذات وتوظيفاً واعياً لطاقتها، الأمر الذي عزز
الشعور بالقوة والبأس الشديد- كما تجلّى ذلك في حديث
بلقيس وهذا الشعور لم يمنعها من ثنائية «الخضوع

والتسلط» الخضوع لسليمان والتسلط على قومها، ومثل ذلك التسلط في الغالب كان يفرض الى التشطي والانقسامات كما أنّ الخضوع عمل على التأسيس لبداية الفجوة الحضارية التي حدثت في الذات الحضارية اليمنية.

ويمكن أن يقال إن روح الانقسام بين الكيانات التي تكوّن قوام الدولة المركزية التي تحكمها بلقيس هي سبب مباشر في ذلك الخضوع، ذلك أن الدولة المركزية كانت تتكون من كيانات جزئية كل كيان كان له قيل، وبتحالف مجموع الكيانات والأقوال تتكون الدولة المركزية فإذا غضب قيل من الأقوال انفصل عن الدولة المركزية، وأعلن نفسه كياناً مستقلاً كما نقرأ عن قنبان، وأوسان وحضرموت وغير أولئك الذين تشكلوا في إطار الدولة المركزية.. فالتنظيم كان حاضراً عند الدولة التاريخية اليمنية.

كما أن التناقض كان أساساً محورياً في الأشكال البسيطة والمعقدة للحركة، وهو بيّن من خلال حالة التشاور في التفاعل مع رسالة النبي سليمان عليه السلام.

وظل الفراغ الثقافي هو الفجوة الأكثر تأثيراً في المسار الحضاري للذات اليمنية.. فالثابت أن كتب الاخبار تحدثت عن أنبياء ورسّل الى عرب الجنوب ولم تشتهر إلا قصة ملكة سبأ مع سليمان وقصص اليهودية والنصرانية، وقد ظل أثر ذلك كنوع من تطور التناقضات الداخلية في البنية الثقافية

التراكمية للمجتمع اليمني كما ظل الفراغ الحضاري والثقافي
فاغرا فيه يلتهم كل قادم بعد حادثة الاخدود في نجران وغرق
الملك ذي نواس في البحر.

ذلك أن خروج ذي ثعلبان النجراني إلى الحبشة
للاستعانة بهم كان بمثابة ذروة النكوص الحضاري الذي
بدأت ملامحه مع قصة الهدهد والعرش للملكة بلقيس ثم
توالى الأحداث من بعد ذلك في ذات المربع الذي رواه
الهمداني في الاكليل نقلاً عن الزبور حيث قال إنه ورد في
الزبور ما نصه:

- «لمن ملك دمار»؟

- لحمير الأخيار

- لمن ملك دمار؟

- للحبشة الأشرار.

- لمن ملك دمار؟

- لفارس الأحرار.

- لمن ملك دمار؟

- لقريش التجار.

إذ شهدت المراحل التاريخية المسار عينه الذي رسمه الزبور في غابر الايام، فسيف انتهج ذات المسلك لـ«ذي ثعلبان» ثم شهدت المرحلة الاسلامية نفياً حضارياً للذات اليمنية بدءاً من السقيفة وانتهاءً بما وصفه البردوني تنصيب النائب رئيساً.. ولعل الممعن في التاريخ الاسلامي يجد حضوراً فاغراً للبعد الحضاري الذي ظل طوال تاريخه وحتى اللحظة يشتهي الامتلاء.

إن القضية الوطنية اليمنية قضية هوية تعود بجذرها إلى الأشكال التاريخية التي لم يتعرض لها المفكرون ولا المثقفون لفض إشكالاتها المتوالية ولذلك فإن النتائج المتوالية نتائج مؤلمة لكل حركات التحول والانتقال التي اشتغل عليها السياسي وأهم تلك الأشكال تتمثل في الصراع الاجتماعي وتناقض علاقات الإنتاج، فاليمين الأسفل يمتاز بقيم وعلاقات متناقضة مع غيرها من المناطق ذات البنى الاجتماعية الأكثر استغراقاً في النظام القبلي كما أن الجنوب الذي حكمته النظرية الاشتراكية لمدة (٢٣) عاماً قد تركت في تصوراتها نظماً ربما كانت متصارعة مع الثقافة الرأسمالية للمستعمر البريطاني الذي حكم المحافظات الجنوبية لما يقارب قرن ونصف من الزمان ومتصارعة مع الإشكالات التاريخية في السياق الثقافي الوطني ومثل ذلك التناقض ترك أثراً في

المسار التاريخي الثوري تتوّج بحركة (١٣ يناير ١٩٨٦م) الدامية فالييسار في الجنوب لم يتمكن من فض الإشكال التاريخي ولم يتمكن من تصفيته من محتواه المتأجج والعدائي، كما أن الثورة اليمنية لم تتمكن من فض الإشكال في اليمن الأسفل وهو إشكال تركه قائمو مقام الدولة العثمانية وما تزال آثاره تهدّد السلام الاجتماعي وتعزّز من الروح العدائية والمتأججة في تلك المناطق، فالنظام الإقطاعي في تلك المناطق ترك أثراً نفسياً مدمراً وشعوراً بالدونية والنقص والفراغ ويكاد مثل ذلك يمتد إلى الشريط الساحلي كنتيجة لبعض الممارسات الخاطئة التي تنامت بعد حرب صيف ٩٤م التي شكلت منعطفاً خطيراً في اليمن الحديث فالذين خاضوا الحرب لم يكن هاجسهم إلا البحث عن الثروة والسلطة والمكانة الاجتماعية المرموقة، ولم يكن الاستقرار هدفاً في ذاته فوعي الغنيمة كان حاضراً بقوة من خلال نهب المؤسسات الرسمية والاستئثار ببعض المقدرات ومن خلال نهب الأراضي التي اقتطعوها لأنفسهم واكتسبت شرعيتها القانونية من خلال الهبات الرئاسية وتحت هذا المناخ برزت الإقطاعيات العسكرية والدينية والمشيعية على حساب الطبقات الاجتماعية الأخرى وجموع الجماهير التي كانت تشرب أعناقها إلى غدٍ أكثر رخاءً ورغداً، ولم يكن حظ الجماهير من تلك الحرب (حرب صيف ٩٤م) سوى يقظة حزمة المفاهيم التاريخية البغيضة كالاستغلال والغبن والغش

وهي مفردات تكوّنت صورتها الحقيقية في الحراك الجنوبي بكل فصائله، لذلك فالانفصال بما يعنيه من تناقض ليس نفيّاً للآخر كما أنه ليس احتواءً له ولكنه بداية سوف تظهر مع نهاية نظام علي عبدالله صالح (باعتبار هذه المرحلة امتداد له).

في ظني أن اليمن في مرحلتها الراهنة بحاجة أكثر إلى إثارة سؤالات الحضاري، وسؤالات الثقافي، وسؤالات الاجتماعي، والاقتصادي حتى تتمكن استعادة وعيها بذاتها وتجتاز دوائر الفراغ الحضارية التي وقعت فيها في مسارها التاريخي. (*)

سؤال الهوية اليمنية

برز سؤال الهوية منذ وقت مبكر في المنتج الادبي اليمني، ويبدو أن الذات الوطنية اليمنية تعيش اغترابا تاريخيا نظرا لتشظي مفرداتها كما سلف معنا في سياق السرد التاريخي في هذا البحث، ولذلك لم تكن رواية الزبيري " مأساة واق الواق " ألا تأكيدا على أن الذات اليمنية لم تكن إلا في تيه عظيم لا يتسق مع الامتلاء التاريخي الذي تقرأه في كتب التاريخ.

لقد ترك سؤال الهوية مسافة من التيه في الذات اليمنية خاصة في المرحلة التي شهدت فيها حركة الانتقال بقيم وتطلعات ثورية وهي مرحلة الخمسينات من القرن العشرين وتلك المرحلة جعلت من الادب وسيلة في تحقيق مستقبل أفضل , وبه ومن خلاله خلقت وعيا موضوعيا بالواقع فقد كان رموز المرحلة التاريخية يرون – وفق ما كان شائعا في زمانهم – أن الأدب لا ينبغي أن يقف عند مجرد تحليل الواقع وفهمه , بل إن عليه أن يقدم تصورا محتملا لإمكانات تغييره الى ما هو أفضل, ولعل العلاقة الجدلية - كما تبرز في بعض الرؤى – بين الرواية

والمجتمع في تشكل المجتمع الحديث قد تكون ذات دلالة في المجتمع اليمني بالنظر الى تاريخ صدور أول روية ١٩٣٩م ثم المسافة الزمنية بين صدور التالي عام ١٩٥٩م ولم ينشط المجتمع الادبي في الاشتغال على هذا الفن إلا منذ السبعينات من القرن الماضي فالرواية " تبدأ حين يفقد المجتمع سكونه التقليدي وتراتبه وهامشية قواه يبدأ بالتمايز والتجدد تاريخيا واجتماعيا "(١).

وتعرف الهوية في اللغة بأنها مصطلح مشتق من الضمير هو، ومعناها صفات الانسان وحقيقته، وايضا تستخدم للإشارة الى المعالم والخصائص التي تتميز بها الشخصية في فرديتها، أما اصطلاحا فتعرف بأنها مجموعة من المميزات التي يمتلكها الأفراد وتساهم في جعلهم يحققون صفة التفرد عن غيرهم وقد تكون هذه الصفات مشتركة بين جماعة من الناس سواء في إطار المجتمع أو الدولة.

ومن التعريفات الاخرى لمصطلح الهوية أنها كل شيء مشترك بين أفراد مجموعة محددة أو شريحة اجتماعية تساهم في بناء محيط عام لدولة ما، ويتم التعامل مع أولئك الافراد وفقا للهوية الخاصة بهم (٢)

لقد " بدأ سؤال الهوية يورق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضاريا، وبدأ يهدد وجوده، حين زحف الى الشرق مستعمرا. إذ إن المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة، يواجه فيها المختلف، عندئذ يردد الى مكوناته الأصلية التي تمنحه الاحساس بوجوده، أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات، إذ كلما احتدت المواجهة مع الغير، زاد المرء تمسكا بمكونات هويته وخصوصيته حتى تكاد تصبح "أناه" وهذه المكونات شيئا واحد " (٣)

فالهوية " هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح ابداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل " الانا " عن " النحن " لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء الى الجماعة والتماهي بها، ففتبادل معها الاعتراف " (٤)

نشأة الرواية في اليمن وقلق الذات

ما يزال الفصل في موضوع نشأة الرواية اليمنية يثير جدلا , فهناك من يرى أن نشأة الرواية في اليمن كان تعبيراً عن قلق وجودي للذات في عصر النهضة , ولذلك فالتجارب التي نشرت في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي لا يراها البعض ترقى فنياً إلى مصاف الرواية الحديثة , كرواية " سعيد " لعلي محمد لقمان , و" فتاة قاروت " لأحمد ابن عبدالله السقاف " وينبغي الإشارة هنا إلى أن الرواية اليمنية بشكلها الأولي تميزت بعدد من السمات , التي تحدد في حادثة التجربة الروائية ومحدوديتها , وانعدام التمييز الواضح لدى كتابها بين القصة والرواية , وتفاوت نماذجها وتعدد اتجاهاتها على الرغم من قلة عددها . لذا فإننا مضطرون إلى قبول كل ما نشر تحت اسم رواية. " (٥) وثمة رأي يقول بواحدية إشكالية التأسيس والتجذير باعتبار أن الرواية في اليمن جزء من الرواية في الوطن العربي " فالرواية في اليمن جزء من الرواية العربية أو أنها حالة خاصة، تكتسب خصوصيتها من التمايزات التاريخية

التي قد تظهر بين بلد وآخر. ولكن هذه الخصوصية لا تغطي على ما هو عام في مميزات الرواية العربية " (٦).

وبين الذين يرون " فتاة قاروت " الصادرة في أندونيسيا عام ١٩٢٧م وبين الذين يرون رواية " سعيد " لعللي لقمان هي البداية مسافة زمنية ليست طويلة , ومبررات موضوعية , فرواية " فتاة قاروت " كتبت ببلد غير اليمن وبلغة غير يمنية ونشرت بها ولذلك لا يمكن القول بيمينيتها باعتبار كاتبها من أصول يمنية , كما أن موضوعها لم يكن يمينيا خالصا , وثمة خلط في تاريخ صدور رواية "سعيد" بين من يرى ذلك في مارس ١٩٤٠م وهو الأرجح وبين من يرى عام ١٩٣٩م والزمن متقارب ولا إشكال فيه , فالذين قالوا بصدورها عام ١٩٣٩م لم يستندوا على شاهد موضوعي يمكن التعويل عليه , أما الذين قالوا بصدورها في مارس ١٩٤٠م فقد استندوا الى دراسة للمستشرق الالماني جونتير أورت بعنوان نشأة القصة في اليمن والذي استند الى مرجع في صحيفة "فتاة الجزيرة " والتي كانت تصدر بعدن زمنئذ .

وربما كانت البيئة العدنية أكثر تناغما مع هذا الجنس الادبي الوليد فقد ترعرعت في جنباتها البدايات الأولى للرواية اليمنية، ولم تشهد صنعاء بزوغا لهذا

الجنس الادبي الا نهاية الخمسينات والبعض يرجح في
بداية عقد الستينات من القرن العشرين وهي " مأساة
واق الواق".

* مأساة واق الواق:

مأساة واق الواق هي رحلة في الماورائيات بحثا عن
ذات مفقودة تريد تحقيق كينونتها في عالم مضطرب ,
لذلك كان اتصال هذا النص الادبي الروائي - وفق
قياس زمنه - بالعالم المتخيل فالعزي محمود وهو
بطل الرواية لم يكن يزعم الرحلة الى العالم الآخر بل
كان يبحث عن طريقة تساعد على تحديد موقع بلاده
على سطح الكرة الارضية وهو يجهد في اقناع علماء
الأزهر بوجوده , وحين عجز علماء الأزهر عن
كشف أسرار واق الواق باستخدام الطرق المعقولة
اقترح بطل الرواية العزي محمود الجلوس لتحضير
الارواح وفق ثقافة ذلك الزمن في الاتصال بالعام
الغيبي لكن أحد العلماء أقنعهم بالذهاب الى مقصورة
في جامع الحسين لحل المعضلة عن طريق التنويم
المغناطيسي الذي أصبح وسيلة علمية لكشف الاسرار
والخفايا التي تعجز عنها العقول العادية ويبرر ذلك
العالم مقترحه بالقول أن التنويم المغناطيسي من

الفنون النافعة المشروعة التي لا تتنافى مع الدين
ويقبل العزي محمود المقترح ويخضع لعملية التنويم
المغناطيسي بضعة دقائق ثم يصحو على صوت
الشيخ سعدان زكي الذي يطلب منه سرد ما رأى
ويقوم بتدوينه .

في سياق النص يقول العزي محمود أن الحورية
لميس أبنة أسعد الكامل قد منعته من الاقتراب من
ارض واق الواق.

وحين يلتقي العزي محمود بطل الرواية بزملاء
النضال في منطقة الاعراف مثل عبد الوهاب نعمان،
وزيد الموشكي، ومحمد صالح المسمري، وجمال
جميل يقول لهم:
- كان هدف رحلتي من التنويم هو البحث عن الشعب
وقد صدتني عن ذلك أمانة لميس.

وحين دخلت روح بطل الرواية العزي محمود
المرحلة الثانية من التنويم يتوه في الفضاء فيقابل
أربعة عمالقة يكتشف أنهم جمال الدين الافغاني،
ومحمد عبده، والكواكبي، والفضيل الورتلاني، الذين
ينقلون تنويمه الى المرحلة الثالثة من الصفاء الروحي

وحين يطلب العزي محمود الرخصة في دخول الجنة
يقال له:

- أنها رخصة مشروطة بأن لا يكون في هذه الزيارة
أي نشاط سياسي من أي نوع.

لذلك ترفض الرخصة ويقول العزي محمود:

- الواقع أنني لا أفكر في طلب مساعدة عسكرية من
الجنة، ولا أريد مالا ولا سلاحا وكل ما اطمع فيه هو
الاستئناس بأراء الشهداء في شأن بلادنا.
تبادر السلطات العليا في جهنم الى دعوة العزي
محمود لزيارتها ويقول له خازن النار مالك حين
استقبله:

- رأت اللجنة أن تطلب من السلطات العليا استقدامك
الى هنا كسائح أو ضيف على أن يكون لك الحرية
كاملة في القيام بأي نشاط سياسي، بل القيام بممارسة
التعذيب. (٧)

في المتن الروائي ايماءات في الى الهوية التاريخية
والهوية الثقافية والهوية السياسية التي كانت تتنازع

المشهد السياسي والاجتماعي اليمني في زمن التموج
الثوري أي في بداية النصف الثاني من القرن
العشرين , فابنة أسعد الكامل لميس – واسعد الكامل
هو رمز من رموز الازدهار الحضاري والسياسي
ورمز من رموز التوحد في التاريخ اليمني القديم –
تصد بطل الرواية الباحث عن ذاته في العمق الزمني
والحضاري , والته سمة ثقافية كاد أن يصل اليها
المشروع الثقافي اليمني في النصف الثاني بعد حركة
التجاذبات ويقظة المشروعات الاشتراكية والقومية
والاسلامية فيرى في محمد عبده وعبدالرحمن
الكوكبي يقينا , ويرى في جمال الدين الافغاني
والفضيل الورتلاني حاملا للمشروع السياسي والثقافي
- وجمال الدين الافغاني من المرجعيات الفكرية
لجماعة الاخوان والفضيل كان عضوا في جماعة
الاخوان قام بمهمة للجماعة في اليمن نتج عنها
انقلاب شباط ١٩٤٨م – ولميس في سياق النص
ترمز الى اليمن التي رفضت مشروع الاخوان في
انقلاب ٤٨م .

لم يكن مشروع الاخوان متسقا مع العامل الحضاري
والتاريخي اليمني لذلك بادرت لميس بصدده لأنه لم
يكن ممثدا من صميم التجربة الثقافية ولا متوافقا مع
العامل الثقافي الوطني.

والجنة التي ترفض السياسة ترمز الى القيم المبادئ
الانسانية التي ترحب بها جهنم ولا تمنع من ممارسة
التعذيب، فالسياسة في نظر الزبيري جهنم بحكم
تمردها واشتغالها على القهر والظلم والطغيان
والاستبداد.

والتنويم كان حلما بمدينة فاضلة على طريقة الفلاسفة
وكان النص يستلهم رسالة الغفران للمعري، وهو
تعبير عن سؤال الهوية الثقافية والحضارية لليمن في
النصف الثاني من القرن العشرين.

في سياق متصل تأتي أعمال القاص والروائي محمد
عبدالولي وهي أعمال تبحث عن الذات اليمنية من بين ركام
الزمن وركام الاحداث فجّل اعماله تتلخص عند سؤال
جوهري يقول من أنا؟ فثمة يمّني لم يكن يعرف أرضه، ولم
يرها من قبل ولم يعيش على أرضها، ولكنه يعيش على أرض
سواها وهو بذلك يتقاطع مع الزبيري في "واق الواق"
ويظل السؤال الذي يحفر في الوجدان الجمعي والادبي يقول:
لمن أنتمي؟

يقول النص:

" كلا ياسيدي، أنتم لم تأتوا لتحرير بلادكم، لقد أتيتم هنا هروبا من شبح الامام".

- أننا نبحث عن وطن، عن شعب، عن أمل، أنت لا تعرف كيف يكون الانسان عندما يشعر أنه غريب، ولذلك سنحاول.

- لقد مات غريبا كما يموت مئات اليمينيين في كل انحاء الارض، يعيشون ويموتون غرباء، دون أن يعرفوا أرضا صلبة يقفون عليها، أما هذا القبر فهو ليس قبره، إنها ليست أرضه وليست أرضنا.. إنها قبور أناس آخرين.. قبور الاحباش نحتلها نحن، ألا يكفي أننا نلثهم اللقمة من أفواههم لنلثهم حتى قبورهم؛ يا الهي كم نحن غرباء، كم نحن غرباء

" (٨)

رواية "يموتون غرباء " نشرت بالتسلسل عام ١٩٧١م في صحيفة " الشرارة " ثم صدرت عن دار العودة ببيروت عام ١٩٧٣م , وهي تناقش الاغتراب الزماني والمكاني وانعكاسهما على الذات , وفي السياق تبحث عن مكان وعن زمان كما يدل الشاهد الذي أورده أنفا , والكاتب كان يكتب القصص القصيرة وصدرت له مجموعة قصصية سنة ١٩٦٦م , ولذلك يمكننا القول أن رواية "يموتون غرباء" كتبت نهاية عقد الستينات من القرن الماضي , وفي هذا

الزمن كانت اليمن تعيش اضطرابا وحربا وتموجا في المفاهيم , وكان النشاط السياسي تسيطر عليه الاحزاب المغتربة عن واقعها والباحثة عنه في السياق نفسه , وبالتالي كان الفعل الثقافي يعيش ذلك التناقض الذي نتج عنه الاحساس بالاغتراب في جل المنتج الابداعي الذي يعبر عن هذه الفترة .

لقد شاع في نهاية الستينات وبداية عقد السبعينات من القرن الماضي - القرن العشرين - مقولة ربما كانت ترجمة واقعية للواقع السياسي والثقافي والاجتماعي قيل قالها القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس اليمن يومذاك وهي تنص على "أن الحزبية تبدأ بالتأثر وتنتهي بالعمالة " لذلك كان اليمنيون يقاتلون من أجل الغير فقتالهم كان بالنيابة عن عبدالناصر كرائد حركة تقدمية وبين آل سعود كرموز للرجعية العربية وقد غاب المشروع اليمني الذي ينتصر للإنسان في اليمن وينتصر لقضاياها لذلك كان الاحساس بفقدان الذات لوجودها وأيضا بقضيتها مفقودا كما تدل الشواهد التي أوردناها في السياق .

يعزز هذا الاتجاه عند محمد عبد الولي روايته " صنعاء مدينة مفتوحة " والتي صدرت عام ١٩٧٧م بعد وفاة كاتبها وهي تحاول تفسير طبيعة الصراع

الاجتماعي والسياسي اليمني في حقبة النضال الوطني الذي يتوق الى الانعتاق وبناء عالم أفضل. وقد رأى محمد عبد الولي في مضمون روايته في البنية الاخلاقية واثبات قيم الرجولة عند بطل الرواية معادلا موضوعيا ينتصر بها على الاستبداد والطغيان وكانت هذه الرؤية مثار غضب المؤسسة الدينية التي سارعت الى منع الرواية وتكفير صاحبها وطال الجدل حولها الى بداية الالفية الجديدة إلا أن ما يثير السؤال هو قول الراوي في مضمون الرواية على لسان إحدى شخصيات الرواية التي هاجرت في عمر الشباب الى شرق أفريقيا حيث ورد نص كلامها كالتالي وهو موجه الى بطل الرواية نعمان: " كنت مثلك أحاول أهرب من واقعي، حملت السلاح، وقاتلت الناس.. ناس لا اعرفهم ولا يعرفوني، وليس بيني وبينهم عداوة، ولكني قتلتهم، قاتلت مع الايطاليين وقاتلت ضدهم، كنت ابيع نفسي لمن يريد شراء أداة لإطلاق الرصاص " (٩).

هذا التيه الذي تعبر عنه الرواية ما يزال ينزاح مع اليمنيين اليوم الى حربهم التي يقودها تحالف عربي بقيادة السعودية، قد تكون الاشكالية واحدة وهي تكمن في بنية الانتماء وفي الهوية التي لم تستقر في وجدان أهل اليمن فالقتال مع وضد حالة من التيه ومن ضياع المفهوم وغياب البوصلة وغياب

الهوية الجامعة أو الكلية التي تجمع الناس للخروج من واقعهم الى غد يكون مليئا للطموحات ولو في حدودها الدنيا.

وقد رأينا في عقد الثمانينات من القرن العشرين شعورا طاغيا عند ادباء المرحلة فرواية "سفينة نوح" الصادرة عن دار الهمداني عام ١٩٨١م للروائي عبدالله سالم با وزير لم تكن إلا رغبة في الخروج من حالة التيه وبحثا عن طوق للنجاة من خلال رمزية العنوان وظلاله ومثلها رواية "صراع في جزيرة الذهب" للروائي عبد المجيد القاضي الصادرة عام ١٩٨٢م عن اتحاد الكتاب العرب.

والروايتان كانتا تؤسسان لمرحلة جديدة اتسمت بخاصية توحيد الرؤية من خلال التذكر والتجميع والرفض وهذه المرحلة امتدت في تاريخ الادب اليمني من رواية "الرهيئة" الصادرة عام ١٩٨٤م عن دار الآداب ببغداد الى عام ٢٠١٥م وربما كان هناك امتداد لهذه الظاهرة إلا أن ظروف الحرب التي يمتد زمنها من مارس ٢٠١٥م الى زمن كتابة هذا البحث يونيو ٢٠٢٠م تركت ظلالا مغاير على المشهد سوف نخصه ببحث مستقل إذا سنحت لنا الظروف.

كانت رواية الرهيئة لزيد مطيع دماج تحاول توحيد الرؤية من خلال خاصية التذكر فهي تصنع من الالم واللذة نافذة للخروج من التيه الذي كان يسود المرحلة من خلال فقدان الذات لمقومات وجودها الثقافي والحضاري والتاريخي، وقد

شغلت هذه الرواية أدباء المرحلة فكانوا من خلالها يسقطون تطلعاتهم ويعبرون عن رغبتهم في الخروج لكن بطرق ضمنية غير مباشرة.

بعد رواية الرهينة جاءت رواية "الملكة المغدورة" الصادرة عن دار المهاجر عام ١٩٩٩م وكانت بذات الصدى الذي واكب الرهينة إبان صدورها وهي رواية تتضمن رثاء طويلا لمدينة عدن على لسان ناجي الذي يهرب من الموت الى الى مدينة روان الفرنسية وكانت ترفض الواقع الذي يخاتل رؤية التوحيد للشعور بالمعنى وعلى ذات السياق سار الروائي وجدي الاهدل في جل ما صدر له من روايات مثل "قوارب جبلية" و "الومضات الاخيرة في سبأ" وغيرها.

أما خاصية التذكر في هذه المرحلة فقد كانت ملازمة للروائي محمد الغربي عمران في "مصحف احمر" و"ظلمة يائيل" و"الثائر" وأمتاز الروائي على المقري بخاصية التجميع حيث قام بتفكيك منظومة القيم الاجتماعية والانسانية ليقوم بإعادة تركيبها بحثا عن شعور مفقود من القيمة والامتلاء فالأدب لا ينبغي أن يقف عند مجرد تحليل الواقع وفهمه , بل عليه أن يقدم تصورا محتملا لإمكانات تغييره الى ما هو أفضل, ولعل العلاقة الجدلية - كما تبرز في بعض الرؤى - بين الرواية والمجتمع في تشكل المجتمع الحديث قد تكون ذات دلالة في المجتمع اليمني .

ما هو واضح من خلال السرد والتحليل أن اليمن تعيش أزمة هوية ومعالجة مثل هذه الظاهرة ليس بالأمر العسير إذا رغبت السياسة في ذلك.

أما في الجانب الشعري فيكفي أن نقف عند البردوني في هذه الاطلالة كي تدل على سواها.

- الاغتراب في شعر البردوني:

عاش البردوني في زمن كان الاغتراب سمته البارزة ذلك لأنه عكس أزمات سياسية واجتماعية وأخلاقية وفكرية ومن زاوية أخرى شعر الإنسان بقدراته وإنجازاته الهائلة في تحقيق قدراً من الوجود مما سبب قلقاً وخوفاً من القادم المجهول الذي سيحمله الفجر الجديد مثل هذا القلق والخوف نلاحظه في ديوانه مدينة الغدة في نص ذكريات شيخين حيث يقول:

دخلت صنعاء باباً ثانياً ليتها تدري إلى أين افتتح

ولك أن تقرأ ديوان (من أرض بلقيس) حتى تجد الاغتراب موضوعاً بارزاً وملحوظاً فيه.

وقبل أن نلج إلى موضوعنا الأساس لا بد لنا من لمحة سريعة عن هذا المصطلح

إذ يرى كثير من الباحثين أن مصطلح الاغتراب ما يزال يعاني من الغموض إذ لم يتحدد مفهومه بشكل نهائي وقالوا أن هذا المصطلح استخدم بدلالات مختلفة فهو من وجه نظر دينية يتحدد في الانفصال.

أما الفلاسفة الوجوديون فقد رأوا في ماركس وهيجل رائداً للبحث في هذا الموضوع وقد حددوا مفهوم الاغتراب بقولهم أن الاغتراب انعكاس لتصدعات وانهيئات في العلاقات العضوية بين الإنسان وتجربته الوجودية (الذات / الموضوع , الجزء / الكل , الفرد / المجتمع , الحاضر / المستقبل) أما المنطلق النفسي والاجتماعي في تحديد مفهوم الاغتراب فقد كان يدور في إطار العزلة واللاجدوى وانعدام المغزى الذي يشكل نمطا من التجربة يعيش الإنسان فيه كشيء غريب ويصبح غريباً حتى عن نفسه كما يرى ذلك الدكتور مجاهد عبد المنعم والمقصود بالاغتراب عن النفس هو افتقاد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالفخر والرضا .

ويرى بعض الباحثين أن الاغتراب فعل اختياري يتم بحرية معرفية تجعل الهوية تتفكك في فوضى الأشياء ومهما تعددت مفاهيم الناس حول هذا المصطلح فإنها تلتقي عند جوهر الترابط الجدلي بين الإنسان ومحيطه فالاغتراب ليس وليد الصراع الاقتصادي كما يذهب إلى كل ماركس وليس نتاج

الصراع الجنسي كما يقول فرويد بل هو نتاج أمور وجودية شخصية الطابع، اجتماعية المنشأ كما تقول بذلك بعض الاتجاهات للفلسفة المعاصرة.

والاغتراب ليس موضوعاً جديداً بمعناه المعجمي في النتاج الإبداعي العربي لكنه أخذ بعداً فلسفياً جديداً في أدبنا المعاصر وهذا البعد متعدد الدلالات والأوجه ونحن هنا سوف نحاول بيان هذا البعد الموضوعي في شعر البردوني وفق سياقه الزمني الذي تتابعت في حلقات سلسلته مجموعات الشعرية الصادرة حتى وفاته بدءاً من مجموعته من أرض بلقيس وانتهاءً برجعه الحكيم بن زايد.

إذ في مراحل التكوين الأولى للبردوني نجد الاغتراب يتجسد في موضوع التفاعل مع المجتمع وعدم إحساس ذلك المجتمع بالذات الشاعرة مما سبب ألماً وجرحاً غائراً في العمق النفسي للأناء، يقول في نص (حين يشقى الناس) من ديوانه الأول (من أرض بلقيس): -

أنت ترثي كل محزون ولم تلق من يرثيك في الخطب

الألد

حين يشقى الناس أشقى معهم وأنا أشقى كما يشقون

وحدي

وأنا أخلو بنفسي والورى كلهم عندي ومالي أي عندي
وفي ذات النص يخلص إلى بيان معاناته وشظف عيشه حيث
يقول:

لا ولا لي في الدنا مثوى ولا مسعد إلا دجى الليل
وسهدي

لم أسر من غربة إلا إلى غربة أنكى وتعذيب أشد
متعب أمشي وركبي قدمي والأسى زادي وحمى
البرد بردي

والدجى الشاتي فراشي وردا جسمي المحموم
أعصابي وجلدي

في خضم هذه المعاناة النفسية والاجتماعية والاقتصادية يجد
البردوني نفسه وحيداً بلا معين يحمل الشقاء وعب السنين
على كاهله كما يفصح عن ذلك قوله: -

وحده يحمل الشقا والسنينا لا معين وأين يلقي
المعينا

وحده في الطريق يسحب رجليه ويطوي خلف الجراح
الأنينا

متعب يعبر الطريق ويمضي وحده يتبع الخيال
الحزينا

ويبلغ هذا الإحساس ذروته حين يقف عائقاً أمام طموحات
الأننا وأمانيتها الكبار التي تصطدم بالواقع فتحليها رماداً لا
نبض فيها ولا جذوة نار.

ما بين ألوان العناء وبين حشجة المنى

ما بين معترك الجراح وبين أشداق الفنا

ما بين مزدحم الشرور أعيش وحدي هاهنا

لم أدري ما السلوى ؟ ولم أطعم خيالات الهنا

الحب والحرمان زادي والغذاء المقـتـنى

هذه المعاناة أحالت كل شيء عدما إذ أصبح وجوده نكره
وأصبحت الحياة بلا معنى

وحدي هنا خلف الوجود وخلق أطياف السنا

وهنا تبنتني الحياة وما الحـياة؟ وما هنا؟

أنا من أنا؟ الأشواق والحرمان والشكوى أنا

في البيت الأخير تساؤل وحيرة تجعل من الحسي ظلالاً
معنوية قاتمة لا روح فيها ولا حياة ولا جمال وذلك لأن حياة
الشقا على الشاعر الحساس أدهى من الجحيم كما في قوله:

وحياة الشقا على الشاعر الحساس أدهى من الجحيم وأدهم

ويزداد الألم قسوة حين تتحطم الأمانى والطموحات على
صخرة الواقع وجبروته وحين تشعر الذات بفشلها في تحقيق
وجودها.

لم أجد ما أريد حتى الخطايا أحرام على حتى جهنم

في خضم هذا الإحساس المتلاطم بين العدمية ومرارة العيش
نشأت مبررات الرفض التي تجلت ملامحها في ديوانه في
طريق الفجر، ذلك الرفض كان استشرافاً لرغد آت مع انبلاج
الفجر / الحلم الذي تجسد في الثورة كقوة تطهيرية لأوجاع
اللحظة والماضي وقد كان ديوانه في طريق الفجر تبشيراً بها
وشكل معادلاً موضوعياً لألم اللحظة عن طريق الحلم
والانزياح إلى تبشير الغد ومعالمه الدالة عليها لحظات
التململ والرفض.

ثم جاء ديوان (مدينة الغد) تعبيراً عن ذات تتحد بالموضوع
وتخلق منه بعداً رؤيويّاً يفلسف تطلعاتها كما يتجلى ذلك في
نص مدينة الغد الذي يتحدث عن مدينة فاضلة تشبه تلك
المدن في تصورات الفلاسفة القدامى.

إلا أن حلم الشاعر في مدينة الغد الفاضلة سرعان ما تبدده
عوامل الصراع ونكوص الثورة لذلك نجده يرثي حلمه في
نص كاهن الحرف بقوله:

من تغني هنا؟ وتبكي علاماً
كل شيء لا
يستحق اهتماماً

القضايا التي أهاجتك أقوى
من أغانيك منى
نواح الأيامى

لكن الحلم يظل مكابراً باحثاً عن نفسه من بين ركام اللحظة
ومرارة الضياع لذلك نجد الموت عصياً عليه كما يعبر عن
ذلك نص أنسى أن أموت: -

تمتصني أمواج هذا الليل في شره صموت

وتعيد ما بدأت وتتوي أن تفوت ولا تفوت

فتثير أوجاعي وترغمني على وجع السكوت

وتقول لي مت أيها الذواي فأنسى أن أموت

إلى أن يقول:

من ذا هنا؟ غير الأسامي الصفير تصرخ في خفوت

غير انهيار الآدمية وارتفاع (البكنوت)

وحدي ألوك صدى الرياح وارتدي عري الخبوت

مثل هذا الظلال القائمة الناتجة عن الصراع السياسي في عقد
الستينيات وبداية عقد السبعينيات والدالة على تشوه الآدمية
وانهيار القيم وانفصال الذات عن واقعها لعدم قدرة الواقع
على احتضان القيم والمثل العليا نجدها أكثر وضوحاً وبياناً
فـ

ديوان (لعيني أم بلقيس) و إن كنا نقرأ ملامحها الأولى في
ديوان (مدينة الغد) من خلال التذكر والتجميع كما في نص
(ذكريات شيخين) الذي يبحث عن الهوية من خلال
الاسترجاع والسيطرة على الزمان التاريخي والمكان
الجغرافي اللذان أصبح مفقودين في لحظة ما من عقد
السبعينات كما في نص (إلا أنا وبلادي) من ديواني لعيني
أم بلقيس , يقول :

إن داري كغربتي في المنافي واحترافي كذكريات
رمادي

يا بلادي التي يقولونها عنها منك ناري
ولي دخان انتقادي
إلى أن يقول: -

يا ندى.. يا حنان أم الدوالي وبرغمي يجيب من لها أنادي
هذه كلها بلادي.. وفيها كل شيء.. إلا أنا
وبلادي

ويعزز هذا الاتجاه مصفوفة من النصوص في ديوان (لعيني
أم بلقيس) لعل أوضحها بياناً نص (مدينة بلا وجه) الذي
يقول فيه مخاطباً صنعاء: -

فهل تبحثين اليوم عن وجهك الذي

فقدته أو عن وجهك الآخر العصري

إلى أين؟ هل تدريين؟ من أين...؟ ربما

طلعت بلا وجه وغبت بلا ظهر

تسيرين من قبر لقبر لتبحثي

وراء سكون الدفن عن ضجة الحشر

نلمح هنا الزمان واغتراب المكان لعدم قدرة الذات على
التفاعل الوجودي الذي يكون قادراً على تحديد مسار التاريخ
وشعورها – أي الذات – بفقدان القيم: -

خبا كل شيء فيك لا تسألينه لماذا.. ؟ ألا
يعينك شيء من الأمر

حتى الروابي فيك باعت جباهها وما عرفت
ماذا تبيع وما تشري

وحتى حشايا الصيف فيك بلا رؤى وحتى أزاهير
الربيع بلا عطر

وحتى الدوالي فيك ضاع مصيفها وحتى
السواقي ضيعت منبع النهر

وحتى أغاني الحب مات حنينها وحتى عيون
الشعر فيك بلا شعر

وجاء الشعور بغربة القيم في واقع متغير يشوه الأشياء
ويسحق كل القيم الجميلة والنبيلة وهنا نجد الشاعر قد وصل
إلى مراتب متقدمة من وعيه بذاته ذلك لأن الوعي بالذات
يجعلها في صراع قيمي مع واقعها هذا الصراع بالضرورة
قد يفضي إلى الشعور بالاغتراب الذي ينبثق من فشل الروح
في التعرف على ذاتها في عالمها الموضوعي كما يتجسد

ذلك في نص (صنعاني يبحث عن صنعاء) من ديوان
(لعيني أم بلقيس) والذي يقول فيه: -

هذه العمارات العوالي ضيعن تجوالي مجالي
حولي كأضرحة مزورة بألوان اللآلي
يلمحني بنواظر الإسمنت من خلف العالي
هذه العمارات الكبار الخرس ملأى كالخوالي
أدنوا ولا يعرفني أبكي ولا يسألن مالي
وأقول من أين الطريق؟ وهن أغبى من
سؤالي

إذن يمكننا القول أنه في عقد السبعينات حدث تناقض بين
التصور الذهني للثورة وبين مفردات الواقع ومعطياته تلك
المفردات التي أفشلت الروح في التعرف على ذاتها فكان
الاغتراب القيمي يقول البردوني في كتابه (الثقافة والثورة في
اليمن): -

" ذلك لأن ضباط الثورة وجنود الحرس الوطني والمثقفين
كانوا يملكون عن الثورة أفكاراً مسبقة من ثقافة الخمسينات

وأحداثها لأن ذلك العهد شباب الزمن الثوري فتصوروا
الثورة نقيضاً تاماً لما كان وأساساً متيناً لما سوف يكون لأنهم
كانوا يشمون روائح الثورة العسكرية والشعبية في شعوب
العالم الثالث دون أن يكونوا على دراية كافية بمشاكل
الثورات وخبايا المؤامرات عليها وهذه النظرة المثالية إلى
الجديد من سجايا الشبان الذين يرون يومهم الذين أطلعوا
شمسه منقطعاً عن أمسه كما يتصورون الآتي مخالفاً لمأثاه
من كل الوجوه وكان هذا المفهوم الشبابي منسحباً على الثقافة
والسياسة وعلى الأدب والفن " .

ومع تنامي الشعور بالاغتراب وبانكسار الحلم في النصف
الأول من عقد السبعينيات اتجه البردوني مع غيره إلى تشوير
الثورة وقد حمل ذلك الملح ديوانه
(لعيني أم بلقيس) كما في نص (كانوا رجالاً) الذي يقول
فيه:

بلادنا كانت وأبطالنا

كانوا رجالاً قبل أن

يحكموا

يقال : كانوا فهماء الحمى

واليوم لا ينوون أن

يفهموا

ثاروا صباح القطف لکنهم
الثورة استسلموا
يوم انتصار

وبعد عام غيروا لونهم
نسوا من هموا
وبعد أيام

ومثل ذلك نص (لافتة على طريق العيد العاشر) حيث يقول:

أيها الآتي بلا وجه إلينا
لم تعد منا ولا ضيفاً
لدينا

غير أنا يا لتزيف الهوى
رغبتي
نلتقي اليوم برغمي

سترانا غير من كنا كما سوف
رأينا
تبدوا غير مني كنا

أسفاً ضيعتنا أوضعت من
ضيّعنا يدينا
قبضتينا يوم

لكن هذا الملمح يتجلى أكثر وضوحاً بدءاً من ديوانه (السفر
إلى الأيام الخضر) وما تلاه من أعمال إذ يتحول الاغتراب
إلى صراع كينونة وتبعاً لذلك فإن الكينونة لا تعني سوى فعل
التصميم – كما يرى ذلك الفلاسفة – ذلك لأن الوجود –

أعني وجود الذات – هو ذلك الوجود الحر الذي لا يد له أن يتحقق عبر الزمان من خلال علاقات التواصل لا التبادل وقد كان تثوير الثورة بعداً تواصلياً وتصميماً للشعور بالكينونة وبالتالي بالوجود الذي هو موضوعي وذاتي بالضرورة ونحن قد نلحظ في الأثر الإبداعي للبردوني مواقف شعرية ذات بعد اصطدامي بالذات مثل الموت والألم والصراع والإثم .. يقول في نص (في وجه الغزوة الثالثة) :

حسناً... إنما المهمة صعبة فليكن ... ولنمت بكل محبة

يصبح الموت موطناً حين يمسي وطن أنت منه أوحش
غربه

وتتجلى تلك القيم الصادمة في عدد من النصوص منها (لعبة الألوان) وزمان بلا نوعه وصنعاء في فندق أموي والحبل العقيم وغيرها من النصوص ويرى الفلاسفة الوجوديين أنه حين تواجهنا مواقف الألم والموت والصراع والإثم فإننا نلقاها بتطوير الوجود الممكن الكامن لدينا ومن ثم فإننا نصبح عين ذواتنا مصويين أبصارنا في الوقت نفسه إلى تلك المواقف الحاجزة وتبعاً لذلك فإن تحقق الذات لا يتم إلا عبر

تلك المواجهة الحية التي تجد فيها الحقيقة البشرية نفسها
بإزاء تلك العثرات الكبرى أو المواقف الحاضرة.

والمأمل في الأثر الإبداعي للبردوني يدرك أنه منذ
السبعينات ظل في مواجهة عنيفة مع عوامل الفناء
والاغتراب أملاً في تطوير الوجود الممكن الكامن في ذاته
لذلك نجده في عقد الثمانينات وفي ديوانه كائنات الشوق
الأخر يستنطق الوجود في ذاته وفي تواصله مع الآخر هذا
الاستنطاق والتواصل كان مبنياً على أساس من المواجهة
والمصارحة والصراع الودي كما يوحي بذلك نص (غير ما
في القلوب) وغيره من النصوص:

أقول ماذا يا ضحى يا غروب ... في القلب شوق غير ما في
القلوب

في القلب غير البغض غير الهوى ... فكيف أحكي يا ضجيج
الدروب

في عقد الثمانينات وما بعده كان صراع البردوني لقيم
الاغتراب في تحقيق وجوده في الموقف الشعري من الأشياء
مثال ذلك نص (فقله النار والغموض) وغيره كثر

أو في إعادة إنتاج الوعي بالتاريخ كما في نص (مهرجان
الحصى) الذي يقول فيه

في جبهتي من علي الفضل عشر حصي

ومن تجايعد (أروى) في يدي

حفر

أنات (بكر) غصون فوق جمجمتي

حنين (عبد يغوث) في دمي

سقر

ولعل هذا الاتجاه قد يكون أكثر تبيّناً في نص (صواب
العصـور) من
ديوانه (جواب العصور) ونص (محشر المقتضين) من
ديوانه رجعة الحكيم بن زايد .

أما في عقد التسعينات فقد بلغ البردوني كمال وعيه بذاته من خلال إحساسه بانفتاحه في صميم وجود الآخر كما يتجلى ذلك نص ثوار والذين كانوا من ديوانه (جواب العصور) الذي يقول فيه : -

أبغية الشعب في التغيير أن تضعوا
مكان أعلى رؤوس العصر أحجار
أو أن تولوا عصافير النقر على
هذا الذي قلب التسعين أطواراً
وارتاد فاعتصر الأزمان مكتبة
واسجمع الشهب في كفيه منظاراً
وقدس العرق المهـدور معتزماً
أن لا يبقـى بظـهر الأرض هـداراً
أعندما أينعت أجنى تجاربه
وصميم بحكيم الحكيم قصاراً
إن كنتم بعض من ربى فكيف يرى
كروم كفيه ينبوتاً وصباراً

وبيلغ هذا الكمال ذروته في نص (رجعة الحكيم بن زائد)
من خلال اتحاد الذات بالموضوع ووعيها بالأحداث وترباط
البناء التاريخي والشعور بالقيمة والاعتزاز بالتجربة يجسد
ذلك المعادل الموضوعي الذي يتضمنه الرمز علي بن زايد

لقد شكلت مجموعة (عودة الحكيم ابن زايد) بداية مرحلة
جديدة في حياة البردوني يمهلها الموت على الاكتمال ولعلنا
قد نجد أبعادها في الأعمال التي لم تصدر حتى الآن .

**

مما لا شك فيه أن الشعور بالاغتراب عند البردوني أخذ مساراً مندرجاً إلى الزوال وذلك حين بدأت الثنائيات الباعثة تضيق في ذاته وفي وعيه بها إذ الملاحظ في نتاجه الإبداعي اتساع قاعدة هذه الشعور في بداية التكوين وضيقها إلى درجة الاضمحلال عند اكتمال الوعي بالذات والموضوع وكأنها تأخذ بعداً هرمياً يشع إلى القاعدة ويضيق في القمة إلى درجة فناء الذات لاتصالها بالعقل والمعرفة وقد أضحى الاغتراب باعثاً أساسياً للمعرفة وقد يكون بذلك على خط التماس من المتصوفة الذين يذهبون إلى القول بالفناء عن الجهل والبقاء بالعلم .

وتأسيساً على ما سبق نذهب مطمئنين إلى القول أن هناك ثلاثة أبعاد للاغتراب في شعر البردوني هي كما يلي:

١- **البعد الحسي للاغتراب:** ويتجلى هذا البعد في ديوانيه (من أرض بلقيس) (وفي طريق الفجر) بصراع الذات من محيطها الموضوعي البعد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وشعورها بالاستلاب والاستهلاك وعدم تحقق موقفها ووجودها مما يدور حولها، وقد رأى في الثورة الحلم والخلص.

٢- البعد القيمي : وهذا البعد يبدو جلياً بدءاً من ديوانه (مدينة الغد) إذ أضحى الصراع صراعاً قيمياً من خلا بحث الذات الشاعر عن عالم المثل المفقود كون الواقع يسحق الذات ويشوهها فكانت مدينة الغد أساساً روحياً متخيلاً وبديلاً لواقع أكثر قسوة لا تشعر الذات بتحقيق وجودها فيه بل سعت في تطوير ذلك الوجود المتخيل الكامن في ذاتها عن طريق الاستنتاج والتواصل والمواجهة والمكاشفة وظل هذا البعد هو الأكثر حضوراً في النتاج الإبداعي للبردوني حتى صدور ديوانه (جواب العصور) في عقد التسعينيات الذي حمل تباشير مرحلة جديدة .

٣- أما البعد الثالث فلم أستطع توصيفه بيد أن ملاحظته كانت تبدو في كمال وعي الشاعر بذاته وفي إحساسه بانفتاحه في صميم وجود الآخر وبالبحث عن وجود الذات في إطار سياقها التاريخي كما يعبر عن ذلك نص (من أين؟ ونص (جواب العصور) من ديوان جواب العصور وفي اعتزاز الذات بقيمتها وبتجربتها وفي موقفها الشعري من الواقع وتجلياته وأحداثه.

ختاماً أذهب إلى القول أن البردوني كان يسعى إلى
الخلاص من غربته عن طريق المعرفة التي كان يسبر
غورها في ذاته جلاءً لكل ما هو إنساني فيها.

ثرتم وثرنا فلما تلثم وطراً هدأتم
وسهرنا نحن ثواراً

أردتم أن تناموا مرتوين كما شئنا نبيت عطاشى
نرضع النارا

- هوامش:

* ينظر كتاب الراصد والربيع العربي للمؤلف.

١- هشام علي ، الخطاب الروائي في اليمن ، مركز عبادي - صنعاء
، ط ١٩٩٦ م .

٢ - ينظر موقع المعاني ، دراسة لمحمد الجريبي ، بعنوان "
مدخل لدراسة الهويات الوطنية ، دراسة سوسيولوجية لحالة
الهوية الاردنية .

٣ - د/ ماجد حمودة ، إشكالية الأنا والآخر - نماذج روائية
عربية . عالم المعرفة ، مارس ٢٠١٣ م .

٤- نفس المصدر ٣.

- ٥- الخطاب الروائي في اليمن – مصدر سابق .
- ٦- نفس المصدر في ٥ .
- ٧- رواية مأساة واق الواق – الزبيري
- ٨- رواية يموتون غرباء – محمد عبد الولي .
- ٩- رواية " صنعاء مدينة مفتوحة " .

